الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

عام المجتمع
5 4
YEAR OF COMMUNITY

نحن الإمارات
WE THE UAE
2031

2025-2026

اللّغةُ العربيّةُ

كتابُ النّصوصِ

الصف
12

اللُّغَةُ الْعَرَبيَّةُ

كِتابُ النّصوصِ

الصَّفُّ الثّاني عَشَرَ

معتمد
محتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

الطّبعة العاشرة 1446 - 1447 هـ / 2025 - 2026 م

رسالةٌ إلى الطالب

«أَعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرْجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابُ»

(الشاعر المتنبي)

هـذا كتـابُ النُّصـوص الشّـعرية، نقـدّمُ إليـكَ فيـه باقـة مـن قصائـد الشـعر العربـيّ قديمِـهِ وحديثِـهِ، وهـذه القَصائـد مختـارةٌ لـكَ بعنايـة؛ لتكتشـف مـن خِـلال دراسـتها خصوصيَّتهـا البيّنـة،إذ سـتبهرك قـدرةُ شـعرائها علـى توظيـف الكلمـة الشّـعرية المؤثّـرة، والخيـال المجنّـح، والفكـرة القـادرة على اشـتقاق معانٍ جديـدة للحيـاة، وسـتتفاعَلُ مـع موسـيقاها الشّـفافة التـي تُنَشّـطُ ذهنَـكَ، وتثيـرُ فيـك انفعـالاتٍ تدفعُـكَ إلـى مسـاحاتٍ مـن الفكـر الخـاصّ لأصحابهـا وتصوراتهـم وفلسـفتهم فـي الحيـاة، وبهـذه المكانـة اللائقـة الرفيعة، تسـلَّل الشـعر إلـى قمـة الفنـون الأدبيـة، وكانـت قصائـد هـذا الكتـاب أنموذجًـا مـن الإبـداع الأدبـيّ الرّاقـي.

عَزيزي الطّالب،

صُمّـم كتابُـكَ علـى منهجيـة مدروسـة تجعلـك تتعـرف فـي الفصـل الدراسـي الأول إلـى التجربـة الشـعورية لـدى الشـاعرِ المتنبـي، وستكتشـف مـن خـلال دراسـتك القصيدتيـن المختارتيـن أن هـذا الشـاعر قـد ذهـب بالكلمـات إلـى أقصـى مـا يمكـن أن تذهـب إليـه، وابتكـر مـن المعانـي مـا جعلـه بحـق مالـئ الدنيـا وشـاغل النّـاس، وسـيدعم النَّصّـان المختـاران اللـذان يُعـدّان مـن عيـون الشـعر العربـي فـي العصـر العباسـيّ حصيلتـك اللغويـة ومعرفتـكَ ببديـع اللغـة وجناسـها وبلاغتهـا.

وستتعرف في الفصل الدراسيّ الثاني إلى فنّ الموشّحات الذي عبَّر بصدقٍ عن مظاهر الحياة العقليَّة والاجتماعيَّة الأندلسيَّة التي وُلِدَ فيها هذا الفن، وستكتشف أنّ هذا اللون الشعريّ الجميل يخرج بأوزانه وقوافيه عن نظام القصيدة العربية، والأساليب المعروفة لدى الشعراء العرب، و ستبهرك الكلمة الغنائية التي تأخذ مكانها بعناية فائقة في نسيج الموشح لتعبر عن حياة الترف والتطور الفكري للعرب والمسلمين في تلك البلاد.

أما في الفصل الدراسي الثالث فستضطلع بدور أكبر، وتتعرف شعر التَّفعيلة، وستكون القصيدتان المختارتان لكَ محورًا لاكتشاف دور الرَّمز الإيحائي في التعبير عن قضايا إنسانية عميقة، مما يجعلك شريكًا في تتبع الخطوط والمفاصل الرئيسة التي نسجت التجربتين الشعوريتين لدى الشاعرين : فاروق جويدة وإبراهيم محمد إبراهيم، وهما تجربتان غنيتان بالدلالات الجديدة والمتغيِّرة.

عَزيزي الطّالب،

لعلّنا نقول أخيرًا : إنّ كتاب النصوص الشعرية سيقدّم لك زادًا فكريًا ولغويًّا جديدًا يضفي مذاقًا خاصًّا للغة العربية، راجين أن تؤدي هذه النماذج الشعرية، قديمُها وحديثُها دورها في تعرّف الحياة التي يعيشُها الإنسان فرحًا وحزنًا، أملًا ويأسًا، حبًّا وبُغضًا، أحلامًا وانكسارات، ونأمل أيضًا أن تجعلك هذه النَّماذج الشعرية التي تشكلت من فيض العاطفة مشاركًا نَشِطًا في مناقشة أبنيتها الفكرية والأسلوبية واللغوية، وبعد :

فإنا لنرجو أن تكون هذه النماذج الشعرية رحلتك لتعرّف الحياة والنّاس.

الفهرس

يتم تعريف المحتوى على تطبيق التعلم الذكي

* شِعرُ المُتَنَبّي 11
– مُقدّمةٌ عنْ شِعْرِ المُتَنَبّي 13
◊ أرَقٌ على أرَقٍ 15
◊ عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ 17
◊ الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ 18
◊ إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرومِ 20
◊ أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوى طَلَلِ 21
◊ واحَرَّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ 23
◊ ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عاتِبا 25
◊ أيْنَ أزْمَعْتَ أيّهذا الهُمامُ؟ 26
◊ لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديها وَلا مالُ 27
◊ صَحِبَ النّاسُ قَبلَنا ذا الزّمانا 29
◊ بَأدْنى ابْتِسامٍ مِنْكَ تَحيا القَرائِحُ 30
◊ أراعَ كَذا كُلَّ الملوكِ هُمام؟ 31
◊ بِمَ التّعَلّلُ لا أهْلٌ وَلا وَطَنٌ 33
◊ مَغاني الشِّعْبِ طيبًا في المَغاني 35
◊ لِكُلِّ امرئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوّدا 38
◊ كفى بكَ داءً 40

معتمد
محتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

» نصوصٌ رديفةٌ منَ العَصرِ العبّاسيِّ 43
◊ السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْباءً مِنَ الكُتُبِ – أبو تمّام 45
◊ إذا جارَيْتَ في خُلُقٍ دَنيئًا – أبو تمّام 49
◊ صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنّس نفسي – البُحْتُريُّ 50
◊ أبا سَعيدٍ، وَفي الأيّام مُعْتَبَرٌ – البُحْتُريُّ 53
◊ ميلوا إلى الدّارِ مِنْ لَيْلى نُحَيّيها – البُحْتُريُّ 54
◊ لمّا كملتَ رويةً وعزيمةً – البُحْتُريُّ 56
◊ وإنّي وَإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ – أبو العَلاءِ المَعَريُّ 57
◊ بكاؤكُما يُشفي وإنْ كانَ لا يُجدي – ابن الرّوميِّ 59
◊ أتاني مقالٌ من أخ فاغتفرتُهُ – ابن الرّوميِّ 61
◊ رُبَّ عَرضٍ منزّهٍ عن قبيحٍ – ابن الرّوميِّ 62
◊ سألتُكَ حاجةً فسعيْتَ فيها – ابن الرّوميِّ 63
◊ مَنْ سالَمَ النّاسَ سلِمْ – أبو العتاهيّة 64
◊ لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقاءِ – أبو العتاهيّة 65
◊ كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزاوِرُهُ – أبو فراسِ الحَمَدانيِّ 66
◊ مالي بدارٍ خلَتْ مِنْ أَهلِها شُغُلُ – أبو نوّاسٍ 68

* الشِّعرُ الأندلسيُّ 69
- مُقدّمةٌ عنِ الشِّعرِ الأندلسيِّ 71
◊ جادَكَ الغَيْثُ - لسانُ الدّينِ بنُ الخطيبِ 73
◊ نَثَرَ الجَوُّ على الأرضِ بَرَدْ - ابنُ حَمْديسَ 74
» نصوصٌ رديفةٌ منَ العَصرِ الأندلسيِّ 75
◊ وَصْفُ الجَبَلِ - ابنُ خَفاجَة 77
◊ وَصْفُ بِركةِ المُتَوَكِّلِ - ابنُ حَمْديسَ 78
◊ العودةُ إلى الوطنِ - ابنُ حَمْديسَ 79
◊ بينَ الشّيخوخةِ والمرضِ - ابنُ حَمْديسَ 80
◊ وصفُ الشّيخوخةِ - ابنُ حَمْديسَ 81
◊ يا مَنْ يَضِنُّ بصَوْتِ الطّائِرِ الْغرِدِ - ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ 82
◊ طَويتُ زماني - ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ 83
◊ وصفُ الطّبيعةِ الغنّاءِ - ابنُ سُهيل 84
◊ وصفُ النّهرِ - ابنُ سُهيلٍ 85
◊ لِكُلِّ شَيْءٍ إذا ما تَمَّ نقصانُ - أبو البَقاءِ الرّنديِّ 86
◊ أَبْدَتْ لنا الأيّامُ - أبو الحسن بن زنباع 88
◊ فيما مضى كُنْتُ بالأعيادِ مسرورا - المعتمد 89
◊ أبى البَرْقُ إلّا أَنْ يحنَّ فؤادُ - ابنُ خفاجةَ 90
◊ وصَهوَةِ عَزْمٍ قد تَمطّيتُ - ابنُ خفاجةَ 91
◊ ومفازةٍ لا نجمَ في ظلمائِها - ابنُ خفاجةَ 92
◊ أضْحى التّنائي بَديلًا منْ تَدانينا - ابنُ زيدون 93
◊ إنّي ذَكَرْتُكِ بالزَّهراءِ مُشتاقا - ابنُ زيدون 95
◊ شكوى وعتابٌ - ابنُ زيدون 96
◊ منْ مُبْلِغٌ عَنّيَ البدرَ الّذي كَمُلا - ابنُ زيدون 98
» نصوصٌ رديفةٌ منَ الموشّحاتِ 99
◊ موشَّحٌ - للشّاعرِ (أبو الحسن علي بن مهلهل الجيلاني) 101

* شِعرُ التّفعيلةِ 103
- مُقدّمةٌ عنْ قصيدةِ التّفعيلةِ (الشِّعرُ الحُرُّ) 105
◊ يالَيْلُ، دَعني - فاروق جويدة 107
» نصوصٌ رديفةٌ منْ شِعرِ التّفعيلةِ 111
◊ عـدالـةٌ - أيمن أبو شَعر 113
◊ مَرَّ القِطارُ - نازِك الملائكة 116
◊ أنشودةُ المطرِ - بدر شاكر السَّيّاب 120
◊ ذكرياتُ الطّفولةِ - عبدالوهّاب البيّاتي 126
◊ البُكاءُ بينَ يَدي زَرقاءِ اليمامةِ - أمل دنقل 129
◊ العائِدُ - ممدوح عدوان 133
◊ طِفلٌ - صلاح عبدالصّبور 135
◊ أقولُ لأصحابي - علي جعفر العلّاق 138
◊ أيّار وَملّاحٌ جديدٌ - إبراهيم السّعافين 139
◊ مازِلْتُ أُغنّي - محمّد الفيتوري 142
◊ عالَمُ المجدِ - د. عبد الحكيم الزّبيدي 144
◊ وَرْدّةُ أُمّي - د. راشد علي عيسى 146
- القِصَّةُ القصيرةُ 151

* القِصَّةُ القصيرةُ 155
◊ علامةُ تعجّبٍ – فاطمة الكعبي 157
◊ رأيْتُ النّخلَ – رضوى عاشور 159
◊ طفلٌ وكلبٌ، ذاتَ ليلٍ – (آماليا رندايك) 167
◊ السَّماور – سعيدُ فائقٌ 173
» قصصٌ رديفةٌ 177
◊ بيتٌ – إبتسام المعلّا 179
◊ الحلم الأخير – (هانس كريستيان أندرسن) 183
◊ الشيخان 189
◊ الصقر – (غوستاف هلستروم) 197
◊ الفلاحون في (باريس) – (ألفونسو دوديه) 201
◊ بغلة القاضي – (ألفونسو دوديه) 205
◊ حلم عصفور المطر – د. ليلى الصقر 221
◊ سر المعلم كورني 231
◊ عنزة السيد (سيجان) 237
◊ أسطورة الرجل ذي المخ الذهبي – (ألفونسو دوديه) 245
◊ وداعا يا كورديرا – (ليوبولدو آلاس) 249
◊ كلمات 255
◊ منزل للبيع 259
◊ ينبوع الشباب – (ناثانيل هوثورن) 265

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شِعرُ المُتَنَبّي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مُقدّمةٌ عنْ شِعْرِ المُتَنَبّي

فـي فتـرةِ تفـكُّكِ الدّولـةِ العبّاسـيّةِ وَمرحلـةِ صِـراعٍ عاشَـها العـربُ والمُسـلمونَ، وَظهـورِ الدّويـلاتِ والإمـاراتِ المُتصارعـةِ فـي بـلادِ الشّـامِ، وَتَعَـرُّضِ الحـدودِ لِغَـزواتِ الـرّومِ والصِّـراعِ المُسـتمرِّ، فـي هـذا العالَـمِ المُضطـربِ كانَـتْ نَشـأَةُ الشّـاعرِ أبـي الطّيـبِ المُتَنبّـي - أحمـدِ بـنِ الحسـينِ بـنِ الحسـنِ بـنِ عبـدِ الصّمـدِ الجعفـيِّ أبـي الطّيـبِ الكِنْـديِّ الكوفـيِّ المولِـدِ - الّـذي أدركَ بِفِطرتِـهِ وَذكائِـهِ حقيقـةَ مـا حَوْلَـهُ، فأخـذَ بأسـبابِ العِلْـمِ والقـراءةِ والثّقافـةِ، فأثمـرَ ذلـكَ عبقريّتَـهُ فـي الشِّـعرِ العربـيِّ، وأكسـبَهُ كبريـاءً وطموحًـا وَحُبًّـا للمُغامـراتِ وَطلَـبَ المجـدِ، مَـعَ أنّـهُ عـاشَ خـلافَ مـا كانَ يحْلُـمُ، ويتمنّـى، إِذْ قضـى سَـنواتِ عمـرِهِ فـي مـدْحِ الملـوكِ مؤَمّـلًا أنْ يجـودَ عليـهِ الزمـانُ بمـا كانَ يـراهُ حقًّـا لَـهُ، ومكافـأةً لعبقريّتِـهِ وذكائِـهِ.

والشّـاعرُ المُتنبّـي هـو مالـئُ الدُّنيـا وَشـاغِلُ النّـاسِ بِشـعرِهِ، فَشِـعرُهُ يُعَـدُّ فـي ذروةِ الشِّـعرِ العربـيِّ الفصيـحِ؛ لأنّـهُ يُعبِّـرُ عـن التّجـاربِ الإنسـانيّةِ الّتـي عاشَـها، وهـو مِـنْ كِبـارِ شُـعراءِ العـربِ، وَمِـنْ أكثرِهِـمْ تَمكُّنًـا مِـنَ اللُّغـةِ العربيّـةِ، حتّـى إنّـهُ عُـدَّ مِـنْ عُلمائِهـا، وَلَـهُ مكانـةٌ ساميةٌ بيـنَ شُـعرائِها، حتّـى إنّـهُ وُصِـفَ بـ (نـادرةِ زَمانِـهِ، وَأُعجوبـةِ عصـرِهِ)، فَشِـعرُهُ مصـدرُ إلهـامٍ وَوَحـيٍ للشُّـعراءِ والأُدبـاءِ والنُّقّـادِ وَمُتذوِّقـي الشِّـعرِ بسـببِ رصانتِـهِ وَحِكمتِـهِ وَعُلـوِّ هِمَّتِـهِ وَطموحِـهِ وَشـجاعتِهِ.

كانَ الشّـاعرُ المُتنبّـي مُعتـزًّا بعروبتِـهِ، وَمُفتخـرًا بِنَفسِـهِ، وَمُعتـدًّا بهـا، كمـا اصطبـغَ شِـعرُهُ بقـوّةِ الصّياغـةِ، وبالقُـدرةِ علـى الوصـفِ وامتـلاكِ ناصيـةِ اللّغـةِ الشّـعريّةِ والبيـانِ العربـيِّ، كمـا جـاءَتْ صـورُهُ صادقـةً لمرحلـةِ عصـرِهِ، وحياتِـهِ.

وَمِنَ الحكمةِ الّتي اتّصفَ بها شِعرُهُ، قولُهُ:

إذا غـامَـرْتَ فـي شَـــرَفٍ مَـرومِ ... فـلا تَـقـنَـعْ بما دونَ الـنّـجـومِ

يـرى الجُبَناءُ أنَّ العَجْزَ عَقْلٌ ... وَتِـلْـكَ خَديعةُ الطَّبْعِ اللّئيمِ

وَكَـمْ مِـنْ عائِبٍ قَـوْلًا صَحيحًا ... وآفَـتُـهُ مِـنَ الـفـهـمِ السَّقيمِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَقولُهُ أيضًا:

إذا أنتَ أكرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أنتَ أكرَمْتَ اللّئيمَ تَمرّدا

وَيُعَدُّ شِعْرُ المُتنبّي بالِغَ الأثرِ والتّأثيرِ في مسيرةِ الشّعرِ العربيِّ حتّى يومِنا هذا؛ لِما يمتلكُ من الرّؤيةِ العميقةِ، وَمِنَ الرّؤى الثّرةِ في مجالاتِ الإبداعِ والخصوبةِ التّعبيريّةِ والشّعريّةِ والحكمةِ والإتقانِ والتّفنُّنِ في استخدامِ مُفرداتِ الألفاظِ واشتقاقاتِها وإحالاتِها الّتي جعلَتْ منه طودًا شامخًا في شعرِنا، وَشخصيّةً يلتقي حولَ قريحتِها مُحِبّوهُ وَخصومُهُ على السّواءِ.

وليسَ غَريبًا على الشّاعرِ أبي الطّيبِ المُتنبّي أَنْ تكونَ لَهُ هذِهِ المكانةُ السّاميةُ بينَ نوابغِ الشّعرِ العربيِّ وَفُحولِهِ في القديمِ وفي الحديثِ أيضًا؛ وذلكَ لأنّهُ رُزِقَ قريحةً وَعبقريّةً وَنبوغًا قَلَّ أَنْ يتهيّأَ لِمَنْ قبلَهُ، وَأنْ يقعَ نظيرُهُ لِمَنْ بعدَهُ، ممّا جعلَهُ طرازًا فريدًا، وَجيلًا كاملًا مِنَ التّميّزِ والإبداعِ وإحكامِ الصّنعةِ والتّفَنُّنِ الّذي لا يُجارى أَوْ يُضاهى فيهِ.

وقد تفرّدَ المُتنبّي في بابِ الشّعرِ الّذي ملكَ عليهِ حياتَهُ كُلَّها في مختلفِ جوانبِها، وكأنَّ موعدَهُ معَ المجدِ والعلياءِ إنّما كانَ على صهوةِ الشّعرِ وحدَهُ.

كما كانَ شاعرًا محظوظًا مِنَ الملوكِ والأُمراءِ والكُبراءِ الّذين عاصرَهُم، وكانَ لا يُجارى في شِعرِهِ، حتّى إنّهُ أطفأَ شموسَ كثيرٍ من الشُّعراءِ المُعاصرينَ لَهُ مِمّنْ لا يقلّونَ عنهُ نبوغًا وَبراعةً، كالبُحتريِّ، والشّريفِ الرَّضيِّ، وأبي العَلاءِ المعريِّ، ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أرَقٌ على أرَقٍ*

1 أرَقٌ عَلى أرَقٍ وَمِثْلـيَ يَـأرَقُ وَجَـوًى يَـزيـدُ وَعَـبْـرَةٌ تَـتَـرَقْـرَقُ

2 جُهْدُ الصّبابَةِ أنْ تكونَ كما أُرى عَـيـنٌ مُـسَـهَّـدَةٌ وقَـلْـبٌ يَخْفِقُ

3 مـا لاحَ بَـــرْقٌ أوْ تَـرَنّـمَ طـائِـرٌ إلاّ انْـثَـنَـيْـتُ وَلَـيْ فُـــؤادٌ شَيّقُ

4 جَرّبْتُ مِنْ نارِ الهَوى ما تَنطَفي نـارُ الغَضا وَتَـكِـلُّ عَمّا تُـحْـرِقُ

5 وَعَذَلْتُ أهْلَ العِشْقِ حتّى ذُقْتُهُ فعجبتُ كيفَ يَموتُ مَنْ لا يَعشَقُ

6 أبَـنـي أبينا نَـحْـنُ أهْــلُ مَـنـازِلٍ أبَــدًا غُــرابُ البَينِ فيها يَنْعِقُ

7 نَبْكي على الدُّنْيا وَما مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَتْهُمُ الدُّنْيا فَلَمْ يَتَفَرّقوا

8 أيــنَ الأكـاسِــرَةُ الـجَـبـابِـرَةُ الأُلـى كَنَزوا الكُنوزَ فَما بَقينَ وَلا بَقوا

9 فالمَوْتُ آتٍ والنُّفوسُ نَفائِسٌ والمُسْتَعِزُّ بِما لَـدَيْـهِ الأحْمَقُ

10 أمّا بَنو أوْسِ بنِ مَعْنِ بنِ الرِّضا فـأعَـزُّ مَـنْ تُـحْـدى إليهِ الأيْـنُـقُ

11 كَبّرْتُ حَـوْلَ ديـارِهِـمْ لمّا بَـدَتْ مِنها الشُّموسُ وَليسَ فيها المَشرِقُ

12 وعَجِبْتُ مِنْ أرْضٍ سَحابُ أكُفِّهِمْ مِـنْ فَوْقِها وَصُخورُها لا تـورِقُ

13 وَتَفوحُ مِـنْ طيبِ الثّناءِ رَوائِـحٌ لَـهُـمُ بِـكُـلِّ مَـكـانَـةٍ تُسْتَنشَقُ

14 مِـسْـكـيّـةُ الـنّـفَـحـاتِ إلاّ أنّها وَحْـشـيّـةٌ بِـسِـواهُـمُ لا تَعْبَقُ

15 أمُـريـدَ مِثْلِ مُحَمّدٍ في عَصْرِنا لا تَبْلُنا بِـطِـلابِ مـا لا يُلْحَقُ

16 يا ذا الّـذي يَهَبُ الكَثيرَ وَعِنْدَهُ أنّــي عَـلَـيْـهِ بـأخْـذِهِ أتَـصَـدّقُ

17 أمْـطِـرْ عَلَيَّ سَحابَ جـودِكَ ثَـرّةً وانـظُـرْ إلـيَّ بـرَحْـمَـةٍ لا أغْــرَقُ

---

* شرح ديوان المُتنبّي، وضعَهُ عبدالرّحمن البرقوقي، الجزء الثّالث، ص37، دار الكتاب العربي، بيروت، 6891م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ

1 عيدٌ بِـأَيَّـةِ حـالٍ عُــدْتَ يا عيدُ بِما مَضى أَمْ بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ

2 أَمّــا الأَحِـبَّـةُ فالبَيداءُ دونَـهُـمُ فَلَيتَ دونَــكَ بـيـدًا دونَـهـا بيدُ

3 لَولا العُلا لَمْ تَجُبْ بي ما أَجوبُ بِها وَجناءُ حَـرفٌ وَلا جَــرداءُ قَيدودُ

5 لَم يَترُكِ الدّهرُ مِنْ قَلبي وَلا كَبِدي شَـيـئًـا تُـتَـيِّـمُـهُ عَـيـنٌ وَلا جيدُ

6 أَمسَيتُ أَرْوَحَ مُثرٍ خازِنًا وَيَـدًا أَنــا الغَنِيُّ وَأَمــوالــي المَواعيدُ

7 إِنّــي نَـزَلـتُ بِكَذّابينَ، ضَيفُهُمُ عَنِ القِرى وَعَنِ التَّرحالِ مَحدودُ

8 جودُ الرِّجالِ مِنَ الأَيدي وَجودُهُمُ مِنَ اللِّسانِ فَلا كانوا وَلا الجودُ

9 ما يَقبِضُ المَوتُ نَفسًا مِن نُفوسِهِمُ إِلّا وَفــي يَــدِهِ مِــن نَتنِها عــودُ

11 أَكُلَّما اغتالَ عَبدُ السّوءِ سَيِّدَهُ أَو خانَهُ فَلَهُ في مِصرَ تَمهيدُ

12 العَبدُ لَـيـسَ لِـحُـرٍّ صـالِـحٍ بِـأَخٍ لَـو أَنَّــهُ في ثيابِ الـحُـرِّ مَولودُ

13 لا تَشتَرِ العَبدَ إِلّا والعَصا مَعَهُ إِنَّ العَبيدَ لَأَنــجــاسٌ مَناكيدُ

14 ما كُنتُ أَحسَبُني أبقى إِلى زَمَنٍ يُسيءُ بي فيهِ كَلبٌ وَهوَ مَحمودُ

15 وَلا تَوَهَّمتُ أَنَّ النّاسَ قَد فُقِدوا وَأَنَّ مِثلَ أَبــي البَيضاءِ مَوجودُ

16 وَأَنَّ ذا الأَســوَدَ المَثقوبَ مِشفَرُهُ تُطيعُهُ ذي العَضاريطُ الرَّعاديدُ

17 جَوعانُ يَأكُلُ مِن زادي وَيُمسِكُني لِكَي يُقالَ عَظيمُ القَدرِ مَقصودُ

شرح المفردات:

- [1] عيد: أي: أعيد؟ - بما مضى: أي: أبما مضى؟
- [3] جاب الموضع: قطعه - الوجناء: الناقة الشديدة - الحرف: الضامرة - الجرداء: الفرس القصيرة - القيدود: الطويلة العنق.
- [6] أروح: من الراحة.
- [13] المناكيد: ج منكود، قليل الخير.
- [15] أبو البيضاء: كافور، وهذه سخرية منه.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشّجْعانِ

1 الــرَّأْيُ قَـبْـلَ شَجاعةِ الشُّجْعانِ هـوَ أوّلٌ وَهــيَ المَحَلُّ الثّاني

2 فـإذا هُما اجْتَمَعا لنَفْسٍ حُـرّةٍ بَلَغَتْ مِـنَ العَلْياءِ كُـلَّ مكانِ

3 وَلَـرُبّـمـا طَـعَـنَ الفَتى أقْـرانَـهُ بـالـرّأيِ قَـبْـلَ تَـطـاعُـنِ الأقــرانِ

4 لَـوْلا العُقولُ لكانَ أدنى ضَيغَمٍ أدنــى إلــى شَــرَفٍ مِـنَ الإنْـسـانِ

5 وَلما تَفاضَلَتِ النّفوسُ وَدَبّـرَتْ أيــدي الـكُـمـاةِ عَـوالـيَ الـمُـرّانِ

6 لَــوْلا سَـمـيُّ سُـيـوفِـهِ وَمَـضـاؤهُ لـمّـا سُـلِـلْـنَ لَـكُـنّ كـالأجْـفـانِ

7 قادَ الجيادَ إلى الطّعانِ وَلم يَقُدْ إلّا إلــى الــعــاداتِ والأوْطـــانِ

8 إنْ خُلّيَتْ رُبِطَتْ بـآدابِ الوَغى فـدُعـاؤهـا يُغني عـنِ الأرْســانِ

9 في جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غبارُهُ فـكـأنّـمـا يُـبْـصِـرْنَ بـــالآذانِ

10 يَرْمي بها البَلَدَ البَعيدَ مُظَفَّرٌ كُــلُّ الـبَـعـيـدِ لَــهُ قَـريـبٌ دانِ

11 فـكـأنّ أرْجُـلَـهـا بـتُـرْبَـةِ مَنْبِجٍ يَطرَحنَ أيديَها بحِصْنِ الــرّانِ

12 رَكَـضَ الأميرُ وَكاللُّجَينِ حَبابُهُ وَثَـنـى الأعِـنّـةَ وَهْــوَ كالعِقيانِ

13 ما زِلتَ تَضرِبهُم دِراكًا في الذُّرى ضَـرْبًـا كـأنّ السّيفَ فيهِ اثْنانِ

14 خَـصَّ الجَماجمَ والـوُجـوهَ كأنّما جـاءتْ إليكَ جُسومُهمْ بأمانِ

15 يَغشاهُمُ مَطَرُ السَّحابِ مُفَصَّلًا بـمُـهَـنّـدٍ وَمُـثَـقَّـفٍ وَسِــنــانِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 وَمُـهَـذَّبٌ أمَـرَ المَنايا فيهِمُ فأطَعْنَهُ فـي طـاعَـةِ الـرّحْـمـانِ

17 وَجَرى على الوَرَقِ النّجيعُ القاني فـكـأنّـهُ الـنّـارَنْـجُ فـي الأغـصـانِ

18 إنّ السّيوفَ معَ الّذينَ قُلوبُهُمْ كَقُلوبِهِنَّ إذا التَقى الجَمعانِ

19 تَلْقى الحُسامَ على جَـراءَةِ حَدِّهِ مثلَ الجَبانِ بِـكَـفِّ كُـلِّ جَبانِ

20 رَفعتْ بكَ العرَبُ العِمادَ وَصَيّرَتْ قِـمَـمَ المُلوكِ مَـواقِـدَ النّيرانِ

21 أنـسـابُ فَـخـرِهِـمُ إلَـيْـكَ وَإنّـمـا أنْـسـابُ أصْـلِـهِـمُ إلـى عَـدْنـانِ

22 يا مَـنْ يُقَتِّلُ مَـنْ أرادَ بسَيْفِهِ أصْبَحتُ مِـنْ قَتلاكَ بالإحْسانِ

23 فـإذا رَأيـتُـكَ حـارَ دونَـكَ ناظري وَإذا مَدَحتُكَ حـارَ فيكَ لِساني

شرح المفردات:

- [5] المران: الرماح.
- [12] اللجين: الفضة - العقيان: الذهب - الحباب: طرائق الماء.
- [13] الذرى: رؤوس القوم.
- [17] النجيع: الدم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا غامَرْتَ في شَرَفٍ مَرومِ

1 إذا غـامَـرْتَ فـي شَــرَفٍ مَـرومٍ فَـلا تَـقـنَـعْ بما دونَ الـنُّـجـومِ

2 فطَعْمُ الـمَـوْتِ في أمْـرٍ حَقيرٍ كطَعْمِ الـمَـوْتِ في أمْـرٍ عَظيمِ

3 ستَبكي شَجْوَها فَرَسي ومُهري صَفائحُ دَمْـعُـها مـاءُ الجُسومِ

4 قُـريـنَ الـنّـارَ ثُـمَّ نَـشَـأْنَ فيها كما نَشَأَ الـعَـذارى في النّعيمِ

5 وفـارَقْـنَ الـصّـياقِـلَ مُخْلَصاتٍ وأيْـديـهـا كَـثـيـراتُ الـكُـلـومِ

6 يـرى الجُبَناءُ أنّ العَجزَ عَقْلٌ وتِـلـكَ خَـديـعَـةُ الطّبعِ اللّئيمِ

7 وَكُـلُّ شَجاعَةٍ في الـمَـرْءِ تُغني ولا مِثلَ الشّجاعَةِ في الحَكيمِ

8 وكَـمْ مِـنْ عـائِـبٍ قـوْلًا صَحيحًا وآفَـتُـهُ مِـنَ الـفَـهْـمِ السّقيمِ

9 ولـكِـنْ تـأخُـذُ الآذانُ مِـنْـهُ على قَـدْرِ الـقَـرائـحِ والـعُـلـومِ

شرح المفردات:

- [1] مروم: مطلوب.
- [4] قُرين النار: صحبن النار، وتغذين بها.
- [5] الصياقل: ج: صيقل، وهو الّذي يصقل السيوف وغيرها من الصدأ، فصار أملس ناعمًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوى طَلَلِ

1 أجابَ دَمعي وما الدّاعي سوى طَلَلِ دَعـا فَلَبّاهُ قَبلَ الـرَّكـبِ والإبِـلِ

2 ظَلِلْتُ بَينَ أُصَيْحابي أُكَفْكِفُهُ وَظَـلَّ يَسفَحُ بَينَ العُذْرِ والعَذَلِ

3 والهَجْرُ أقْـتَـلُ لي مِمّا أُراقِـبُـهُ أنا الغَريقُ فَما خَوْفي منَ البَلَلِ

4 قَـدْ ذُقْـتُ شِـدّةَ أيّامي وَلَذّتَها فَما حَصَلتُ على صابٍ وَلا عَسَلِ

5 وَقَد أراني الشَّبابُ الرّوحَ في بَدَني وَقد أراني المَشيبُ الرّوحَ في بَدَلي

6 لا أكْسِبُ الذِّكرَ إلاّ مِنْ مَضارِبِهِ أوْ مِنْ سِنانِ أصَمِّ الكَعْبِ مُعتَدِلِ

7 جـادَ الأميرُ بـهِ لي في مَواهِبِهِ فَزانَها وَكَساني الـدِّرْعَ في الحُلَلِ

8 فنَحنُ في جَذَلٍ والرّومُ في وَجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَلِ

9 لَيْتَ المَدائحَ تَسْتَوْفي مَناقِبَهُ فَما كُلَيْبٌ وَأهْـلُ الأعصُرِ الأوَلِ

10 خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بهِ في طَلعَةِ البَدرِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ

11 وَقد وَجدتَ مكانَ القَوْلِ ذا سَعَةٍ فـإنْ وَجَـدْتَ لِسانًا قائِلًا فَقُلِ

12 إنّ الهُمامَ الّذي فَخْرُ الأنـامِ بِهِ خيرُ السّيوفِ بكَفّيْ خيرَةِ الدّوَلِ

13 فالعُرْبُ منهُ معَ الكُدْريّ طائرَةٌ والـرّومُ طائِرَةٌ منهُ مَـعَ الحَجَلِ

14 وَما الفِرارُ إلى الأجْبالِ مِنْ أسَدٍ تَمشي النّعامُ به في معقِلِ الوَعِلِ

15 نادَيتُ مَجدَكَ في شعري وَقد صَدَرا يا غَيرَ مُنْتَحِلٍ في غيرِ مُنْتَحِلِ

16 بالشّرْقِ والغَرْبِ أقْـوامٌ نُحِبّهُمُ فَطالِعاهُمْ وَكونا أبْـلَـغَ الرّسُلِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

17 وَعَـرّفـاهُـمْ بـأنّـي فـي مَـكـارِمِـهِ أُقَلّبُ الطَّرْفَ بَينَ الخيلِ والخَوَلِ

18 يا أيّها المُحسِنُ المَشكورُ مِنْ جهتي والشكرُ مِنْ قِبَلِ الإحسانِ لا قِبَلي

19 وَما ثَناكَ كَـلامُ النّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَريقَ العارِضِ الهطِلِ

20 أنـتَ الـجَـوادُ بِـلا مَـنٍّ وَلا كَـدَرٍ وَلا مِـطـالٍ وَلا وَعْـدٍ وَلا مَـذَلِ

21 أنتَ الشّجاعُ إذا ما لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيرَ الـسَّـنَـوّرِ والأشـلاءِ والقُلَلِ

22 لا زِلْتَ تضرِبُ مَنْ عاداكَ عن عُرُضٍ بعاجِلِ النّصرِ في مُستأخِرِ الأجَلِ

شرح المفردات:

- [1]الإجابة: الطاعة - الطلل: ما شخص من آثار الديار - الركب: القوم الراكبون.
- [2] يسفح: يجري ويسيل - بين العذر والعذل: بين من يقبل عذري ومن يلومني.
- [3] هجر الحبيب أشد عليّ مما أحذره من الرقيب.
- [4] الصاب: شجر مرٌّ، يعصر منه ماء مرٌّ.
- [5] البدل: الولد، والمعنى: أنه كان شابًّا فلما ذهب شبابه رأى الشباب في غيره.
- [6] الكعب: العقدة الناشزة لقناة الرمح - الأصم: الرمح المتين المكتنز.
- [7] الحلل: ج .حُلّة، وهي الثياب الجديدة الجيدة.
- [8] الجذل: المرح - الوجل: الخوف.
- [9] كليب بن وائل، يضرب به المثل في العز، يقال: "أعز من كليب بن وائل".
- [10] المعنى: القريب يغنيك عن البعيد، ولا سيما إذا كان القريب أفضل من البعيد.
- [11] المعنى: إذا وجدت في الممدوح فضلًا ومجدًا فأجد في مدحه.
- [12] الهُمام: الشجاع ذو الهمة العالية - الخيرة: مؤنث (خير). وخيرة الدول هي دولة الخلافة.
- [13] الكُدريّ: جنس من طائر القطا - والمعنى: إن أعداء سيف الدولة المعتصمين في الصحارى أو في الجبال.
- [14] قصد بالنعام خيل سيف الدولة الّتي تصعد أعالي الجبال، فلا يفوته من طلبه.
- [15-16] المعنى: مجد سيف الدولة وشعر المتنبّي رسلهما يبلغان عن حالهما شرقًا وغربًا.
- [17] الخول: الخادم والمال؛ من (خوّله الشيء، أي ملكه إياه).
- [19] ثناه: رده وصرفه - العارض: السحاب - الهطل: صيغة مبالغة، الكثير المطر.
- [20] المِطال: التأخير والتسويف بأداء الحق - المَذَل: الضجر والقلق.
- [21] السَّنوّر: جملة السلاح، ولباس من جلد أو حديد - القلل: ج قلة، أعلى الجبل.
- [22] العُرُض: الجانب والناحية، والمعنى: يلاقي عدوه بضربه من كل ناحية، محرزًا نصرًا عاجلًا، متمتعًا بالعمر المديد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

واحَرَّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ

1 واحَــرَّ قَـلْـبـاهُ مِـمَّـنْ قَـلْـبُـهُ شَـبِـمُ وَمَـنْ بجِسْمي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ

2 ما لي أُكَـتِّـمُ حُبًّا قَـدْ بَـرى جَسَدي وَتَـدّعـي حُـبَّ سَيفِ الـدّوْلـةِ الأُمَـمُ

3 قد زُرْتُــهُ وَسُـيـوفُ الهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقـد نَـظَـرْتُ إلَـيْـهِ والـسّـيـوفُ دَمُ

4 فـكـانَ أحْـسَـنَ خَـلْـقِ الـلّـهِ كُلّهِمِ وَكـانَ أحسنَ ما في الأحسَنِ الشّيَمُ

5 قد نابَ عنكَ شديدُ الخوْفِ واصْطَنَعَتْ لَـكَ المَهابَةُ مـا لا تَـصْـنَـعُ البُهَمُ

6 أكُلّما رُمْــتَ جَيْشًا فانْثَنى هَرَبًا تَـصَـرّفَـتْ بِـكَ فـي آثــارِهِ الهِمَمُ

7 عَـلَـيْـكَ هَـزْمُـهُـمُ فـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ وَمـا عَلَيْكَ بِهِمْ عـارٌ إذا انهَزَموا

8 أمـا تَـرى ظَـفَـرًا حُـلْـوًا سِـوى ظَفَرٍ تَصافَحَتْ فيهِ بيضُ الهِنْدِ واللِّممُ

9 يا أعــدَلَ الـنّـاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخصْمُ والحكَمُ

10 أُعـيـذُهـا نَـظَـراتٍ مِـنْـكَ صـادِقَـةً أَنْ تحسَبَ الشّحمَ فيمَنْ شَحمُهُ وَرَمُ

11 وَمـا انْـتِـفـاعُ أخـي الـدّنْـيـا بِـنـاظِـرِهِ إذا اسْـتَـوَتْ عِـنْـدَهُ الأنْــوارُ والظُّلَمُ

12 سَيعْلَمُ الجَمعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجلِسُنا بأنّني خَـيـرُ مَـنْ تَسْعى بـهِ قَـدَمُ

13 أنـا الّــذي نَـظَـرَ الأعْـمـى إلـى أدَبـي وَأسْـمَـعَـتْ كَلِماتي مَـنْ بـهِ صَمَمُ

14 أنـامُ مِــلْءَ جُفوني عَـنْ شَـوارِدِهـا وَيَـسْـهَـرُ الخَلْقُ جَـرّاهـا وَيخْتَصِمُ

15 إذا رَأيْــتَ نُـيـوبَ الـلّـيْـثِ بــارِزَةً فَـلا تَـظُـنَّـنَّ أنّ الـلّـيْـثَ يَـبْـتَـسِـمُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 وَمُـرْهَـفٍ سِـرْتُ بينَ الجَحْفَلَينِ بهِ حتى ضرَبْتُ وَمَـوْجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

17 الخَيْلُ واللّـيْـلُ والـبَـيْـداءُ تَعرِفُني والسّيفُ والرّمحُ والقرْطاسُ والقَلَمُ

18 صَحِبْتُ في الفَلَواتِ الوَحشَ منفَرِدًا حتى تَـعَـجّـبَ مني الـقـورُ والأكَـمُ

19 يـا مَـنْ يَـعِـزُّ عَلَيْنا أنْ نُفارِقَهُمْ وِجدانُنا كُـلَّ شـيءٍ بَعدَكمْ عَـدَمُ

20 مـا كـانَ أخلَقَنا مِـنـكُـمْ بتَكرِمَةٍ لَـوْ أنّ أمْـرَكُـمُ مِـنْ أمـرِنـا أمَـمُ

21 إنْ كـانَ سَـرّكُـمُ مـا قـالَ حاسِدُنا فَـمـا لـجُـرْحٍ إذا أرْضـاكُـمُ ألَـمُ

22 كَـمْ تَطْلُبونَ لَنا عَيْبًا فيُعجِزُكمْ وَيَـكْـرَهُ الـلّـهُ مـا تَـأتـونَ والـكَـرَمُ

23 ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي أنـا الـثّـرَيّـا وَذانِ الشّيبُ والـهَـرَمُ

24 ليْتَ الغَمامَ الّـذي عندي صَواعِقُهُ يُـزيـلُـهُـنّ إلـى مَـنْ عِـنْـدَهُ الـدّيَـمُ

25 إذا ترحَّلْتَ عَـنْ قـومٍ وقـد قـدَروا ألا تـفـارقَـهـمْ فـالـرّاحـلـونَ هُـمُ

26 شـرُّ الـبـلادِ بـلادٌ لا صـديـقَ بها وَشَـرُّ ما يكسبُ الإنـسـانُ ما يصمُ

شرح المفردات:

- [1] شبم: بارد.
- [2] برى: أضعف وأهزل.
- [5] البهم: ج بهمة، الشجاع.
- [6] تصرفتك: صرفتك وحثتك ودفعتك.
- [8] اللم: الشعر.
- [10] الشحم: أراد الشاعرُ نفسَه. والورم غيره من الشعراء.
- [14] شواردها: كلمات شعري السائرة في كل مكان - جراها: من أجلها.
- [18] القور: القارة، صرة من الأرض فيها حجارة سود - الأكم: ج أكمة، وهي الأرض المرتفعة.
- [20] أخلقنا: أجدرنا - أمم: القصد والقرب.
- [26] يصم: يعيب.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عاتِبا

1 ألا ما لسَيفِ الدّوْلَةِ اليَوْمَ عاتِبا فَداهُ الوَرى أمضى السّيوفِ مَضارِبا

2 وما لي إذا ما اشتَقْتُ أبصَرْتُ دونَهُ تَنائِفَ لا أشْتاقُها وَسَباسِبا

3 وَقد كانَ يُدْني مَجلِسي مِنْ سَمائِهِ أُحادِثُ فيها بَدْرَها والكَواكِبا

4 حَنانَيْكَ مَسْؤولًا وَلَبّيْكَ داعيًا وَحَسبيَ مَوْهوبًا وحَسبُكَ واهِبا

5 أهذا جَزاءُ الصّدْقِ إنْ كنتُ صادقًا أهذا جَزاءُ الكِذبِ إنْ كنتُ كاذِبا

6 وَإنْ كانَ ذَنْبي كلَّ ذَنْبٍ فإنّهُ مَحا الذّنْبَ كلَّ المَحوِ مَنْ جاءَ تائِبا

شرح المفردات:

- [2] التنائف: ج تنوفة، الأرض الواسعة البعيدة الأطراف - السباسب: ج سبسب، الفضاء الواسع.
- [4] حنانيك: تحنّنًا بعد تحنّن.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أيْنَ أزْمَعْتَ أيّهذا الهُمامُ؟

1 أيْــنَ أزْمَــعْــتَ أيّـهـذا الهُمامُ؟ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبى وأنـتَ الغَمامُ

2 في سَبيلِ العُلا قِتالُكَ والسّلْـ ـمُ وهــذا الـمُـقـامُ والإجْــذامُ

3 لَيتَ أنّـا إذا ارْتَحَلْتَ لكَ الخَيْـ ـلُ وأنّــا إذا نَــزَلْــتَ الـخيـامُ

4 كُـلَّ يَـوْمٍ لـكَ احْـتِـمـالٌ جَديدٌ ومَـسـيـرٌ لـلـمَـجْـدِ فـيـهِ مُـقـامُ

5 وإذا كـانَـتِ الـنّـفـوسُ كِـبـارًا تَـعِـبَـتْ فـي مُـرادِهـا الأجْـسـامُ

6 وكَــذا تَـطْـلُـعُ الـبُــدورُ عَلَيْنا وكَــذا تَـقْـلَـقُ الـبُـحـورُ العِظامُ

7 ولَنا عــادَةٌ الجَميلِ مـنَ الصّبْـ ـرِ لَــوَ انّــا سِــوى نَــواكَ نُـسـامُ

8 كُـلُّ عَيْشٍ ما لَـمْ تُطِبْهُ حِمامٌ كـلُّ شَمسٍ ما لم تكُنْها ظَـلامُ

9 أزِلِ الـوَحْـشَـةَ الّـتـي عِندَنا يا مَـن بِـهِ يأنَسُ الخَميسُ اللُّهامُ

10 والّـذي يَشهَدُ الوَغى ساكِنَ القَلـ ـبِ كَــأنّ الـقِـتـالَ فيها ذِمـامُ

11 والّــذي يَـضـرِبُ الكَتائِبَ حتّى تَـتَـلاقـى الـفِـهـاقُ والأقــدامُ

12 وإذا حَــلَّ ســاعَــةً بـمَـكـانٍ فــأذاهُ عَـلـى الــزّمــانِ حَــرامُ

13 والّــذي تُـنْـبِـتُ الـبِـلادُ سُــرورٌ والّــذي تَمْطُرُ السّحابُ مُـدامُ

14 كُـلّـمـا قـيـلَ قَـد تَـنـاهـى أرانـا كَـرَمًـا ما اهـتَـدَتْ إليهِ الـكِـرامُ

15 إنّما هَيْبَةُ الـمُـؤمَّـلِ سَـيْـفِ الـ ـدوْلَةِ المَلْكِ في القلوبِ حُسامُ

16 فكَثيرٌ مِــنَ الـشّـجـاعِ الـتّـوَقّـي وكَـثـيـرٌ مِــنَ الـبَـلـيـغِ الـسّـلامُ

شرح المفردات:

- [2] الإجذام: سرعة السير.
- [7] نسام: نكلف.
- [8] يقصد طيب العيش بقربك.
- [9] الوحشة: انزعاج النفس - الخميس اللهام: الجيش الكبير.
- [10] الذمام: عهد وأمان.
- [11] الفهاق: موصل الرأس من العنق.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْديها وَلا مالُ

1 لا خَـيْـلَ عِـنـدَكَ تُـهْـديـهـا وَلا مـالُ فَليُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لَـمْ تُسعِدِ الحالُ

2 واجْـزِ الأمـيـرَ الّـذي نُـعْـمـاهُ فـاجِـئَـةٌ بـغَـيـرِ قَـــوْلٍ وَنُـعْـمـى الـنّـاسِ أقْـوالُ

3 لا يُـــدرِكُ الـمَـجـدَ إلاّ سَـيّـدٌ فَـطِـنٌ لِـمـا يَـشُـقُّ عَـلـى الـسّـاداتِ فَـعّـالُ

4 قـالَ الـزّمـانُ لَـهُ قَـــوْلًا فَـأفْـهَـمَـهُ، إنّ الـزّمـانَ عـلـى الإمْـسـاكِ عَـــذّالُ

5 الـقـائِـدُ الأُسْـــدَ غَـذّتْـهـا بَـراثِـنُـهُ بـمِـثْـلِـهـا مِـنْ عِـــداهُ وَهْـــيَ أشْـبـالُ

6 القاتِلُ السَّيْفَ في جِسْمِ القَتيلِ بِهِ وَلـلـسّـيـوفِ كـمـا لـلـنّـاسِ آجـــالُ

7 تُـغـيـرُ عَـنْـهُ عـلـى الـغـاراتِ هَـيْـبَـتُـهُ وَمـالُـــهُ بـأقـاصـي الأرْضِ أَهْـمـالُ

8 لا يَـعْـرِفُ الـــرُّزْءَ فـي مـالٍ وَلا وَلَـدٍ إلاّ إذا حَـفَـزَ الـضّـيـفـانَ تَـرْحـالُ

9 يُروي صَدى الأرضِ مِنْ فَضْلاتِ ما شربوا محْضُ اللّقاحِ وَصافي الـلّـوْنِ سلسالُ

10 تَـجْـري الـنّـفـوسُ حَـوالَـيْـهِ مُـخَـلَّـطَـةً مِـنـهـا عُـــداةٌ وَأغْـــنـــامٌ وَآبـــالُ

11 إذا الـعِـدى نَـشِـبَـتْ فيهِمْ مَخالِبُهُ لـم يَـجْـتَـمِـع لـهُـمُ حِـلْـمٌ وَرِئْـبـالُ

12 أنـالَـهُ الـشّـرَفَ الأعْـلـى تَـقَـدُّمُـهُ فَـمـا الّـــذي بـتَـوَقّـي مـا أتـى نـالـوا

13 إذا الـمُـلـوكُ تَـحَـلّـتْ كـانَ حِـلْـيَـتَـهُ مُـهَـنَّـدٌ وَأصَـــمُّ الـكَـعْـبِ عَـسّـالُ

14 تَـمَـلّـكَ الـحَـمْـدَ حـتّـى مـا لِـمُـفْـتَـخِـرٍ فـي الـحَـمْـدِ حـاءٌ وَلا مـيـمٌ وَلا دالُ

15 لَـطّـفْـتَ رَأيَـــكَ فـي بِـــرّي وَتَـكْـرِمَـتـي إنّ الـكَـريـمَ على الـعَـلْـيـاءِ يَـحْـتـالُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 كـأنّ نَـفْـسَـكَ لا تَـرْضـاكَ صاحِبَها إلاّ وَأنْـتَ على الـمِـفـضـالِ مِفضالُ

17 وَلا تَـعُـدُّكَ صَـوّانًـا لـمُـهْـجَـتِـهـا إلاّ وَأنْـتَ لـهـا فـي الـرّوْعِ بَـذّالُ

18 لَـوْلا الـمَـشَـقّـةُ سـادَ الـنّـاسُ كُـلُّـهُـمُ الـجـودُ يُـفْـقِـرُ والإقـدامُ قَـتّـالُ

19 وَإنّـمـا يَـبْـلُـغُ الإنْـسـانُ طـاقَـتَـهُ مـا كُـلُّ مـاشـيَـةٍ بـالـرّحْـلِ شِـمْـلالُ

20 إنّـا لَـفـي زَمَـنٍ تَـرْكُ الـقَـبـيـحِ بـهِ مِـنْ أكـثـرِ الـنّـاسِ إحْـسـانٌ وَإجْـمـالُ

21 ذِكْـرُ الفتى عُـمْـرُهُ الثّاني وَحـاجَـتُـهُ مـا قـاتَـهُ وَفُـضـولُ الـعَـيـشِ أشـغـالُ

شرح المفردات:

- [1] المقصود: أن الشاعر يقابل عطاء ممدوحه بشعره.
- [2] فاجئة: مفاجئة.
- [3] الممدوح كسب مجده بسيفه، لا بمال ورثه، إذ الكريم يفني ماله قبل أن يصل لورثته.
- [6] القاتل السيف: أي يكسره.
- [7] الأهمال: الإبل لا راعي لها، والمعنى: هيبته تهزم عدوه، وتمنع إبله (ماله) أن يغار عليها.
- [8] المعنى: المصيبة عنده ترحل الضيف، لافقده ماله وولده.
- [9] الصدى: العطش - المحض: الّذي لم يخلط بماء أو غيره - اللقاح: الناقة الحلوب.
- [10] النفوس: الدماء. يمدحه بالنصر على أعدائه، وإكرام ضيفانه.
- [11] الرئبال: الأسد.
- [12] صروف الدهر: مصائبه وحوادثه - الاغتيال: الإهلاك غفلة.
- [13] المهند: السيف القاطع - أصم الكعب: الرمح الصلب - عسّال: مهتز. أي استحقّ الرياسة بشجاعته.
- [15] لطّفت" بلغت غاية اللطف.
- [17] الروع: الفزع - البذال: صيغة مبالغة.
- [19] الشملال: الناقة القوية السريعة. والمعنى: ما كل كريم يبلغ غاية كرمك وفضلك.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صَحِبَ النّاسُ قَبلَنا ذا الزّمانا

1 صَحِبَ الـنّـاسُ قَبلَنا ذا الزّمانا وَعَـنـاهُـمْ مِـن شـأنِـهِ مـا عَنانا

2 وَتَـوَلّـوْا بِـغُـصّـةٍ كُـلّـهُـمْ مِنْ ـهُ وَإنْ سَـرّ بَـعْـضَـهُـمْ أحْيانا

3 رُبّـمـا تُـحـسِـنُ الـصّـنـيـعَ لَياليـ ـهِ وَلَـكِـنْ تُـكَـدّرُ الإحْـسـانـا

4 وَكَـأنّـا لم يَـرْضَ فينا بـرَيْـبِ الـ ـدّهْـرِ حتّى أعـانَـهُ مَـنْ أعانا

5 كُـلّـمـا أنْـبَـتَ الـزّمـانُ قَـنـاةً رَكّـبَ الـمَـرْءُ في القَناةِ سِنانا

6 وَمُـرادُ النّفوسِ أصْـغَـرُ مِـنْ أنْ تَـتَـعـادى فـيـهِ وَأنْ تَتَفانى

7 غَـيـرَ أنَّ الفَتى يُـلاقـي المَنايا كـالِـحـاتٍ وَلا يُـلاقـي الـهَـوانـا

8 وَلَـوَ انَّ الـحَـيـاةَ تَبْقى لِـحَـيٍّ لَـعَـدَدْنـا أضَـلّـنـا الـشّـجْـعـانـا

9 وَإذا لَـمْ يَكُنْ مِـنَ الـمَـوْتِ بُدٌّ فَـمِـنَ الـعَـجْـزِ أنْ تـكـونَ جَبانا

10 كُلُّ ما لَمْ يكُنْ مِنَ الصّعبِ في الأَنْ ـفُـسِ سَـهْـلٌ فيها إذا هـوَ كانا

شرح المفردات:

- [5] القناة: أراد بالقناة الشر والكيد.
- [7] كالحات: عابسات.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بَأدْنى ابْتِسامٍ مِنْكَ تَحيا القَرائِحُ

1	أَدْنــى ابتِسامٍ مِنْكَ تَحيا القَرائِحُ	وَتَقوى مِنَ الجسْمِ الضّعيفِ الجَوارحُ
2	وَمَـن ذا الّـذي يَقضي حقوقَكَ كُلَّها	وَمَن ذا الّذي يُرْضي سوى مَنْ تُسامحُ
3	وَقـد تَقبَلُ الـعُـذْرَ الخَفيَّ تَكَرُّمًا	فَما بـالُ عُـذْري واقِـفًـا وَهـوَ واضـحُ
4	وَإنّ مُحالاً -إذْ بكَ العَيشُ- أنْ أُرى	وَجِـسـمُـكَ مُعتَلٌّ وجِسميَ صالحُ
5	وَمـا كـانَ تَـرْكـي الـشِّـعْـرَ إلّا لِأَنّــهُ	تُقَصّرُ عَـن وَصْـفِ الأميرِ المَدائحُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أراعَ كَذا كُلَّ الملوكِ هُمام؟*

1 أراعَ كَـذا كُـلَّ الملوكِ هُمامُ وَسَـحَّ لَـهُ رُسْـلَ المُلوكِ غَمامُ

2 وَدانَـتْ لَهُ الدّنْيا فأصْبَحَ جالِسًا وَأيّـامُـهـا فيما يُـريـدُ قـيـامُ

3 إذا زارَ سَيْفُ الدّوْلَةِ الرّومَ غازيًا كَفاها لِـمـامٌ لَـوْ كَـفـاهُ لِمامُ

4 فَتًى تَتْبَعُ الأزْمانُ في النّاسِ خَطوَهُ لِـكُـلِّ زَمـانٍ فـي يَـدَيْـهِ زِمـامُ

5 تَنامُ لَدَيْكَ الرّسْلُ أمْنًا وَغِبطةً وَأجـفـانُ رَبِّ الـرُّسْـلِ ليسَ تَنامُ

6 حِـذارًا لمُعْرَوْري الجيادِ فُجاءَةً إلى الطّعْنِ قُبْلًا ما لَهُنّ لِجامُ

7 تَـعَـطَّـفُ فيهِ والأَعِـنّـةُ شَعْرُها وَتُـضْـرَبُ فيهِ والـسّـيـاطُ كَـلامُ

8 وَما تَنْفَعُ الخَيلُ الكِرامُ وَلا القَنا إذا لم يَكُنْ فَـوْقَ الكِرامِ كِرامُ

9 إلى كَمْ تَـرُدُّ الرُّسْلَ عَمّا أتَـوْا لَهُ كـأنّـهُـمُ فيما وَهَـبْـتَ مَـلامُ

10 فإنْ كُنْتَ لا تُعْطي الذِّمامَ طَواعَةً فَـعَـوْذُ الأَعـادي بالكَريمِ ذِمـامُ

11 وَإنَّ نُـفـوسًـا أَمّـمَـتْـكَ مَنيعَةٌ وَإنّ دِمـاءً أمّـلَـتْـكَ حَـرامُ

12 إذا خافَ مَلْكٌ مِنْ مَليكٍ أجَرْتَهُ وَسَيْفَكَ خافوا والـجِـوارَ تُسامُ

13 لَهُمْ عَنْكَ بالبيضِ الخِفافِ تَفَرّقٌ وَحَـوْلَـكَ بالكُتْبِ اللِّطافِ زِحامُ

14 تَـغُـرُّ حَـلاواتُ النّفوسِ قُلوبَها فتَختارُ بَعضَ العَيشِ وَهْوَ حِمامُ

15 وَشَـرُّ الحِمامَينِ الزّؤامَينِ عيشَةٌ يَـذِلُّ الّـذي يَختارُها وَيُـضـامُ

16 فَلَوْ كانَ صُلْحًا لم يَكُنْ بشَفاعَةٍ وَلَـكِـنّـهُ ذُلٌّ لَـهُـمْ وَغَـرامُ

17 وَمَـنٌّ لِـفُـرْسـانِ الثّغورِ عَلَيْهِمُ بتَبْليغِهِمْ مـا لا يَـكـادُ يُـرامُ

18 كَتائِبُ جاؤوا خاضِعينَ فأقْدَموا وَلَـوْ لم يكونوا خاضِعينَ لخاموا

19 وَعَـزّتْ قَديمًا في ذَراكَ خُيولُهُمْ وَعَـزُّوا وَعامَتْ في نَـداكَ وَعاموا

20 على وَجْهِكَ المَيمونِ في كُلِّ غارَةٍ صَـلاةٌ تَـوالـى مِـنْـهُـمُ وَسَـلامُ

* قالها ورسول كسرى يطلب الصلح والهدنة من سيف الدولة وهم في الثغور عام 443ه، شرح البرقوقي، ديوان المتنبّي، الجزء 4، الصفحة 901.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

21 وَكُـلُّ أُنـاسٍ يَتْبَعونَ إمامَهُمْ وَأنـتَ لأهْـلِ الـمَـكْـرُمـاتِ إمـامُ

22 وَرُبَّ جَـوابٍ عَـن كِتابٍ بَعَثْتَهُ وَعُـنْـوانُـهُ لـلـنّـاظِـريـنَ قَـتـامُ

23 تَضيقُ بِهِ البَيداءُ مِنْ قَبْلِ نَشرِهِ وَمـا فُـضَّ بالبَيْداءِ عَنهُ خِتامُ

24 حُـروفُ هِجاءِ النّاسِ فيهِ ثَلاثَةٌ: جَـوادٌ وَرُمْـحٌ ذابِـلٌ وَحُـسـامُ

25 أخا الحَرْبِ قد أتْعَبْتَها فالْهَ ساعَةً لِيُغْمَدَ نَـصْـلٌ أَوْ يُـحَـلَّ حِـزامُ

26 وَإنْ طـالَ أعمارُ الـرّمـاحِ بهُدْنَةٍ فـإنّ الّـذي يَعْمُرْنَ عِـنـدَكَ عامُ

27 وَما زِلْتَ تُفني السُّمْرَ وَهْيَ كَثيرَةٌ وَتُفْني بِهِنّ الجَيْشَ وَهـوَ لُهامُ

28 متى عاوَدَ الجالونَ عاوَدْتَ أرْضَهُمْ وَفيها رِقـابٌ للسّيوفِ وَهـامُ

29 جَرى مَعَكَ الجارونَ حتّى إذا انتَهوا إلى الغايَةِ القُصْوى جرَيتَ وَقاموا

30 فَلَيْسَ لشَمْسٍ مُـذْ أنَـرْتَ إنـارَةٌ وَلَـيـسَ لـبَـدْرٍ مُـذْ تَمَمْتَ تَمامُ

شرح المفردات:

- [2] دانت: انقادت له، وأطاعته.
- [3] اللمام: الزيارة. والمعنى: يكفي الروم قليل من إيقاعه بهم، ولكنه لا يرضى إلّا النصر الكامل؛ بسبيهم وقتلهم وأخذ ممالكهم.
- [4] الزمام: القيادة والسيادة.
- [6] اعروريتُ الفرس: ركبته بلا سرج - قُبلا: متقدمًا إلى أعدائه.
- [7] فيه: في الطعن. المعنى: الخيل معودة على الحرب دون أعنة، ولا تضرب بالسياط.
- [9] شبه رده على الرسل طالبي الصلح برده على من يلومه على إنفاقه وجوده.
- [10] الذمام: العهد - عوذ الأعادي: لجوء الأعادي.
- [12] تسام: تطلب من الجوار والحماية.
- [13] الكتب اللطاف: يقصد بها طلب الصلح.
- [14] الحمام: الموت.
- [15] الزؤام: السريع.
- [18] الكتائب: رسل الروم - خاموا: جبنوا.
- [22] القتام: الغبار.
- [24] فيه: في الكتاب.
- [25] وفي رواية (أذا الحرب): يا صاحب الحرب. الهمزة أداة استفهام، ذا: بمعنى (صاحب، من الأسماء الخمسة).
- [27] جيش لهام: أي كثير يلتهم كل شيء.
- [28] الجالون: الذين جلوا عن أرضهم وهجروها.
- [29] قاموا: أي وقفوا ولم يجاروك بعدها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بِمَ التّعَلّلُ لا أهْلٌ وَلا وَطَنٌ*

1 لا تَلْقَ دَهْـرَكَ إلاّ غَيرَ مُكتَرِثٍ ما دامَ يَصْحَبُ فيهِ روحَكَ البَدنُ

2 فَما يُديمُ سُـرورٌ ما سُـرِرْتَ بِهِ وَلا يَـرُدُّ عَلَيكَ الفائِتَ الحَزَنُ

3 تَحَمّلوا حَمَلَتْكُمْ كـلُّ ناجيَةٍ فكُلُّ بَينٍ عَليّ الـيَـوْمَ مُؤتَمَنُ

4 ما في هَوادِجِكم مِنْ مُهجتي عِوَضٌ إنْ مُتُّ شَوْقًا وَلا فيها لها ثَمَنُ

5 يا مَنْ نُعيتُ على بُعْدٍ بمَجْلِسِهِ كُـلٌّ بما زَعَـمَ النّاعونَ مُرْتَهَنُ

6 كَمْ قد قُتِلتُ وَكَمْ قَدْ مُتُّ عندَكُمُ ثُمَّ انتَفَضْتُ فزالَ القَبرُ والكَفَنُ

7 قد كانَ شاهَدَ دَفني قَبلَ قَوْلِهِمُ جَماعَةٌ ثُمَّ ماتوا قبلَ مَن دَفَنوا

8 ما كلُّ ما يَتَمَنّى الـمَـرْءُ يُـدْرِكُـهُ تجري الرّياحُ بما لا تَشتَهي السّفُنُ

9 رَأيتُكُم لا يَصونُ العِرْضَ جارُكمُ وَلا يَـدِرُّ على مَـرْعـاكُـمُ اللّبَنُ

10 جَـزاءُ كُـلِّ قَـريـبٍ مِنكُمُ مَلَلٌ وَحَـظُّ كُـلّ مُحِبٍّ منكُمُ ضَغَنُ

11 وَتَغضَبونَ على مَنْ نالَ رِفْدَكُمُ حتى يُعاقِبَهُ التّنغيصُ والمِنَنُ

12 فَغادَرَ الهَجْرُ ما بَيني وَبينَكُمُ يَهماءَ تكذِبُ فيها العَينُ والأُذُنُ

13 تَحْبو الرّواسِمُ مِن بَعدِ الرّسيمِ بها وَتَسألُ الأرْضَ عن أخفافِها الثَّفِنُ

14 إنّي أُصاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ

15 وَلا أُقـيـمُ على مـالٍ أذِلُّ بِـهِ وَلا أَلَـذُّ بِما عِـرْضـي بِـهِ دَرِنُ

---

* قالها بمصر، وقد بلغه أنّ قومًا نعوه في مجلس سيف الدولة. شرح البرقوقي، ديوان المتنبّي، الجزء 4، الصفحة 363.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 سَهِرْتُ بَعد رَحيلي وَحشَةً لكُمُ ثُمَّ استَمَرَّ مريري وارْعَوى الوَسَنُ

17 وَإنْ بُليتُ بـوُدٍّ مِـثْـلِ وُدّكُـمُ فـإنّـنـي بـفِـراقٍ مِـثْـلِـهِ قَـمِـنُ

18 أبْلى الأجِلّةَ مُهْري عِندَ غَيرِكُمُ وَبُـدِّلَ العُذْرُ بالفُسطاطِ والرّسَنُ

19 عندَ الهُمامِ أبي المِسكِ الّذي غرِقَتْ في جودِهِ مُضَرُ الحَمراءِ واليَمَنُ

20 وَإنْ تأخّرَ عَنّي بَعضُ مَـوْعِـدِهِ فَـمـا تَـأخُّـرُ آمـالـي وَلا تَـهِـنُ

21 هـوَ الـوَفـيُّ وَلَـكِـنّـي ذَكَّـرْتُ لَهُ مَـوَدّةً فَـهْـوَ يَبْلوها وَيَمْتَحِنُ

شرح المفردات:

- [12] اليهماء: الأرض الّتي لا يهتدى لها، كأنه يخبر الذين يخاطبهم أنه قد بعد عن بلادهم، فصار بينه وبينهم يهماء تكذب فيها العين والأذن؛ لأنها بعيدة الأرجاء فالعين لا يتبين فيها الشخص على حقيقته، كذلك الأذن ليس سمعها في هذه القفرة.
- [13] يقال: حبا البعير حبوا: إذا عجز عن القيام، فحبا وهو بارك أي مشى على بطنه ويديه، والرواسم: نوق تسير الرسيم؛ وهو ضرب من السير، والثفن: ج: ثفنة، وهو ما يصيب الأرض من أعضاءالبعير إذا برك، يقول قد ذهبت أخفاف هذه الإبل لطول السفر، فثفناتها تقول للأرض ما فعلت أخفافي، أي أين، ثفناتها وقد باشرت الأرض لأنها تحبو لضعفها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَغاني الشِّعْبِ طيبًا في المَغاني*

1 مَغاني الشِّعْبِ طيبًا في المَغاني بِمَنْزِلَةِ الرّبيعِ مِنَ الزّمانِ

2 وَلَكِنّ الفَتى العَرَبيّ فيها غَريبُ الوَجْهِ واليَدِ واللّسانِ

3 مَلاعِبُ جِنّةٍ لَوْ سارَ فيها سُلَيْمانٌ لَسارَ بِتَرْجُمانِ

4 طَبَتْ فُرْسانَنا والخَيلَ حتى خَشيتُ وَإِنْ كَرُمنَ من الحِرانِ

5 غَدَوْنا تَنْفُضُ الأغْصانُ فيها على أعْرافِها مِثْلَ الجُمانِ

6 فسِرْتُ وَقَدْ حَجَبنَ الحَرَّ عنّي وَجِئْنَ منَ الضِّياءِ بما كَفاني

7 وَأَلْقى الشّرْقُ مِنْها في ثيابي دَنانيرًا تَفِرُّ مِنَ البَنانِ

8 لها ثَمَرٌ تُشيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفْنَ بِلا أوانِ

9 وَأَمْواهٌ تَصِلُّ بها حَصاها صَليلَ الحلْيِ في أيدي الغَواني

10 وَلَوْ كانَتْ دِمَشْقَ ثَنى عِناني لَبيقُ الثّرْدِ صينيُّ الجِفانِ

11 يَلَنْجوجيٌّ ما رُفِعَتْ لضَيْفٍ بِهِ النّيرانُ نَدّيُّ الدّخانِ

12 تَحِلُّ بِهِ عَلى قَلْبٍ شُجاعٍ وَتَرْحَلُ منهُ عَن قَلبٍ جَبانِ

13 مَنازِلُ لَمْ يَزَلْ منْها خَيالٌ يُشَيّعُني إلى النَّوْبَنْذَجانِ

14 إذا غَنّى الحَمامُ الوُرْقُ فيها أجابَتْهُ أغانيُّ القيانِ

15 وَمَنْ بالشِّعْبِ أحْوَجُ مِنْ حَمامٍ إذا غَنّى وَناحَ إلى البَيانِ

16 وَقَدْ يَتَقارَبُ الوَصْفانِ جِدًّا وَمَوْصوفاهُما مُتَباعِدانِ

17 يَقولُ بشِعْبِ بَوّانٍ حِصاني: أعَنْ هَذا يُسارُ إلى الطّعانِ

---

* قالها يمدح عضد الدولة وولديه أبا فراس وأبا الدلف، ويذكر طريقه بشعب بوان، شرح البرقوقي، ديوان المتنبّي، الجزء 4، الصفحة 383.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

18 أبـوكُـمْ آدَمٌ سَــنَّ المَعاصي وَعَـلّـمَـكُـمْ مُـفـارَقَـةَ الـجِـنـانِ

19 فَـقُـلـتُ: إذا رَأيْــتُ أبـا شُجاعٍ سَـلَـوْتُ عَـنِ العِبادِ وَذا المَكانِ

20 فَــإنّ الــنّــاسَ والــدّنْـيـا طَـريـقٌ إلـى مَـنْ ما لَـهُ في الـنّـاسِ ثانِ

21 لَقد عَلّمتُ نَفسي القَوْلَ فيهِمْ كَـتَـعْـلـيـمِ الـطّـرادِ بِـلا سِـنـانِ

22 بعَضْدِ الـدّوْلَـةِ امتَنَعَتْ وَعَـزّتْ وَلَـيـسَ لغَيرِ ذي عَـضُـدٍ يَـدانِ

23 وَلا قَبضٌ على البيضِ المَواضي وَلا حَـطٌّ مـنَ الـسُّـمْـرِ الـلّـدانِ

24 دَعَـتْـهُ بـمَـفْـزَعِ الأعْـضـاءِ مِنْها لـيَـوْمِ الـحَـرْبِ بِـكْـرٍ أوْ عَـوانِ

25 فَما يُسْمي كَفَنّا خُـسْـرَ مُسْمٍ ولا يُكْني كَـفَـنّـا خُـسْـرَ كاني

26 وَلا تُـحْـصـى فَـضـائِـلُـهُ بـظَـنٍّ وَلا الإخْـبـارِ عَـنْـهُ وَلا العيانِ

27 أُروضُ النّاسِ مِـنْ تُـرْبٍ وَخَـوْفٍ وَأرْضُ أبـي شُـجـاعٍ مِــنْ أمـانِ

28 يُـذِمّ على اللّصوصِ لكُلّ تَجْرٍ وَيَـضْـمَـنُ لـلـصّـوارِمِ كـلَّ جـانِ

29 إذا طَـلَـبَـتْ وَدائِـعُـهُـمْ ثِقاتٍ دُفِـعْـنَ إلـى المَحاني والـرِّعـانِ

30 فَـبـاتَـتْ فَـوْقَـهُـنّ بِـلا صِحـابٍ تَـصـيـحُ بـمَـنْ يَـمُـرُّ: ألا تَـرانـي

31 رُقــاهُ كـلُّ أبـيَـضَ مَـشْـرَفـيٍّ لِـكُـلِّ أصَــمَّ صِــلٍّ أفْـعـوانِ

32 وَمـا تُـرْقـى لُـهـاهُ مِــنْ نَــداهُ وَلا المالُ الكَريمُ مِـنَ الهَوانِ

33 حَـمـى أطْــرافَ فــارِسَ شَـمّـريٌّ يَـحُـضُّ على التّباقي بالتّفاني

34 بـضَـرْبٍ هــاجَ أطْــرابَ المَنايا سِـوى ضَـرْبِ المَثالِثِ والمَثاني

35 كأنّ دَمَ الجَماجِمِ في العَناصي كَسا البُلدانَ ريـشَ الحَيقُطانِ

36 فَلَوْ طُرِحَتْ قُلوبُ العِشْقِ فيها لما خافَتْ مِنَ الحَدَقِ الحِسانِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

37 وَلـم أرَ قَبْلَهُ شِبْلَيْ هِـزَبْـرٍ كَـشِبْلَـيْـهِ وَلا مُـهْـرَيْ رِهـانِ

38 أشَـــدَّ تَـنـازُعًـا لـكَـريـمِ أصْـلٍ وَأشْـبَـهَ مَـنـظَـرًا بـأبٍ هِـجـانِ

39 وَأكـثـرَ فـي مَجالِسِهِ استِماعًا فُـلانٌ دَقَّ رُمْـحًـا فـي فُـلانِ

40 وَأوّلُ رَأيَـــةٍ رَأيـــا المَعالي فَـقَـدْ عَـلِـقـا بها قَـبـلَ الأوانِ

41 وَأوّلُ لَـفْـظَـةٍ فَـهِـمـا وَقـالا: إغـاثَـةُ صـــارِخٍ أوْ فَـكُّ عـانِ

42 وَكـنْـتَ الشّمسَ تَبهَرُ كُـلَّ عَينٍ فكَيفَ وَقَـدْ بَـدَتْ معَها اثنَتانِ

43 فَعاشا عيشةَ الـقَـمَـرَيـنِ يُحْيا بـضَـوْئِـهِـمـا وَلا يَـتَـحـاسَـدانِ

44 وَلا مَلَكا سِـوى مُـلْـكِ الأعـادي وَلا وَرِثـــا سِـــوى مَـــنْ يَـقْـتُـلانِ

45 وَكـــانَ ابْـنـا عَـــدوٍّ كـاثَـراهُ لَـهُ يـــاءَيْ حُـــروفِ أُنَـيْـسـيـانِ

46 دُعـــاءٌ كـالـثّـنـاءِ بِـــلا رِئـــاءٍ يُـؤدّيـهِ الـجَـنـانُ إلـى الـجَـنـانِ

47 فَقد أصْـبَـحـتَ منهُ فـي فِـرِنْـدٍ وَأصْـبَـحَ منكَ في عَضْبٍ يَمانِ

48 وَلَـوْلا كَوْنُكُمْ في النّاسِ كانوا هُـــراءً كـالـكَـلامِ بِـلا مَـعـانِ

شرح المفردات:

- [10] لبيق: الحاذق - الثرد: ج ثريد.
- [11] يَلَنْجوجيٌّ: نسبة إلى (يلنجون)، وهو العود الّذي يتبخّتر به.
- [13] النوبنذجان: بلد بفارس.
- [23] اللدان: الرماح اللينة المنثنية.
- [25] كاني على وزن (فاعل) من الفعل: كنى، أي سمّاه باسم يبدأ بكلمة أب أو أم.
- [29] المحاني:ج محنى، وهو منعطف الوادي - الرعان: ج رعن، وهو أنف الجبل.
- [35] العناصي: ج عنصوة، وهو الشعر المتفرق في الرأس - الحيقطان: طائر شبيه بالحجل، وهو ذكر الدراج.
- [45] أُنَيْسيان: تصغير (إنسان).
- [46] رئاء: رياء.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لِكُلِّ امرئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوّدا *

1 لِكُلِّ امـرئٍ مِـنْ دَهْــرِهِ ما تَـعَـوّدا وعادَةُ سيفِ الدّوْلةِ الطَّعْنُ في العِدا

2 وَرُبَّ مُـريـدٍ ضَـــرَّهُ ضَـــرَّ نَـفْـسَـهُ وَهـادٍ إلَيهِ الجيشَ أهدى وما هَدى

3 وَمُستَكْبِرٍ لم يَـعـرِفِ الـلّـهَ ساعَةً رَأى سَـيْـفَـهُ فـي كَـفّـهِ فتَشَهّدا

4 هوَ البَحْرُ غُـصْ فيهِ إذا كـانَ ساكنًا على الـدُّرّ واحــذَرْهُ إذا كـانَ مُزْبِدا

5 وَصـولٌ إلـى المُسْتَصْعَباتِ بخَيْلِهِ فلَوْ كـانَ قَـرْنُ الشّمسِ مـاءً لأوْرَدا

6 تـظـلُّ مـلـوكُ الأرضِ خـاشـعـةً له تُـفـارِقُـهُ هَـلْـكـى، وَتـلـقـاهُ سُـجّـدا

7 لذلك سَمّى ابـنُ الدُّمُستُقِ يَوْمَهُ مَماتًا وَسَـمّـاهُ الـدُّمُـسـتُـقُ مـوْلِـدا

8 فَـوَلّـى وَأعــطــاكَ ابْـنَـهُ وَجُـيـوشَـهُ جَميعًا وَلـم يُعطِ الجَميعَ ليُحْمَدا

9 وَيَمْشي بهِ العُكّازُ في الدّيرِ تائِبًا وَمـا كـانَ يَرْضى مشيَ أشقَرَ أجـرَدا

10 هَنيئًا لـكَ العيدُ الّـذي أنـتَ عيدُهُ وَعـيـدٌ لمَنْ سَمّى وَضَـحّـى وَعَـيّـدا

11 فَذا اليَوْمُ في الأيّامِ مثلُكَ في الوَرى كما كنتَ فيهِمْ أوْحـدًا كـانَ أوْحَـدا

12 وَمـا قَـتَـلَ الأحــرارَ كالعَفوِ عَنهُمُ وَمَـنْ لكَ بالحُرِّ الّـذي يحفَظُ اليَدا

13 إذا أنــتَ أكْـرَمـتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ وَإنْ أنْــتَ أكْـرَمـتَ اللّئيمَ تَـمَـرّدا

14 وَوَضْعُ النّدى في موْضعِ السّيفِ بالعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السّيفِ في مَوْضِعِ النّدى

15 وَلـكـنْ تَـفـوقُ الـنّـاسَ رَأيًـا وَحِكمةً كما فُقتَهمْ حـالًا وَنَفسًا وَمحْتِدا

---

* أنشدها المتنبّي لسيف الدولة مهنئًا بعيد الأضحى في ميدان حلب، وهما على فرسيهما، عام243 ه، شرح البرقوقي، ديوان المتنبّي، الجزء الثاني، الصفحة 3.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 أزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بكَبتِهِمْ فأنتَ الّـذي صَيّـرْتَـهُـمْ لـيَ حُسّدا

17 إذا شَـدَّ زَنْـدي حُسنُ رَأيـكَ فيهِمُ ضرَبْتُ بسَيفٍ يَقطَعُ الهامَ مُغمَدا

18 وَمـا أنـا إلّا سَـمْـهَـريٌّ حَـمَـلْـتَـهُ فـزَيّـنَ مَـعْـروضًـا وَراعَ مُـسَـدَّدا

19 وَمـا الـدّهْـرُ إلّا مِـنْ رواةِ قَصائِدي إذا قُلتُ شِعرًا أصْبَحَ الدّهرُ مُنشِدا

20 فَـسـارَ بـهِ مَـنْ لا يَـسـيـرُ مُـشَـمِّـرًا وَغَـنّـى بـهِ مَـنْ لا يُـغَـنّـي مُـغَـرِّدا

21 أجِـزْنـي إذا أُنْـشِـدْتَ شِـعـرًا فإنّما بشِعري أتـاكَ الـمـادِحـونَ مُـرَدَّدا

22 وَدَعْ كُـلَّ صَـوْتٍ غَيرَ صَوْتي فإنّني أنا الطّائِرُ المَحْكيُّ والآخَـرُ الصّدى

23 وَقَـيّـدْتُ نَفْسي في ذَراكَ مَحَبّةً وَمَـنْ وَجَـدَ الإحْـسـانَ قَـيْـدًا تَقَيّدا

شرح المفردات:

- [10] الفسطاط: مدينة بمصر. - أزرتُه: زرتُه.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كفى بكَ داءً*

- الشخص الّذي تلا سيف الدولة الحمداني أهمية في سيرة المتنبّي هو كافور الإخشيدي. فقد فارق أبو الطيب حلبًا إلى مدن الشام ومصر، وكأنه يضع خطة لفراقها ،ويعقد مجلسًا يقابل سيف الدولة. من هنا كانت فكرة الولاية أملًا في رأسه ظل يقوى، ودفع به للتّوجّه إلى مصر حيث (كافور الإخشيدي). وكان مبعث ذهاب المتنبّي إليه على كرهه له لأنه طمع في ولاية يولّيها إياه. و لم يكن مديح المتنبّي لكافور صافيًا، بل بطّنه بالهجاء و الحنين إلى سـيف الدولة الحمداني في حلب، ولمّا وصل المتنبّي مصر، خلع عليه كافور الإخشيدي آلاف الدراهم، فأنشده:

1	كفى بكَ داءً أَنْ ترى المَوْتَ شافيا	وَحَسْبُ المَنايا أَنْ يَكُنّ أَمانيا
2	تَمَنّيْتَها لَمّا تَمَنّيْتَ أَنْ تَرى	صَديقًا فَأَعْيا أَوْ عَـدوًّا مُداجيا
3	إذا كُنْتَ تَرْضى أَنْ تَعيشَ بذِلّةٍ	فَلا تَسْتَعِدَنَّ الحُسامَ اليَمانيا
4	فما يَنفَعُ الأُسْدَ الحَياءُ مِنَ الطَّوى	وَلا تُتّقى حتّى تَـكونَ ضَواريا
5	حَبَبْتُكَ - قَلْبي - قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأى	وَقد كانَ غَـدّارًا فَكُنْ أَنْـتَ وافيا
6	وَأَعْلَمُ أَنَّ البَيْنَ يُشْكيكَ بَعْدَهُ	فَلَسْتَ فُـؤادي إِنْ رَأَيْـتُـكَ شاكيا
7	إذا الجودُ لَمْ يُرْزَقْ خلاصًا مِنَ الأذى	فلا الحَمْدُ مَكسوبًا، وَلا المالُ باقيا
8	وَللنّفْسِ أَخْـلاقٌ تَـدُلُّ على الفَتى	أَكـانَ سَخاءً ما أتى أَمْ تَساخيا
9	أَقِـلَّ اشتياقًا أيُّها القَلْبُ رُبّما	رَأَيْتُكَ تُصْفي الوُدَّ مَنْ لَيْسَ جازيا
10	وَلَـكِـنَّ بالفُسْطاطِ بَـحْـرًا أَزَرْتُـهُ	حَياتي وَنُصْحي والهَوى والقَوافيا
11	أَبا المِسْكِ ذا الوَجْهُ الّذي كُنْتُ تائِقًا	إِلَيْهِ وَذا اليَوْمُ الّذي كُنْتُ راجيا
12	إذا كَسَبَ النّاسُ المَعاليَ بالنّدى	فإنّكَ تُعطي في نَـداكَ المَعاليا
13	وَغَـيْـرُ كَثيرٍ أَنْ يَـزورَكَ راجِـلٌ	فَـيَـرْجِـعَ مَلْكًا لِلْعِراقَيْنِ واليا

* قالها المتنبّي وقد فارق سيف الدولة، ورحل إلى دمشق، وكاتبه كافور بالمسير إليه، شرح البرقوقي، الجزء4، الصفحة 34.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

14 وَما كُنتَ مِمَّنْ أدرَكَ المُلْكَ بالمُنى وَلَـكِـنْ بـأيّـامٍ أَشَـبْـنَ النّواصيا

15 وَقُـدْتَ إلَيْها كُـلَّ أَجـرَدَ سابِحٍ يُـؤَدّيـكَ غَضْبانًا وَيَثْنيكَ راضيا

16 كَتائِبَ ماانفَكَّتْ تَجوسُ عَمائِرًا مِنَ الأَرْضِ قد جاسَتْ إليها فَيافيا

17 غَـزَوْتَ بها دورَ المُلوكِ فَباشَرَتْ سَـنابِكُها هاماتِهِـمْ والمَغانيـا

18 دَعَتْهُ فَلَبّاها إلى المَجْدِ والعُلا وَقَدْ خالَفَ النّاسُ النّفوسَ الدّواعيا

19 فَأَصبحَ فـوقَ العالَمينَ يَـرَوْنَـهُ وَإِنْ كـانَ يُدْنيهِ الـتَّـكَـرُّمُ نائيا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصٌ رديفةٌ منَ العَصرِ العبّاسيِّ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْباءً مِنَ الكُتُبِ*

أبو تمّام

- قال أبو تمّام يمدح المعتصم، ويُذكِّرهُ بانتصاره على الروم في موقعة عمّوريّة سنة 836م:

1 السَّيْفُ أَصْـدَقُ إِنْـبـاءً مِـنَ الكُتُبِ في حَـدِّهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ

2 بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ في مُـتـونِـهـنَّ جـلاءُ الـشَّـكِ والـرّيَـبِ

3 والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمـاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الخَميسَيْنِ لافي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

4 أَيْـنَ الـرّوايَـةُ بَـلْ أَيْـنَ النُّجومُ وَما صاغوه مِنْ زُخْـرُفٍ فيها وَمِـنْ كَذِبِ

5 تـخـرُّصًـا وأحـاديـثًـا مـلـفَّـقـةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذا عُـدَّتْ ولاغَـرَبِ

6 عـجـائـبًـا زعـمـوا الأيّـامَ مُجْفلةً عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْـفـار أَوْ رَجَـبِ

7 وخَوَّفوا النّاسَ مِـنْ دَهْياءَ مُظْلِمَةٍ إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنبِ

8 وصـيَّـروا الأَبْـرُجَ الـعُـلْـيـا مُـرتَّـبـةً ما كـانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ

9 يقضونَ بـالأمـرِ عنْها وهـيَ غافِلةٌ ما دارَ في فَلَكٍ منْها وفـي قُطُبِ

10 لَـوْ بَـيَّـنَـتْ قَـطُّ أمـرًا قبلَ موقعِهِ لم تُخْفِ ماحلَّ بالأوثان والصُّلُبِ

11 فَتْحُ الفُتوحِ تَعالى أَنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ مِن الشّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

12 فـتـحٌ تـفـتَّـحُ أبـوابُ الـسَّـمـاءِ لـهُ وتـبـرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ

13 يا يَـوْمَ وَقْـعَـةِ عَـمّـوريَّـةَ انْصَرَفَتْ منكَ المُنى حُفَّلًا معسولةَ الحلبِ

14 أبقيْتَ جدَّ بني الإسـلامِ في صُعُدٍ والمُشْرِكينَ ودارَ الشِّرْكِ في صَبَبِ

15 أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَـوْا أَن تُفْتَدى جَعَلوا فـداءهـا كـلَّ أمٍّ مـنـهـمُ وأبِ

16 وبـرْزَةِ الـوجـهِ قـدْ أعيتْ رياضتُها كِسْرى وصدَّتْ صُدودًا عَنْ أَبي كَرِبِ

---

* ديوان أبو تمام، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 69.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

17 بِـكْـرٌ فَما افْتَرَعَتْها كَـفُّ حـادِثَـةٍ ولا تـرقَّـتْ إلـيـها هـمَّـةُ الـنّـوبِ

18 مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبلَ ذَلِـكَ قَدْ شابتْ نواصي اللَّيالي وهيَ لمْ تشبِ

19 حَتّى إذا مَخَّضَ اللَّهُ السِّنينَ لَها مَخْضَ البِخيلَةِ كانَتْ زُبْـدَةَ الحِقَبِ

20 أتـتـهُـمُ الـكُـربـةُ الـسَّـوداءُ سـادرةً منها وكـانَ اسمُها فـرّاجـةَ الـكُـربِ

21 جـرى لها الـفـألُ بـرحًـا يـومَ أنقرةٍ إذْ غودرتْ وحشةَ السّاحاتِ والرِّحبِ

22 لمّا رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كانَ الْخَرابُ لَها أَعْـدى من الجَرَبِ

23 كـمْ بينَ حيطانها مِـنْ فـارسٍ بطلٍ قاني الـذّوائـبِ مِـنْ آني دَمٍ سَـرِبِ

24 بسُنَّةِ السَّيفِ والخطيِّ مِـنْ دَمِـهِ لاسُـنَّـةِ الـدّيـنِ والإِسْـلاَمِ مُخْتَضِبِ

25 لقد تـركـتَ أمـيـرَ المؤمنينَ بها للنّارِ يومًا ذليلَ الصَّخرِ والخشبِ

26 غادرتَ فيها بهيمَ اللَّيلِ وهوَ ضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَها صُـبْـحٌ مِـنَ اللَّهَبِ

27 حتّى كـأنَّ جلابيبَ الـدُّجـى رغبتْ عَنْ لَوْنِها أَو كَأَنَّ الشَّمْسَ لَم تَغِبِ

28 ضـوءٌ مـنَ الـنّـارِ والظَّلماءُ عاكفةٌ وظُلمةٌ مِنْ دُخـانٍ في ضُحًى شَحِبِ

29 فالشَّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا وقدْ أَفَلَتْ والشَّمسُ واجبةٌ منْ ذا ولـمْ تجبِ

30 تصرَّحَ الـدَّهـرُ تصريحَ الغمامِ لها عنْ يـومِ هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُبِ

31 لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ يَومَ ذاكَ على بـانٍ بأهلٍ وَلَـم تَـغْـرُبْ على عَـزَبِ

32 مـا ربـعُ ميَّـةَ مـعـمـورًا يطيفُ بهِ غَيْلاَنُ أَبْهى رُبًى مِنْ رَبْعِها الخَرِبِ

33 ولا الْـخُـدودُ وقـدْ أُدْمينَ مِـنْ خجَلٍ أَشهى إلى ناظِري مِنْ خَدّها التَّرِبِ

34 سَـمـاجَـةً غنيَتْ مِـنّـا الـعُـيـون بِها عنْ كلِّ حُسْنٍ بدا أوْ مَنظرٍ عجبِ

35 وحُـسْـنُ مُـنْـقَـلَـبٍ تَبْقى عَـواقِـبُـهُ جـاءتْ بشاشتُهُ مـنْ سـوءٍ منقلبِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

36 لوْ يعلمُ الكُفْرُ كمْ منْ أعصرٍ كمنتْ لَـهُ العَواقِبُ بَيْنَ السُّمْرِ والقُضُبِ

37 تَـدْبـيـرُ مُـعْـتَـصِـمٍ بِـالـلّـهِ مُنْتَقِمِ لـلّـهِ مُـرتـقـبٍ فـي الـلـه مُـرتـغـبِ

38 ومُطعَمِ النَّصرِ لَـمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ يومًا ولاَ حُجِبَتْ عنْ روحِ مُحتجبِ

39 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا، ولَـمْ يَنْهَدْ إلى بَلَدٍ إلاَّ تـقـدَّمـهُ جـيـشٌ مِـنَ الـرُّعـبِ

40 لَوْ لَمْ يَقُدْ جحفلًا، يومَ الوغى، لغدا منْ نفسهِ، وحدَها، في جحفلٍ لجبِ

41 رمـى بـكَ الـلّـهُ بُـرْجَـيْـهـا فهدَّمَها ولـوْ رمـى بـكَ غيرُ الـلّـهِ لَـمْ يصبِ

42 مِـنْ بَـعْـدِ ما أَشَّبوها واثقينَ بِها واللّـهُ مفتاحُ بـابِ المعقلِ الأشـبِ

43 وقـالَ ذو أَمْـرِهِـمْ لا مَـرْتَـعٌ صَـدَدٌ للسّارحينَ وليسَ الـوردُ مـنْ كثبِ

44 أمـانـيًـا سلبتهمْ نُـجْـحَ هاجسِها ظُبى السّيوفِ وأطـرافُ القنا السُّلُبِ

45 إنَّ الحمامينِ مِـنْ بِيضٍ ومـنْ سُمُرٍ دَلْـوا الحياتين مِن مـاءٍ ومن عُشُبِ

46 لَبَّيْتَ صَـوْتًـا زِبَـطْـريًـا هَـرَقْـتَ لَهُ كـأسَ الكرى ورُضـابَ الخُرَّدِ العُرُبِ

47 عـداكَ حَـرُّ الثُّغورِ المستضامةِ عنْ بـردِ الثُّغور وعـنْ سلسالها الحصبِ

48 أجبتهُ مُعلنًا بالسَّيفِ مُنصَلتًا وَلَـوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ

49 حتّى تَرَكْتَ عَمودَ الشّرْكِ مُنْعَفِرًا وَلَـمْ تُـعـرِّجْ على الأوتـادِ والطُّنُبِ

50 لمّا رأى الحربَ رأْيَ العينِ توفلِسٌ والحَرْبُ مَشْتَقَّةُ المَعْنى مِنَ الحَرَبِ

51 غَـدا يُـصَـرِّفُ بِـالأَمْـوال جِرْيَتَها فَـعَـزَّهُ البَحْرُ ذو التَّيارِ والـحَـدَبِ

52 هَيْهاتَ! زُعْزعَتِ الأَرْضُ الوَقورُ بِهِ عن غـزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزْو مُكتسبِ

53 لـمْ يُنفق الـذّهـبَ المُربي بكثرتهِ على الحصى وبـهِ فقْرٌ إلى الذَّهبِ

54 إنَّ الأُســودَ أســودَ الغيلِ همَّتُها يوم الكريهةِ في المسلوب لا السَّلبِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

55 وَلّـى، وَقَـدْ أَلـجَـمَ الخَطّيُّ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَها الأَحْـشـاءُ في صخَبِ

56 أَحْـذى قَرابينَهُ صَـرْفَ الـرَّدى ومَضى يَحْتَثُّ أَنْجى مَطاياهُ مِـن الهَرَبِ

57 مـوكّـلًا بـيـفـاعِ الأرضِ يُـشـرفُـهُ مِنْ خِفّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطرَبِ

58 إنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّها عَدْوَ الظَّليمِ، فَقَدْ أوسعْتَ جاحمها منْ كثرةِ الحطبِ

59 تِسْعونَ أَلْفًا كآسادِ الشَّرى نَضِجَتْ جُلودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التّينِ والعِنَبِ

60 يا رُبَّ حوباءَ لمّا اجتثَّ دابرهمْ طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ

61 ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بيضُ السُّيوفِ بِهِ حيَّ الرِّضا منْ رداهمْ ميِّتَ الغضبِ

62 والـحَـرْبُ قائمَةٌ فـي مـأْزِقٍ لَجِجٍ تجثو القيامُ بهِ صُغرًا على الرُّكبِ

63 كمْ نيلَ تحتَ سناها من سنا قمرٍ وتَـحْـتَ عارِضِها مِـنْ عـارِضٍ شَنِبِ

64 كمْ كان في قطعِ أسباب الرِّقاب بها إلـى الـمـخـدَّرةِ الـعـذراءِ مـنَ سببِ

65 كَمْ أَحْـرَزَتْ قُضُبُ الهنْديّ مُصْلَتَةً تهتزُّ مـنْ قُـضُـبٍ تهتزُّ فـي كُثُبِ

66 بيضٌ، إذا انتُضيتْ من حُجبها، رجعتْ أحـقُّ بالبيض أتـرابًـا مـنَ الحُجُبِ

67 خَليفَةَ اللَّهِ جازى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ جُرْثومَةِ الدّيْنِ والإِسْـلاَمِ والحَسَبِ

68 بـصُـرْتَ بالرّاحةِ الكُبرى فلمْ ترها تُـنـالُ إلاَّ على جسرٍ مـنَ التَّعبِ

69 إنْ كانَ بينَ صُروفِ الدَّهرِ مِنْ رَحِمٍ موصولةٍ أوْ ذمـامٍ غيرِ مُنقضبِ

شرح المفردات:

70 فَبَيْنَ أيّـامِـكَ الـلاَّتـي نُـصِـرْتَ بِها وبَـيْـنَ أيّـامِ بَـدْرٍ أَقْـرَبُ النَّسَبِ

- [7] ذو الذنب: مذنب هالي.
- [14] جلد: العزائم. أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم صُفْرَ الوجوهِ وجلَّتْ أَوْجُـهَ العَرَبِ
- [17] بكر فما افترعتها: أرض لم تحرث من قبل.
- [33] سماجة: ضد الملاحة.
- [58] جاحمها: الجحمة: معظم النار، ومنه الجحيم، وهذا مثل ضربه. والجاحمُ: الذي يسّعرها لشدة الحرب واضطرامها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا جارَيْتَ في خُلُقٍ دَنيئًا *

أبو تمّام

• عرّض أبو تمّام ببعض بني حميد، ولكنّه لم يصرّح بهجائهم لمدحه بعضهم الآخر في قصائد أخرى، ولأن منهم محمد بن حميد طائي.

1 إذا جارَيْتَ في خُلُقٍ دَنيئًا فأنتَ ومَنْ تُجاريهِ سواءُ

2 رأيتُ الحُرَّ يجتنبُ المخازي ويَحْميهِ عنِ الغَدْرِ الوَفاءُ

3 وما مِنْ شِدَّةٍ إلاَّ سَيأْتي لَها مِنْ بعدِ شِدَّتها رَخاءُ

4 لقد جَرَّبْتُ هذا الدَّهْرَ حتّى أفادَتْني التَّجارِبُ والعَناءُ

5 إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ وَلّى بَدا لَهُمُ مِنَ النّاسِ الجَفاءُ

6 يَعيش المَرْءُ ما استحيا بِخَيرٍ ويبقى العودُ ما بقيَ اللّحاءُ

7 فلا واللّهِ ما في العيشِ خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحَياءُ

8 إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولَمْ تَسْتَحْيِ فافعَلْ ما تَشاءُ

9 لئيمُ الفعلِ من قومٍ كرامٍ لهُ مِنْ بينِهِمْ أبدًا عُواءُ

---

* ديوان أبو تمام، دار صادر، بيروت الجزء الثاني، الصفحة 791.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صُنْتُ نَفْسي عَمّا يُدَنّس نفسي *
البُحْتُريُّ

- قال البحتريّ يصف إيوان كسرى:

1 صُـنْـتُ نَفْسي عَمّا يُـدَنّـس نفسي وَتَـرَفّـعـتُ عـن جَـدا كُـلِّ جِـبْـسِ
2 وَتَـمـاسَـكْـتُ حَينَ زَعزَعني الدّهْـ ـرُ التماسًا منهُ لتَعسي وَنُكسي
3 بُـلَـغٌ مـنْ صُـبـابَـةِ الـعَـيـشِ عندي طَفّفَتْها الأيّـامُ تَطفيفَ بَخْسِ
4 وَبَـعـيـدٌ مـا بَـيـنَ وارِدِ رِفْـهٍ عَـلَـلٍ شُـرْبُـهُ وَوارِدِ خِـمْـسِ
5 وَكَـأنّ الـزّمـانَ أصْـبَـحَ مَحْمو لًا هَـواهُ مـعَ الأَخَـسِّ الأَخَـسِّ
6 واشـتـرائـي الـعـراقَ خِـطّـةَ غَـبْـنٍ بَـعـدَ بَيعي الـشّـآمَ بَيعةَ وَكْـسِ
7 لا تَـرُزْنـي مُـزاوِلًا لاخْـتـبـاري عِـنـدَ هـذي البَـلـوى فتُنكرَ مَسّي
8 وَقَـديـمًـا عَـهـدْتَـنـي ذا هَـنـاتٍ آبـيـاتٍ عـلـى الـدّنـيـاتِ شُـمْـسِ
9 وَلَـقَـدْ رابَـنـي نُـبـوُّ ابـنِ عَـمّـي بَـعْـدَ لـيـنٍ مِـنْ جانـبَـيـهِ وأُنْـسِ
10 وإذا مـا جُـفـيـتُ كـنـتُ جـديـرًا أنْ أُرى غيرَ مُصْبحٍ حَيثُ أُمسي
11 حَـضَـرَتْ رَحـلـيَ الـهُـمـومُ فَـوَجّـهْ. ـتُ إلـى أبـيَـضِ الـمَـدائـنِ عَنْسي
12 أتَـسَـلّـى عَـنِ الـحُـظـوظِ وَآسـى لِـمَـحَـلٍّ مـن آلِ سـاسـانَ دَرْسِ
13 ذَكّـرْتَـنـيـهـمُ الـخُـطـوبُ الـتّـوالـي وَلَـقَـدْ تُـذكِـرُ الـخُـطـوبُ وَتُنسي
14 وَهُـمُ خـافـضـونَ فـي ظـلّ عـالٍ مُـشـرِفٍ يُحسرُ الـعُـيـونَ وَيُخسي
15 مُـغْـلَـقٌ بـابُـهُ عَـلـى جَـبَـلِ الـقَـبْـ ـقِ إلـى دارَتَـيْ خِـلاطٍ وَمَـكْـسِ
16 حِـلَـلٌ لـم تـكُـنْ كـأطْـلالِ سُعدى فـي قِـفـارٍ مـنَ الـبَـسـابـسِ مُـلْـسِ
17 وَمَـسـاعٍ لَـوْلا الـمُـحـابـاةُ منّي لَـمْ تُطِقْها مَسعاةُ عَنسٍ وَعبسِ
18 نَـقَـلَ الـدّهـرُ عَـهْـدَهُـنّ عَـنِ الجِدْ دَةِ حـتّـى رجـعـنَ أنـضـاءَ لُـبْـسِ

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 091.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

19 فـكَـأنّ الـجِـرمـازَ مِـنْ عَـدمِ الأُنْـ ـــسِ وإخْـــلالـــهِ بَـنـيّـةٌ رَمْـــسِ

20 لَـوْ تَـــراهُ عَـلـمْـتَ أنّ اللّيالي جَـعَـلَـتْ فيـهِ مـأتَـمًـا بعد عُـرْسِ

21 وَهْـوَ يُنْبيكَ عَـنْ عَـجـائِـبِ قَـوْمٍ لا يُـشـابُ الـبَـيـانُ فيهم بلَبْسِ

22 فـإذا مـا رَأيْـــتَ صـــورَةَ أنْـطـا كـيَّـةَ ارْتَـعْـتَ بَـيـنَ رومٍ وَفُـرْسِ

23 والـمَـنـايـا مَـــواثِـــلٌ وأنـــوشَـــرْ وانَ يُزْجي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ

24 في اخـضِـرارٍ مـنَ اللّباسِ على أصْـ ـفَـرَ يَـخـتـالُ فـي صَـبـيـغَـةِ وَرْسِ

25 وَعِـــراكُ الـــرّجـــالِ بَـيـنَ يَـدَيْـهِ في خُفوتٍ منهمْ وإغـماضِ جَـرْسِ

26 مـنْ مُـشـيـحٍ يـهـوي بـعـامـلِ رُمْـحٍ وَمُـلـيـحٍ مِـــنَ الـسّـنـانِ بـتُـرْسِ

27 تَـصِـفُ الـعَـيـنُ أنّـهُـمْ جِـدُّ أحيا ءَ لَـهُـمْ بَـيـنَـهُـمْ إشـــارَةُ خُـــرْسِ

28 يَـغـتَـلـي فـيـهـمُ ارْتـيـابـيَ حَـتّـى تَـتـقَـرّاهُـمُ يَـــدايَ بـلَـمْـسِ

29 قَـد سَقاني وَلَـمْ يُـصَـرِّدْ أبـو الغَوْ ثِ على العَسكَرَينِ شَـرْبَـةَ خَلسِ

30 مـنْ مُـــدامٍ تَـظُـنُّـهـا هـيَ نَـجْـمٌ أضـــوَأَ الـلّـيْـلَ أوْ مُـجـاجـةُ شَمسِ

31 وَتَـــراهـــا إذا أجَـــدّتْ سُـــرورًا وارْتـيـاحًـا لـلـشّـارِبِ المُتَحَسّي

32 أُفْـرِغَـتْ في الـزّجـاجِ مِـنْ كُـلِّ قلبٍ فَـهْـيَ مَـحـبـوبَـةٌ إلـى كُـلِّ نَـفْـسِ

33 وَتَـوَهّـمْـتَ أنَّ كـسـرى أبَـرْويـ ـزَ مُـعـاطـيَّ والـبَـلَـهْـبَـذُ أُنْـسـي

34 حُـلُـمٌ مُـطـبِـقٌ على الـشَّـكِّ عَيني أمْ أمـانٍ غَـيّـرْنَ ظَـنّـي وَحَـدْسـي؟

35 وَكَـــأنّ الإيـــوانَ مـنْ عَـجَـبِ الصّنْـ ـعَةِ جَـوْبٌ في جنبِ أرْعَـنَ جِلسِ

36 يُـتَـظَـنّـى مـنَ الـكَـآبَـةِ أنْ يَـبْـ ـدو لعَيْني مُـصَـبِّـحٌ أوْ مُمَسّي

37 مُـزْعَـجًـا بـالـفِـراقِ عـن أُنْـسِ إلْـفٍ عَـزّ أوْ مُـرْهَـقًـا بتَطليقِ عِـرْسِ

38 عكَسَتْ حَـظَّـهُ اللّيالي وَبـاتَ الـ ـمُشتَري فيهِ وَهـو كـوْكـبُ نَحسِ

39 فَـهْـوَ يُـبْـدي تَـجَـلّـدًا وَعَـلَـيْـهِ كَلكَلٌ مـن كَـلاكِـلِ الـدّهـرِ مُرْسي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

40 لـمْ يَعِبْهُ أنْ بُـزَّ مـنْ بُـسُـطِ الدّيـ ـبـاجِ واسـتُـلّ مـن سُـتـورِ الـدِّمَـقْـسِ

41 مُـشْـمَـخِـرٌّ تَـعْـلـو لَـــهُ شُـرُفـاتٌ رُفـعـتْ في رُؤوسِ رَضْـوى وَقُـدْسِ

42 لابـسـاتٌ مـن الـبَـيـاضِ فَـمـا تُـبْـ ـصِـرُ مـنـهـا إلاّ غَـلائـلَ بُـرْسِ

43 لَـيـسَ يُـدرى: أصُـنْـعُ إنْـسٍ لجنٍّ سَـكَـنـوهُ أمْ صُـنـعُ جـنٍّ لإنْـسِ

44 غَـيـرَ أنّـي أراهُ يَـشْـهَـدُ أنْ لَـمْ يَـكُ بـانـيـهِ فـي الـمُـلـوكِ بـنِـكْـسِ

45 فَـكَـأنّـي أرى الـمَـراتـبَ والـقَـوْ مَ إذا مـا بَـلَـغـتُ آخـرَ حسّي

46 وَكَـأنّ الـوُفـودَ ضـاحـيـنَ حَسرى من وقـوفٍ خَلفَ الـزِّحـامِ وَخُنْسِ

47 وَكَـأنّ الـقـيـانَ وَسْـطَ الـمَـقـا صـيـرِ يُـرَجّـعـنَ بـيـنَ حـوٍّ وَلُـعـسِ

48 وَكَـأنّ الـلّـقـاءَ أوّلُ مِـنْ أمْـ ـسِ وَوَشْـكَ الـفـراقِ أوّلُ أمْـسِ

49 وَكَـأنّ الّـذي يُـريـدُ اتّـبـاعًـا طـامـعٌ فـي لُحوقهمْ صُـبـحَ خمسِ

50 عَـمَـرَتْ لـلـسّـرورِ دَهْـرًا فـصـارَتْ لـلـتّـعَـزّي رِبـاعُـهُـمْ والـتّـأسّـي

51 فَـلَـهـا أنْ أُعـيـنَـهـا بـدُمـوعٍ مـوقَـفـاتٍ عَـلـى الـصّـبـابَـةِ حُـبْـسِ

52 ذاكَ عندي وَلَـيـستِ الـدّارُ داري باقـتـرابٍ منها ولا الجنسُ جنسي

53 غَـيـرَ نُـعْـمـى لأهْـلِـهـا عـنْـدَ أهْلي غَـرَسـوا مـنْ زَكـائِـهـا خـيـرَ غَـرْسِ

54 أيّـدوا مُـلْـكَـنـا وَشَـدّوا قـواهُ بـكُـمـاةٍ تـحـتَ الـسّـنَـوّرِ حُـمـسِ

55 وأعـانـوا عَـلـى كـتـائِـبِ أرْيـا طَ بطَعنٍ على الـنّـحـورِ وَدَعْـسِ

56 وأرانـي مـنْ بَـعـدُ أكْـلَـفُ بـالأشْـ ـرافِ طُـرًّا مـنْ كـلّ سِـنْـخٍ وَإسّ

شرح المفردات:

- [7] لا ترزني: لا تمتحني وتجربني.
- [54] السَّنَوَّرْ: كلّ سلاح من حديد، وقيل: هو الدّرع.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أبا سَعيدٍ، وَفي الأيّامِ مُعْتَبَرُ *

البُحْتُريُّ

- قال البحتريّ يمدح محمد بن يوسف، ويعزيه عن المعتصم:

1 أبـا سَـعيـدٍ وَفـي الأيّـامِ مُـعْـتَـبَـرُ والدّهْرُ في حالَتَيْهِ الصّفْوُ والكَدَرُ

2 مـا لـلـحَـوادِثِ لا كـانَـتْ غَوائِلُها وَلاَ أصـابَ لَـهـا نـابٌ وَلاَ ظُـفُـرُ

3 تَعَزَّ بالصّبْرِ واستَبدِلْ أُسًى بأَسًى فالشّمسُ طالِعَةٌ إنْ غُيّبَ القَمَرُ

4 وَهَـلْ خَـلاَ الـدّهْـرُ أولاهُ وآخِـرُهُ مِـنْ قـائِـمٍ بـهُـدًى مُـذْ كـوّنَ البشَرُ

5 إيهًا عَـزاءَكَ لا تُغْلَبْ عَلَيْهِ فَما يَسْتَعْذِبُ الصّبْرَ إلاّ الحَيّةُ الذّكَرُ

6 فَلَمْ يَمُتْ مَـنْ أميرُ المُؤمِنينَ لَهُ بَـقـيّـةٌ وإنِ اسْـتَـوْلـى بِـهِ الـقَـدَرُ

7 مَضى الإمـامُ وأضْـحـى في رَعيّتِهِ إمـامُ عَـدْلٍ بِـهِ يُـسْـتَـنْـزَلُ المَطَرُ

8 إنَّ الخَليفَةَ "هـارونَ" الّـذي وَقَفَتْ فـي كُـنْـهِ آلائِـهِ الأوْهـامُ والفِكَرُ

9 ألْـفـاكَ في نَـصْـرِهِ صُبْحًا أضـاءَ لَهُ لَـيْـلٌ من الفِتْنَةِ الطَّخياءِ مُعتكِرُ

10 سَـكّـنْـتَ حَـدَّ أُنـاسٍ فَـلَّ حَـدَّهُـمُ حَـدٌّ مِـنَ السّيفِ لا يُبْقي ولاَ يَـذَرُ

11 كُنتَ الـمُـسـارِعَ في توكيدِ بَيْعَتِهِ حَـتّـى تَـأكّـدَ مِنْها الـعَـقْـدُ والـمِـرَرُ

12 وَدَعْـوَةٍ لِأَصَـمٍّ الـقَـوْمِ مُسمِعَةٍ يُصْغي إلَيها الهُدى والنّصرُ والظَّفَرُ

13 أقَـمْـتَـهـا لأمـيـرِ الـمُـؤمِـنـيـنَ بِما في نَصْلِ سَيْفِكَ إذْ جاءَتْ بها البُشُرُ

14 فاسْلَمْ جُزيتَ عَنِ الإسلامِ مِنْ مَلِكٍ خَـيـرًا فـأنْـتَ لَـهُ عِـزٌّ وَمُـفْـتَـخَـرُ

شرح المفردات:

- [3] أُسًى (بضم الهمزة): جمع أسوة، التعزية والمواساة. أَسًى (بفتح الهمزة): الحزن والمصيبة.
- [9] الطخياء: المظلمة.
- [11] المِرر: الإحكام والقوة.

---

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 692.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ميلوا إلى الدّارِ مِنْ لَيْلى نُحَيّيها *
البُحْتُريُّ

- قال البحتريّ يمدح أمير المؤمنين العباسي المتوكل، ويصف البِركة (بركة المتوكل):

1 ميلوا إلى الدّارِ مِنْ لَيْلى نُحَيّيها نَعَم وَنَسأَلُها عَن بَعضِ أَهْليها

2 يا دِمْنَةً جاذَبَتْها الرّيحُ بَهجَتَها تَبيتُ تَنْشُرُها طَوْرًا وَتَطْويها

3 لا زِلْتِ في حُلَلٍ للغيثِ ضافيَةٍ يُنيرُها البَرْقُ أَحْيانًا وَيُسديها

4 تَروحُ بالوابِلِ الدّاني رَوائِحُها عَلى رُبوعِكِ أَوْ تَغْدو غَواديها

5 إنّ البَخيلَةَ لَمْ تُنْعِمْ لِسائِلِها يَوْمَ الكَثيبِ وَلَمْ تَسمَعْ لِداعيها

6 مَرّتْ تَأَوَّدُ في قُرْبٍ وَفي بُعُدٍ فالهَجْرُ يُبْعِدُها والدّارُ تُدْنيها

7 لَوْلا سَوادُ عِذارٍ لَيْسَ يُسلِمُني إلى النُّهى لَعَدَتْ نَفْسي عَواديها

8 يا مَنْ رَأى البِرْكَةَ الحَسْناءَ رُؤيَتُها والآنِساتِ إذا لاحَتْ مَغانيها

9 بحَسْبِها أنّها في فَضْلِ رُتْبَتِها تُعَدُّ واحِدَةً والبَحْرُ ثانيها

10 ما بالُ دِجْلَةَ كالغَيْرى تُنافِسُها في الحُسْنِ طَوْرًا وأَطْوارًا تُباهيها

11 أما رَأَتْ كالِئَ الإسلامِ يَكلَؤُها مِنْ أنْ تُعابَ وَباني المَجدِ يَبْنيها

12 كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمانَ الذينَ وَلوا إبْداعَها فَأَدَقّوا في مَعانيها

13 فَلَوْ تَمُرُّ بها بِلْقيسُ عَنْ عَرَضٍ قالَتْ هيَ الصَّرْحُ تَمثيلًا وَتَشبيها

14 تَنْحَطُّ فيها وُفودُ الماءِ مُعْجِلَةً كالخَيلِ خارِجَةً من حَبْلِ مُجريها

15 كَأَنّما الفِضّةُ البَيضاءُ سائِلَةً مِنَ السَّبائِكِ تَجْري في مَجاريها

16 إذا عَلَتْها الصَّبا أبدَتْ لها حُبُكًا مثلَ الجَواشِنِ مَصْقولًا حَواشيها

17 فَرَوْنَقُ الشّمسِ أحْيانًا يُضاحِكُها وَرَيّقُ الغَيْثِ أحْيانًا يُباكيها

18 إذا النُّجومُ تَراءَتْ في جَوانِبِها لَيْلًا حَسِبْتَ سَماءً رُكِّبَتْ فيها

---

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 43.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

19 لا يَبلُغُ السّمَكُ المَحصورُ غايَتَها لِبُعْدِ ما بَيْنَ قاصيها وَدانيها

20 يَعُمْنَ فيها بِأوْساطٍ مُجَنَّحَةٍ كالطّيرِ تَنقَضُّ في جَوٍّ خَوافيها

21 لَهُنّ صَحْنٌ رَحيبٌ في أسافِلِها إذا انحَطَطْنَ وَبَهْوٌ في أعاليها

22 صورٌ إلى صورَةِ الدُّلْفينِ يُؤنِسُها مِنْهُ انْزِواءٌ بِعَيْنَيْهِ يوازيها

23 تَغنى بَساتينُها القُصْوى بِرُؤيَتِها عَنِ السّحائِبِ مُنْحَلاً عَزاليها

24 كأنّها حينَ لَجّتْ في تَدَفّقِها يَدُ الخَليفَةِ لَمّا سالَ واديها

25 وَزادَها رُتبةً مِنْ بَعْدِ رُتْبَتِها أنّ اسْمَهُ حيْنَ يُدْعى من أساميها

26 مَحْفوفَةٌ بِرياضٍ لا تَزالُ تَرى ريشَ الطّواويسِ تَحكيهِ وَتحكيها

27 وَدَكّتَينِ كَمِثْلِ الشِّعرَيَينِ غَدَتْ إحداهُما بإزا الأخرى تُساميها

28 إذا مَساعي أميرِ المُؤمِنينَ بَدَتْ لِلواصِفينَ فَلا وَصْفٌ يُدانيها

29 إنّ الخِلافَةَ لَمّا اهْتَزّ مِنْبَرُها بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أقْصى أمانيها

30 أبْدى التّواضُعَ لَمّا نالَها دَعَةً عَنْها وَنالَتْهُ فاختالَتْ بِهِ تيها

31 إذا تَجَلّتْ لَهُ الدّنْيا بِحِلْيَتِها رَأتْ مَحاسِنَها الدّنْيا مَساويها

32 يا بْنَ الأباطحِ مِنْ أرْضٍ أباطِحُها في ذِرْوَةِ المَجْدِ أعلى مِن رَوابيها

33 ما ضَيّعَ اللهُ في بَدْوٍ وَلاَ حَضَرٍ رَعيّةً أنتَ بالإحْسانِ راعيها

34 وأُمّةً كانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُها دَهْرًا فأصْبَحَ حُسنُ العَدلِ يُرْضيها

35 بَثَثْتَ فيها عَطاءً زادَ في عُدَدِ الـ عَلْيا وَنَوّهْتَ باسْمِ الجوْدِ تَنْويها

36 ما زِلْتَ بَحْرًا لِعافينا فكَيْفَ وَقَد قابَلْتَنا وَلَكَ الدّنْيا بِما فيها

37 أعْطاكَها اللّهُ عَنْ حَقٍّ رَآكَ لَهُ أهْلًا وأنْتَ بحَقّ اللّهِ تُعْطيها

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لمّا كملتَ رويةً وعزيمةً *
البُحْتُريُّ

- قال البحتريّ يصف قصر المعتز باللّه ويمدحه:

1 لـمّـا كـمـلـتَ رويـــةً وعـزيـمـةً أعملتَ رَأْيَــكَ فـي ابتناءِ الكاملِ
2 وغــدوتَ مِـنْ بينِ الملوكِ موفّقًا مـنـهُ لأيْــمَــنِ حِــلَّــةٍ ومـنــازلٍ
3 ذُعِــرَ الحَمـامُ وقـد تَـرَنّـمَ فوقَهُ مِـن منظرٍ خَـطِـرِ الـمَـزلّـةِ هائلٍ
4 رُفِـعَـتْ لِمُخترقِ الـرّيـاحِ سُموكُهُ وزَهَــتْ عَجائِبُ حُسنِهِ المُتَخايلِ
5 وكــأنَّ حـيـطـانَ الــزّجــاجِ بـجـوِّهِ لُجَجٌ يَمُجْنَ على جُنوبِ سواحلِ
6 وكـأنَّ تفويفَ الـرَّخـامِ إذا التقى تـألـيـفُـهُ بـالـمـنـظـرِ الـمـتـقـابـلِ
7 حُـبُـكُ الغَمامِ رُصـفْـنَ بينَ مُنمَّرٍ ومُـسـيَّـرٍ ومُـــقـــارِبٍ ومُـشـاكـلِ
8 لَبِسَتْ مِنَ الذَّهَبِ الصَّقيلِ سقوفُهُ نـورًا يـضـيءُ على الـظَّـلامِ الحافلِ
9 فترى العيونَ يَجُلْنَ في ذي رَونـقٍ مُـتـلَـهِّـبِ الـعـالـي أنـيـقِ الـسّـافـلِ
10 فَـكَـأنَّـمـا نُـــشِـــرَتْ عـلـى بُستانهِ سِـيَـراءُ وَشْـــي الـيُـمْـنَـةِ المتواصلِ
11 أغـنَـتْـهُ دجـلـةُ إذْ تـلاحـقُ فَيضُها عَنْ صَوْبِ مُنْسَجِمِ السَّحابِ الهاطلِ
12 وتـنـفَّـسَـتْ فيه الـصَّـبـا فتعطَّفت أشـــجـــارُهُ مـــن حُـــيَّـــلٍ وحـــوامـــلِ

شرح المفردات:

- [1] روية: تدبرا - عزيمة: همة - الكامل: اسم قصر المعتز بالله.
- [2]الحلة بكسر الخاء المكان الّذي يحل فيه جماعة من النّاس.
- [3] ذعر:خاف - المزلة: موضع الزلل والسقوط يعني خاف الحمام من منظر القصر الهائل لارتفاع بنيانه.
- [4] مخترق الرياح: مهبّها، أو ممرّها - سموكه: جمع سمك وهو ارتفاع البيت - المتخايل: المتعجب.
- [5] لجج: جمع لجة، وهي الماء المجتمع الّذي يعلو - يمجن: يضطربن - جنوب: جمع جنب - سواحل: الشواطئ.
- [6] التفويف: التخطيط. والمراد بالتأليف: التنسيق.
- [7] حبك: الطرائق بين الغمام - منمّر: الّذي كجلد النمر - مسيّر: من (السيراء) نوع من الثياب فيه خطوط صفر.
- [10] سيراء: ثياب ذات خطوط صفر - وشي: نقش الثوب - اليمنة: البرد اليمني.
- [11] صوب: انصباب المطر .
- [12] الصبا: ريح لطيفة - تعطفت: تمايلت - الحُيَّل: النّخلة الّتي لا تحمل ثمارًا، فيقال لها حائل - حوامل: الحامل الّتي تحملها.

* ديوان البحتري، دار صادر، بيروت الجزء الأول، الصفحة 841، و دار صعب بيروت، الجزء الأول، الصفحة 58.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وإنّي وَإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ *

أبو العَلاءِ المَعَريُّ

• قال أبو العلاء مفتخرًا بنفسه:

1 ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعِلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

2 أعندي وقدْ مارستُ كلَّ خفيّةٍ يُصَدَّقُ واشٍ أوْ يُخَيّبُ سائلُ؟

3 تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذَنْبَ لي إلّا العُلا والفضائلُ

4 كأني إذا طُلْتُ الزّمانَ وأهلَهُ رجعتُ وعندي للأنامِ طوائلُ

5 وقدْ سارَ ذكري في البلادِ فمنْ لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوءُها متكاملُ؟

6 يَهُمُّ اللّيالي بعضُ ما أنا مُضمرٌ ويُثقِلُ رَضوى دونَ ما أنا حاملُ

7 وإنّي وَإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لمْ تستطعْهُ الأوائلُ

8 وأغدو ولَوْ أنَّ الصّباحَ صوارِمٌ وأسري ولَوْ أنَّ الظّلامَ جحافلُ

9 وإني جَوادٌ لمْ يُحَلَّ لِجامُه ونصلُ يمانٍ أغفلتهُ الصّياقلُ

10 فإن كانَ في لِبْسِ الفتى شرفٌ لهُ فما السّيفُ إلّا غمدُهُ والحمائلُ

11 ولي منطقٌ لمْ يَرضَ لي كُنْهَ منزلي على أنّني بينَ السِّماكين نازلُ

12 لدى موطنٍ يشتاقُهُ كلُّ سيّدٍ ويَقصُر عن إدراكِهِ المتناولُ

13 ولما رأيتُ الجهلَ في النّاسِ فاشيًا تجاهلتُ حتّى ظُنَّ أنّيَ جاهلُ

14 فوا عجبًا كمْ يَدَّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفًا كمْ يُظهِرُ النَّقْصَ فاضلُ!

15 وكيفَ تنامُ الطّيرُ في وُكُناتها وقدْ نُصِبت للفرقدينِ الحبائلُ؟

16 ينافسُ يومي فيَّ أمسي تشرفًا وتَحسُدُ أسحاري عليَّ الأصائلُ

* ديوان سقط الزند، دار بيروت للطباعة والنشر، الصفحة 391.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

17 وطــالَ اعـتـرافـي بـالـزّمـانِ وصـرفـهِ فلستُ أُبـالـي مَـن تَـغـولُ الغوائلُ

18 فلو بـانَ عضدي ما تأسَّفَ مَنكِبي ولـو مـاتَ زَنــدي مـا بكتْهُ الأنـامـلُ

19 إذا وصــفَ الـطـائـيَّ بالبخلِ مـادرٌ وعــيَّــرَ قُــسًّــا بـالـفـهـاهـةِ بـاقـلُ

20 وقـالَ السُّهى للشّمسِ: أنـتِ ضئيلةٌ وقــالَ الدُّجى للصّبحِ: لونُكَ حائلُ

21 وطـاولــتِ الأرضُ الـسّـمـاءَ سفاهةً وفاخرَتِ الشُّهبَ الحَصى والجنادلُ

22 فيا مــوتُ زُرْ إنَّ الـحـيـاةَ ذميمةٌ ويـا نفسُ جِــدّي إنَّ دهــرَكِ هــازِلُ

شرح المفردات:

- [1] العفاف: أي الكف عما لا يحل ولا يحســن - الإقدام : الشــجاعة - الحزم: التبصر في عواقب الأمور والتدبر في نتائجها - النائل: الكرم والسخاء.
- [2] مارست: باشرت وزاولت - الخفية: الدقيقة المعضلة - النّمام: الساعي في التفرقة بين النّاس.
- [4] طلب الزمان وأهله: أي فُقتُهم بفضائلي - الطوائل: الترات .ج. ترة، وهي الثأر.
- [6] رضوى: جبل بالمدينة.
- [9] الصياقل: صناع السيوف.
- [11] كنه منزلي: حقيقة منزلتي.
- [12] سيد: في محل يرغب فيه كل رفيع القدر - المتناول: ويعجز عن نيله كل من أراد تناوله.
- [15] الوكنات: ج. وكنة، مثلثة الواو مع سكون الكاف وبضم الواو والكاف وهي عش الطائر - الفرقدان: هما نجمان قريبان من القطب - الحبائل: ج حبالة، وهي المصيدة.
- [16] الأسحار: أوقات الليل الّتي قبل الصبح - الأصائل: جمع أصيل قبل الغروب.
- [17] صروف الزمان: نوائبه - أبالي: أكترث - غاله: أهلكه، والغوائل: الدواهي.
- [18] العضد: ما بين المرفق إلى الكتف - المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد - بان: انفصل - الزند: موصل طرف الذراع في الكف - الأنامل: أطراف الأصابع.
- [19] الطائي:هو حاتم المشــهور بالكرم - مادر: لقب رجل من بني هلال يســمى مخارق مشهور بالبخل واللؤم - قس: هو قس بن ساعدة الإيادي كان مشهورًا بالحكمة والبلاغة - الفهاهة: العي وعدم القدرة على تفهيم ما في الضمير - باقل: رجل اشتهر بالعي حتّى إنه اشترى غزالًا بأحد عشر درهمًا فسئل عن ثمنه فمد كفيه يريد عشرة وأخرجه لسانه ليكملها أحد عشر ففر منه الظبي ونجا فضرب به المثل في العي.
- [20] السُّهى: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى - أنت صغيرة - الدجى: الظلام - حائل: متغير.
- [21] الشهب: الكواكب الدراري - الحصى: صغار الحجارة - الجنادل: كبار الحجارة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بكاؤكُما يُشفي وإنْ كانَ لا يُجدي*

ابن الرّوميّ

• قال يرثي ابنه:

1 بكاؤكُما يُشفي وإنْ كانَ لا يُجدي فجودا فقد أودى نظيرُكُما عندي

2 بُنَيَّ الّذي أهدتهُ كفّاي للثَّرى فيا عزَّةَ المُهدى ويا حسرة المُهْدي

3 ألا قاتَلَ اللَّهُ المنايا ورميها من القومِ حَبّاتِ القلوبِ على عَمدِ

4 توخّى حِمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فللّهِ كيفَ اختارَ واسطةَ العِقْدِ

5 على حينِ شِمْتُ الخيرَ من لَمَحاتِهِ وآنستُ مِنْ أفعالِهِ آيةَ الرُّشدِ

6 طواهُ الرَّدى عنّي فأضحى مَزارُهُ بعيدًا على قُربٍ قريبًا على بُعدِ

7 لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها وأخلفَتِ الآمالُ ماكانَ من وعدِ

8 لقد قلَّ بينَ المَهدِ واللّحد لبثُهُ فلم ينسَ عهدَ المهدِ إذْ ضُمَّ في اللّحدِ

9 تنغَّصَ قَبلَ الرَّيِّ ماءُ حَياتهِ وفُجِّعَ منه بالعذوبةِ والبردِ

10 ألحَّ عليه النَّزفُ حتّى أحالَهُ إلى صُفرةِ الجاديِّ عن حُمرَةِ الوردِ

11 وظلَّ على الأيدي تساقَطُ نَفْسُهُ ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّنْدِ

12 فَيالكِ من نفس تُساقَطُ أنفسًا تَساقُطَ دُرٍّ من نِظامٍ بلا عقدِ

13 عجبتُ لقلبي كيفَ لم ينفطرْ لهُ ولو أنَّهُ أقسى من الحجرِ الصَّلدِ

14 بودّيَ أني كنتُ قُدِّمْتُ قبلهُ وأنَّ المنايا دونهُ صَمَدَتْ صَمدي

15 ولكنَّ ربّي شاءَ غيرَ مشيئتي وللرَّبِّ إمضاءُ المشيئةِ لا العبدِ

16 وما سَرَّني أَنْ بعتُهُ بثوابهِ ولو أَنَّهُ التَّخْليدُ في جنَّةِ الخُلدِ

17 ولا بعتُهُ طَوعًا ولكن غُصِبْتُهُ وليسَ على ظُلْمِ الحوداثِ من مُعْدِ

18 وإنّي وإن مُتِّعتُ بابنيَّ بعدَهُ لَذاكرُهُ ما حنَّتِ النّيبُ في نجدِ

19 وأولادُنا مثلُ الجَوارحِ أيُّها فقدناهُ كانَ الفاجِعَ البَيِّنَ الفَقْدِ

---

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 004.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

20 لِـكُـلِّ مـكـانٌ لا يَـسِـدُّ اختـلالَـهُ مـكـانُ أخيـهِ فـي جَــزوعٍ ولا جلدِ

21 هلِ العينُ بعدَ السَّمعِ تكفي مكانَهُ أَمِ السَّمعُ بعدَ العينِ يهدي كما تَهدي

22 لَعمري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعدَهُ فيا ليتَ شِعري كيف حالَتْ بهِ بعدي

23 ثَـكـلـتُ سُــروري كُـلَّـهُ إذْ ثَكلتُهُ وأصبحتُ في لذّاتِ عيشي أَخا زُهدِ

24 أرَيحانةَ العَينينِ والأنــفِ والحشا ألا ليتَ شِعري هَلْ تغيَّرتَ عن عهدي

25 سأسقيكَ مـاءَ العينِ ما أسعدتْ به وإن كانت السُّقيا من الدَّمعِ لا تُجدي

26 أعينيَّ جـودا لي فقد جُـدتُ للثَّرى بِـأَنْـفَـسِ مِـمّـا تُــسـأَلانِ مـن الـرِّفـدِ

27 أعينيَّ إنْ لا تُسعداني أَلُمْكُما وإن تُسعداني اليومَ تَستوجبا حَمدي

28 عـذرتُـكـمـا لـو تُـشـغـلانِ عـن البكا بِنَوْمٍ وَما نومُ الشَّجيِّ أخي الجَهدِ

29 أَقُــرَّةَ عَيني قـدْ أطـلْـتُ بُكاءَها وغـادَرْتُـها أقْـذى من الأعْـيُـنِ الرُّمدِ

30 أَقُــرَّةَ عيني لـو فَـدى الـحَـيُّ ميِّتًا فديتُكَ بالحوباءِ أوَّلَ مَــنْ يَفدي

31 كـأنّـي مـا استَمْتَعتُ منك بنظرة ولا قُبلةٍ أحلى مـذاقًـا من الشَّهدِ

32 كـأنّـيَ مـا استمتعتُ منك بضمّةٍ ولا شـمَّـةٍ فـي ملعبٍ لـكَ أَوْ مهدِ

33 أُلامُ لما أُبــدي عليكَ مِـنَ الأسـى وإنّـي لَأُخفي منه أضعافَ ما أُبدي

34 مـحـمَّـدُ مـا شــيءٌ تـوهَّــمَ سَـلـوةً لقلبيَ إلاَّ زادَ قلبي مـن الـوَجْـدِ

35 أرى أَخــويــكَ الـبـاقـيـنِ فـإنّـمـا يكونان لـلأَحـزانِ أورى مـن الـزَّنـدِ

36 إذا لـعِـبـا فـي مـلـعـبٍ لَــكَ لـذَّعـا فؤادي بمثلِ النّارِ عَنْ غَيرِ ما قَصدِ

37 فما فيهما لـي سَـلـوةٌ بَـلْ حَــزازةٌ يَهيجانِها دونـي وأَشقى بها وحدي

38 وأنــتَ وَإِنْ أُفــرِدْتَ في دارِ وَحْشةٍ فإنّي بِـدارِ الأُنــسِ في وَحشَةِ الفردِ

39 أودُّ إذا مـا الـمـوتُ أوفــدَ مَعشَرًا إلى عَسكَرِ الأمـواتِ أنّـي من الوفْدِ

40 ومـن كـانَ يَستهدي حَبيبًا هَـديَّـةً فَطيفَ خيالٍ مِنكَ في النّومِ أَستهدي

41 عـلـيـكَ سَــلامُ الـلّــهِ مِـنّـي تحيَّةً وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صادقِ البَرْقِ والرَّعدِ

---

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 67.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أتاني مقالٌ من أخٍ فاغتفرتُهُ *

ابن الرّوميّ

- قال في العفو:

1 أتـانـي مـقـالٌ مـن أَخٍ فاغتفرتُهُ وإنْ كـانَ فيما دونَـهُ وجـدُ مُعتَبِ

2 وذكّــرْتُ نفسي منه عندَ امتعاضِها محاسنَ تعفو الذّنبَ عن كلِّ مذنبِ

3 ومثلي رأى الحسنى بعينٍ حَليَّةٍ وأغـضـى عـن الـعـوراءِ غير مؤنّبِ

4 فيا هـاربًـا مـن سخطِنا مُتنصّلًا هـربـتَ إلـى أَنـجـى مَـفـرٍّ ومـهـربِ

5 فـعــذرُكَ مـغـفـورٌ لـديـنـا مـقـدَّمٌ ووِدّكَ مـقـبـولٌ بـأهـلٍ ومَـرحـبِ

6 ولـو بلّغتني عـنـكَ أذنــي أَقمتُها لــديّ مُـقـامَ الـكـاشـحِ المتكذّبِ

7 ولـسـتُ بتقليبِ الـلّـسـانِ مُصارمًا خليليّ إذْ مـا القلبُ لـم يتقلّبِ

شرح المفردات:

- [3] العوراء: العيب - مؤنّب: موبّخ.
- [6] الكاشِح: المبغِض.
- [7] مصارمًا: مقاطِعًا.

---

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 431.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رُبَّ عَرضٍ منزّهٍ عن قبيحٍ *

ابن الرّوميّ

- تكلّف ذمّ القمر، فقال:

1 رُبَّ عَـــرضٍ مُـــنـــزّهٍ عـــن قبيحٍ دنّـــسْـــتْـــهُ مُـــعـــرِّضـــاتُ الـهـجـاءِ

2 لـو أرادَ الأديـــبُ أنْ يهجوَ البدْ رَ، رمـــاهُ بـالـخـطّـةِ الـشّـنـعـاءِ

3 قـــال: يـابـدرُ أنـــتَ تـغـدرُ بالسّا ري وتـــزري بـــزَورةِ الـحـسـنـاءِ

4 كَـلَـفٌ في شحوبِ وجـهِـكَ يحكي نـكـتًـا فـــوقَ وجـنـــةٍ بـرصـاءِ

5 يـعـتـريـكَ الـمـحـاقُ ثـــمّ يليـ ـــكَ شـبـيـهَ الـقُـلامـةِ الـحجـنـاءِ

6 ويليكَ النّقصانُ في آخـرِ الشّهْـ ـــرِ فيمحوكَ مـن أديـــمِ الـسّـمـاءِ

7 فـإذا الـبـدرُ نـيـلَ بالهجوِ هـلْ يأْ مـنُ ذو الفضلِ ألـسـنَ الـشّـعـراءِ؟

8 ولأجـلِ الـمـديحِ بـلْ خيفَةَ الهجْـ ـــوِ أخـــذْنـــا جـــوائـــزَ الـخـلـفـاءِ

شرح المفردات:

- [3] الساري: الّذي يسير ليلًا - بزورة: الزورة خيال يرى بالليل.
- [5] الحجناء: المعكوفة

---

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 1، ص 67.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سألتُكَ حاجةً فسعيْتَ فيها *

ابن الرّوميّ

1 سألتُكَ حاجةً فسعيْتَ فيها بتعذيرٍ نتيجتُهُ اعتذارُ

2 وهانَ عليكَ مُنقلَبي كئيبًا ولِلْحَسراتِ في الأحشاءِ نارُ

3 وليسَ لصاحبِ الحاجاتِ إلّا كريمٌ فيه جِدٌّ وانشمارُ

4 إذا ما نامَ عنها سائلوها تَنَبَّهَ لا يَقَرُّ له قرارُ

5 سواءٌ عندَهُ في كُلِّ حالٍ أفاتَتْ حاجةٌ أَمْ فاتَ ثارُ

6 كأنَّ أخاهُ عُضْوٌ منه فيها ففيه تحُزُّ بالفَوْتِ الشِّفارُ

7 ويلْحى نفسَهُ أن يعذِروه وليسَ له على القدرِ الخيارُ

8 له عندَ الغُدوِّ لها وفيها حِذارِ الفَوْتِ قلبٌ مستطارُ

9 يُحامي أن يفوتَ بها قَضاءٌ كأنَّ المكرماتِ له ذِمارُ

---

* الديوان (شرح الأستاذ أحمد حسن بسج)، ج 2، ص 541.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَنْ سالَمَ النّاسَ سلِمْ*

أبو العتاهيّة

1 مَـــنْ ســالَــمَ الـــنّــاسَ سَـلِـمْ مَـــنْ شــاتَــمَ الـــنّــاسَ شُـتِـمْ

2 مَـــنْ ظَـلَـمَ الـــنّــاسَ أسـا مَـــنْ رَحِـــمَ الـــنّــاسَ رُحِـــمْ

3 مَـــنْ طـلـبَ الـفـضـلَ إلـى غَـيـرِ ذَوي الـفَـضْـلِ حُـرِمْ

4 مَـــنْ حَـفِـظَ الـعَـهـدَ وَفـى مَـــنْ أحـسـنَ الـسَّـمْـعَ فُـهِـمْ

5 مَـــنْ صَـــدَّقَ الـلّـهَ عـلاَ مَـــنْ طـلـبَ الـعِـلْـمَ عـلـمْ

6 مَـــنْ خـالَـفَ الـرُّشـدَ غـوى مَـــنْ تَـبِـعَ الـغَـيَّ نَـدِمْ

7 مَـــنْ لَـــزِمَ الـصّـمْـتَ نَـجـا مَـــنْ قـالَ بـالـخـيـرِ غَـنِـمْ

8 مَـــنْ عَـــفَّ واكْـــتَـــفَّ زَكـا مَـــنْ جَـحَـدَ الـحَـقَّ أَثِـــمْ

9 مَـــنْ مَـسَّـهُ الـضُّـرُّ شَـكـا مَـــنْ عَـضَّـهُ الـدّهْـرُ أَلِـــمْ

10 لَـــمْ يـعـدُ حـيًّـا رزقُـهُ رِزْقُ امـرئٍ حـيـثُ قُـسِـمْ

* ديوان أبو العتاهية، دار صادر، بيروت الصفحة 493.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقاءِ *

أبو العتاهيّة

1 لـعَـمْـرُكَ مـا الـدّنـيـا بـــدارِ بَـقـاءِ كَـفـاكَ بـــدارِ الـــمَـــوْتِ دارَ فَـنـاءِ

2 فـلا تَـعـشَـقِ الـدّنْـيـا أُخَـــيَّ فإنّما يُـــرى عـاشِـقُ الـدُّنـيـا بـجُـهْـدِ بَـلاَءِ

3 حَـــلاَوَتُـــهـــا مـــمـــزَوجَـــةٌ بـمـرارةٍ وراحـــتُـــهـــا مـــمـــزوجَـــةٌ بِـعَـنـاءِ

4 فَـلا تَمشِ يَـوْمًـا في ثيابِ مَخيلَةٍ فـإنَّـكَ مـن طـيـنٍ خُـلِـقـتَ ومـاءِ

5 لَـقَـلَّ امـــرُؤٌ تَـلـقـاهُ لـلّـهِ شـاكِـرًا وقـــلَّ امـــرؤٌ يـرضـى لـــهُ بـقـضـاءِ

6 ولـلّـهِ نَـعْـمـاءٌ عَـلَـيـنـا عَـظـيـمَـةٌ ولـــلّـــهِ إحـــســـانٌ وفـضـلُ عـطـاءِ

7 وما الدَّهرُ يومًا واحـدًا في اختِلاَفِهِ ومـــا كُـــلُّ أيـــامِ الـفـتـى بـسَـواءِ

8 ومـا هـــوَ إلاَّ يـــومُ بـــؤسٍ وشـــدَّةٍ ويـــــومُ سُـــــرورٍ مـــــرَّةً ورخـــاءِ

9 ومـا كـلُّ ما لم أَرْجُ أُحـرَمُ نَفْعَهُ ومـا كُـلُّ مـا أرْجـــوهُ أهـــلَ رَجـاءِ

10 أيـا عجبًا لـلـدَّهـرِ لاَ بَـلْ لريبِهِ يـخـرِّمُ رَيْـــبُ الـدَّهْـرِ كُـلَّ إخـاءِ

11 وشَـتّـتَ رَيـبُ الـدّهـرِ كُـلَّ جَماعَةٍ وكَـــدّرَ رَيـــبُ الـدّهـرِ كُـلَّ صَـفـاءِ

12 إذا ما خَليلي حَلَّ في بَـرْزَخِ البِلى فَحَسْبي بـهِ نـأْيًـا وبُـعْـدَ لِـقـاءِ

13 أزورُ قـبـورَ الـمـتـرفـيـنَ فَـلا أرى بَـهـاءً وكـانـوا قَـبـلُ أهـــلَ بـهـاءِ

14 وكـــلُّ زَمـــانٍ واصِـــلٌ بـصَـريـمَـةٍ وكـــلُّ زَمـــانٍ مُـلـطَـفٌ بـجَـفـاءِ

15 يـعِـزُّ دفـاعُ الـمـوتِ عـن كُـلِّ حيلةٍ ويَـعْـيـا بـــداءِ الـمَـوْتِ كـلُّ دَواءِ

16 ونـفـسُ الـفَـتـى مـسـرورَةٌ بنمائِها وللـنَّـقْـصِ تنْمو كُـلُّ ذاتِ نَـمـاءِ

17 وَكَـمْ مِنْ مُفدًّى ماتَ لم يَرَ أهْلَهُ حَـبَـوْهُ ولا جـــادوا لـــهُ بـفِـداءِ

18 أمـامَـكَ يـا نَـوْمـانُ دارُ سَـعـادَةٍ يَـــدومُ الـبَـقـا فيها ودارُ شَـقـاءِ

19 خُلِقْتَ لإحـدى الغايَتينِ فلا تَنَمْ وكُـــنْ بـيـنَ خَـــوْفٍ منهُما ورَجـــاءِ

20 وفي النّاسِ شرٌّ لوْ بَـدا ما تَعاشَروا ولـكِـنْ كَـسـاهُ الـلـهُ ثـوبَ غِـطـاءِ

---

* ديوان أبو العتاهية، دار صادر، بيروت الصفحة 493.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزاورُهُ*

أبو فراسٍ الحَمَدانيّ

- كتبها أبو فراس جوابًا لقصيدة أبي الحصين في الرَّقةِ:

1 كَيْفَ السّبيلُ إلى طَيْفٍ يُزاوِرُهُ والنّوْمُ في جُملَةِ الأحبابِ هاجِرُهُ؟

2 مَنْ لا ينامُ فلا صبرٌ يؤازرُهُ و لا خيالٌ على شحطٍ يزاورُهُ

3 يا ساهِرًا لَعِبَتْ أيْدي الفِراقِ بِهِ فالصَّبرُ خاذلُهُ والدَّمعُ ناصرُهُ

4 و راحلٍ أوحشَ الدُّنيا بِرحلتِهِ وَ إنْ غدا مَعَهُ قلبي يسايرُهُ

5 هَلْ أنتَ مبلُغهُ عنّي بأنَّ لهُ ودًّا تمكَّنَ في قلبي يجاورُهُ؟

6 و أنَّني مَنْ صَفتْ مِنهُ سرائرُهُ وَصَحَّ باطِنُهُ مِنهُ وَظاهِرُهُ؟

7 وَما أخوكَ الّذي يَدْنو بِهِ نَسَبٌ لكنْ أخوكَ الّذي تصفو ضمائرُهُ

8 و أنَّني واصِلٌ مَنْ أنتَ واصِلُهُ و أنَّني هاجِرٌ مَنْ أنتَ هاجرُهُ

9 و لستُ واجدَ شيءٍ أنتَ عادمُهُ وَلَسْتُ غائِبَ شَيْءٍ أنْتَ حاضِرُهُ

10 وافى كتابُكَ مطويًّا على نَزِهٍ يَحارُ سامِعُهُ فيهِ وَناظِرُهُ

11 فالعينُ ترتعُ فيما خَطَّ كاتبُهُ و السَّمعُ ينعمُ فيما قالَ شاعرُهُ

12 فإنْ وقفتُ أمامَ الحيِّ أنشدُهُ ودَّ الخرائدُ لَوْ تُقنى جواهرهُ

13 "أبا الحُصينِ" وخيرُ القولِ أصدقُهُ أنتَ الصديقُ الّذي طابتْ مخابرهُ

14 لَوْلا اعْتِذارُ أخِلاّئي بِكَ انصَرَفوا بِوَجْه خَزْيانَ لَمْ تُقْبَلْ مَعاذِرُهُ

15 أينَ الخَليلُ الّذي يُرضيكَ باطِنُهُ معَ الخطوبِ كما يُرضيكَ ظاهرُهُ؟

---

* ديوان أبو فراس، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى 3002، الصفحة 811.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 أمّـا الـكِـتـابُ فَـإنـي لَـسْـتُ أقْـرَؤُهُ إلاّ تَـبـادَرَ مِـنْ دَمْـعـي بَـــوادِرُهُ

17 يجري الجُمانُ كما يجري الجُمانُ بهِ وَيَـنْـشُـرُ الـــدُّرَّ فَـــوْقَ الـــدُّرِّ نـاثِـرُهُ

18 أنـا الّـذي لا يُصيبُ الـدّهـرُ عِتْرَتَهُ ولا يـبـيـتُ عـلـى خـــوفٍ مـجـاورُهُ

19 يُـمْـسـي وَكُـــلُّ بِـــلادٍ حَـلَّـهـا وَطَـــنٌ وكـــلُّ قـــومٍ غـــدا فـيـهـمْ عـشـائـرُهُ

20 و مـا تـمـدُّ لـهُ الأطـنـابُ فـي بلدٍ إلاّ تَـضَـعْـضَـعَ بـاديـهِ وَحـاضِـرُهُ

21 لـيَ الـتَّـخـيُّـرُ مُـشـتـطًّـا ومنتصفًا ولـلأفـاضـلِ بـعـدي مـا أغـــادرُهُ

22 زاكي الأصـولِ كريمُ النّبعتينِ ومنْ زَكَـــتْ أوائِـلُـــهُ طـابَـتْ أواخِـــرُهُ

23 فمنْ "سعيدِ بْـنِ حـمـدانٍ" ولادتُـهُ و منْ "عليٍّ بنِ عبدِ اللهِ" سائرُهُ!

24 الـقـائـلُ الـفـاعِـلُ الـمَـأمـونُ نَـبـوَتُـهُ والـسَّـيـدُ الأيّـــدُ الميمونُ طـائـرُهُ

25 بَنى لَنا الـعِـزَّ مَـرْفـوعًـا دَعـائِـمُـهُ وشَـــيَّـــدَ الـمـجـدَ مُـشـتـدًّا مـرائـرُهُ

26 فَـمـا فَـضـائِـلُـنـا إلاّ فَـضـائِـلُـهُ وَلا مَـفـاخِـرُنـا إلاّ مَـفـاخِـرُهُ

27 لقدْ فـقـدتُ أبـي طفلًا فـكـانَ أبي مـنَ الـرِّجـالِ كـريـمُ الـعـودِ نـاضـرُهُ

28 فهوَ ابـنُ عمّي دُنـيـا حينَ أنسبُهُ لَـكِـنّـهُ لـيَ مَـوْلـىً لا أُنـاكِـرُهُ

29 مـا زالَ لـي نـجـوةً مـمّـا أُحـــاذرُهُ مِـنْـهُ وَعُـمّـرَ لـلإسْـلاَمِ عـامِـرُهُ

30 وَقَـد سَمَحتُ غَـداةَ البَيْنِ مُبتَدِئًا مِـنَ الـجَـوابِ بـوَعـدٍ أنـتَ ذاكِـرُهُ

31 بقيتَ ماغرَّدَتْ ورقُ الحَمامِ وما اسْـ ـتهلَّ مـنْ مـونـقِ الـوسـمـيِّ بـاكـرُهُ

32 حَـتـى تُـبَـلِّـغَ أقْـصـى مـا تُـؤمّـلُـهُ مـن الأمـــورِ وَتُـكـفـى مـا تُـحـاذِرُهُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مالي بدارٍ خلَتْ مِنْ أهلِها شُغُلُ*

أبو نوّاسٍ

- قال أبو نوّاسٍ يُعَبِّرُ عن معارضته لتقليد الشعراء قصائد المعلقات في الوقوف على الأطلال، ووصف الراحلة والرحلة، والسير في الفيافي، ووصف الظعائن، ومعلنًا منهجه في ذكر غايته وهدفه مباشرة:

1 مالي بدارٍ خلَتْ من أهلِها شُغُلُ ولا شَجاني لها شَخصٌ ولا طَلَلُ

2 ولا رُسـومٌ ولا أبكي لمَنْزِلَةٍ للأهلِ عَنها وللجيرانِ مُنْتَقَلُ

3 ولا قَطَعْتُ على حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ في مِرْفَقَيْها إذا استَعرَضْتها فَتَلُ

4 بَيْداءَ مقْفِرَةً يوْمًا فأنْعَتُها ولا سرى بي فأحكيهِ بها جَمَلُ

5 ولا شَتَوْتُ بها عامًا فأدرَكَني فيها المَصيفُ فلي عن ذاكَ مُرْتحَلُ

6 ولا شَدَدْتُ بها مِنْ خَيمَةٍ طُنُبًا جاري بها الضّبُّ والحرْباءُ والوَرَلُ

7 لا الْحَزْنُ منّي برأي العَينِ أعْرِفُهُ وليسَ يعرِفُني سَهْلٌ ولا جَبَلُ

8 لا أنعتُ الرّوضُ إلّا ما رأيتُ بهِ قَصرًا مُنيفًا عليهِ النّخلُ مشتَمِلُ

9 فهاكَ من صِفتي إنْ كُنْتَ مُختَبِرًا ومُخبِرًا نَفرًا عنّي إذا سألوا

10 نَخْلٌ إذا جُليَتْ إبّانَ زينتِها لاحَتْ بأعناقِها أعْذاقُها النُّحُلُ

11 أسقاطُ عَسجَدِهِ فيها لآلِئُها منضودَةٌ بسموطِ الدُّرِّ تتّصِلُ

12 إنْ جئتَ زائرَها غَنّاكَ طائِرُها برجعِ ألحنةٍ في صوتِها هدلُ

13 من بُلْبُلٍ غَرِدٍ ناداكَ مِن غُصُنٍ يَبكي لبُلْبُلَةٍ أوْدى بها خَبَلُ

14 هذا فصِفْهُ وقلْ في وَصْفِهِ سدَدًا مُدَّتْ لواصِفِهِ في عُمرِهِ الطِّوَلُ

15 ما بينَ رَبْعٍ ولارَسْمٍ ولا طَلَلٍ أقوى وبَينيَ في حُكْمِ الْهَوى عملُ

16 مالي وعَوْسَجُها بالقاعِ جانيها أفعى يُقابِلُها عَن جُحْرِهِ وَرَلُ

17 إنّي امرُؤٌ همّتي واللهُ يكلؤني أمْرانِ ما فيهِما شُرْبٌ ولا أكلُ

18 حُبُّ النَّديمِ وما في النّاسِ من حسنٍ كفّي إلَيهِ إذا راجعْتُهُ خَضِلُ

19 لا أمْدَحَنّ ولا أُخْطي خَلائقَهُ مَنْ عنْده لي إذا ما جئتُهُ نُزُلُ

* ديوان أبو نواس، دار صادر، بيروت الصفحة 713.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشِّعرُ الأندلسيُّ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مُقدّمةٌ عنِ الشِّعرِ الأندلسيِّ

الشِّـعرُ الأندلسـيُّ هـو فَـنٌّ شِـعريٌّ مُنبثِـقٌ عـنِ الحضـارةِ فـي العصـرِ الأندلسـيِّ، وَيُعَـدُّ الوضـوحُ والبسـاطةُ مِـنْ أبـرزِ مـا تميّـزَ بِـهِ هـذا الشِّـعرُ، بالإضافـةِ إلـى الأحـداثِ والوقائـعِ التّاريخيّـةِ، ولاسـيّما مـا يتعلّـقُ بأمْـرِ المَمالِـكِ الزّائلـةِ.

أمّـا مـا يتعلّـقُ بالشِّـعرِ نفسِـهِ فقـد امتـازَ بالصّنعـةِ اللّفظيّـةِ، والالتـزامِ بوحـدةِ الـوزنِ والقافيـةِ وابتـداعِ مـا هـو جديـدٌ فـي الأوزانِ كشـعرِ الموشّـحاتِ بمـا يتناسـبُ مـعَ انتشـارِ الغِنـاءِ فـي المجالـسِ الأندلسـيّةِ، وَظـلَّ الشِّـعرُ الأندلسـيُّ مُحافِظًـا - إلـى درجـةٍ كبيـرةٍ - علـى اقتفـاءِ آثـارِ الشِّـعرِ العربـيِّ بشـكلٍ عـامٍّ عنـدَ شُـعراءِ المشـرقِ العربـيِّ.

وتميّـزَ الشِّـعرُ الأندلسـيُّ بسـهولةِ الألفـاظِ وَرِقّتِهـا وَعذوبتِهـا، وَبِتَرابُـطِ الأفـكارِ ووضـوحِ المعانـي وَخُلوِّهـا مـن المُبالغـةِ، والميـلِ فـي طرائـقِ التّعبيـرِ إلـى الأسـاليبِ البيانيّـةِ والبديعيّـةِ، كمـا اتّسـمَتْ طرائـقُ تَعبيرِهِـمْ بالجِـدَّةِ والطَّرافَـةِ، مـعَ اسـتحداثِ أفـكارٍ جديـدةٍ، وإبـداعٍ فـي التّصويـرِ، واسـتخدامٍ للبحـورِ الشِّـعريّةِ الخفيفـةِ القصيـرةِ المُناسـبةِ لطبيعـةِ الحيـاةِ وَحُـبِّ الغِنـاءِ واللّهـوِ، وبِظهـورِ شِـعرِ الموشَّـحاتِ الّـذي يرجـعُ الفضـلُ فـي استحداثِهِ إلـى الشُّـعراءِ الأندلسـيّنَ فـي القـرنِ الرّابـعِ الهجـريِّ بالتّحْديـدِ.

وقـد كانَـتْ أوزانُ شِـعْرِ الموشّـحاتِ أوّلَ مُحاولـةٍ جريئـةٍ للتّجديـدِ فـي أوزانِ الشِّـعرِ العربـيِّ وَقوافيـهِ، والخـروجِ علـى مـا أَلِفَـهُ الشُّـعراءُ السّـابقونَ، حيـثُ أفـادَ شِـعرُ الموشّـحاتِ مِـنْ ظهـورِ فَـنِّ الغِنـاءِ فـي الأندلـسِ، فتأثّـرَ كُلٌّ منهُمـا بالآخـرِ، ونظـمَ شُـعراءُ الموشّـحاتِ فـي أغـراضِ الشِّـعرِ كافّـةً مِـنْ مَـدحٍ وَرِثـاءٍ وَهِجـاءٍ وَزُهْـدٍ وَتَصـوُّفٍ، وغيرِهـا، ولذلـكَ عُـدَّ شِـعرُ الموشّـحاتِ فَنًّـا شِـعريًّا أندلسـيًّا جديـدًا لَـمْ يَعرِفْـهُ الشِّـعرُ العربـيُّ مِـنْ قَبْـلُ، ومـن أشـهَرِ شُـعراءِ الموشّـحاتِ: لِسـانُ الدّيـنِ بْـنُ الخطيـبِ، وابـنُ سَـناءِ المُلـكِ، وابـنُ زمـرَكٍ، وعبـادةُ القـزّازُ، وَمُحـي الدّيـنِ بـنُ العربـيِّ.

وبمـا أنَّ بـلادَ الأندلـسِ عُرِفَـتْ بِجَمـالِ طبيعتِهـا الخلّابـةِ، فقـد أفـاضَ الشُّـعراءُ غِنـاءً بِمَناظِرِهـا وَمشـاهدِها وَوَصْـفِ مـا فيهـا مِـنْ معانـي الجَمـالِ الآسِـرِ، وهامـوا فيهـا مُعَبِّريـنَ عـن أحاسيسِـهِم بجمالِهـا وَفِتنتِهـا، وَبِمـا تَميّـزَتْ بِـهِ مِـنَ الشَّـجرِ والزّهـرِ والنّبـاتِ والمـاءِ والحيـوانِ وَمجالـسِ الأُنْـسِ والنّزهـاتِ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وبما أَوْحَتْهُ الطّبيعةُ بحالاتِها المُختلفةِ خُضرةً وَسهولًا وَجِبالًا وأنهارًا وَمُتعةً بهيجةً تغلغلَتْ في نفوسِهِم وقلوبِهِم، حتّى أصبحَت الطّبيعةُ والشِّعرُ لدى شُعراءِ الأندلسِ صِنوانِ لا يفترقانِ، وأصبحَ الشِّعرُ الأندلسيُّ صدًى للبيئةِ الأندلسيَّةِ، سواءٌ أكانَتْ بيئةً طبيعيّةً أمْ اجتماعيّةً، ممّا جعلَ شُعراءَ الأندلسِ يتفوّقونَ في ميدانِ وصفِ الطّبيعةِ على غيرِهِم، وذلكَ بسببِ افتتانِهِم بجمالِ الطّبيعةِ الأندلسيّةِ الّتي وهبَها اللّهُ طبيعةً ساحرةً شغفَت القلوبَ، وأسرَت النّفوسَ، وكذلكَ بسببِ ازدهارِ مجالسِ الأُنسِ والبهجةِ واللّهوِ الّتي كانَتْ تُعقَدُ في أحضانِ الطّبيعةِ فَتُثيرُ قرائحَ الشُّعراءِ فيكتبونَ قصائدَ تمتزجُ في أغراضِها بوصفِ الطّبيعةِ المُحيطةِ بِهِم.

ومن الشُّعراءِ الّذين اهتمّوا بوصفِ الطّبيعةِ: ابنُ خفاجةَ، وابنُ زيدونَ، وابنُ رَشيقٍ، فقدْ تغنّوا بجمالِ بلادِهِم، ووصفوا طبيعتَها وَمجالِسَها وَقصورَها، وأفردوا لذلكَ قصائِدَ مُستقلةً أوْ مقطوعاتٍ كانَتْ مرآةً صادقةً لتلكَ الطّبيعةِ، وملاذًا للشُّعراءِ يبثّونَها همومَهُم وأفراحَهُم.

وممّا يُسَجَّلُ للشِّعرِ الأندلسيِّ اتّسامُهُ بالتّعبيرِ عن التّسامُحِ والتّعايشِ، وَبُعدِهِ عن التّعصّبِ المَقيتِ، ممّا جعلَهُ يلْعَبُ دورَهُ في التّآلُفِ بينَ سُكّانِ الأندلسِ على اختلافِ ثقافاتِهِم وأديانِهِم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

جادَكَ الغَيْثُ

لسانُ الدّينِ بنُ الخطيبِ

(أ)

1 جـادَكَ الغَيْثُ إِذا الغَيْثُ هَمى يـا زَمـانَ الـوَصْـلِ بِـالأَنْـدَلُـسِ

2 لَـمْ يَـكُـنْ وَصْـلُـكَ إِلاّ حُلُمًا في الكَرى أَو خُلسةِ المُختَلِسِ

3 إِذْ يَقودُ الـدّهـرُ أَشـتـاتَ المُنى يَنْقُلُ الخَطْوَ عَلى ما يَـرْسُـمُ

4 زُمَـــرًا بَـيْـنَ فُـــرادى وثُـنـى مِثْلَ ما يَدْعو الوفودَ الموْسمُ

5 والحَيا قَـدْ جَـلَّلَ الـــرَّوْضَ سَنا فَـثُـغـورُ الـزَّهـرِ فـيـه تَـبْـسِـمُ

6 وَرَوى النُّعمانُ عن مـاءِ السّما كَـيْـف يَــروي مـالِـكٌ عـن أنَـسِ

7 فَـكَـسـاهُ الـحُـسْـنُ ثَـوْبًـا مُعْلَمًا يَـزْدَهــي منه بِـأَبْـهـى مَلبسِ

(ب)

8 أَيُّ شَــيءٍ لِمْــرئٍ قَـدْ خَلُصا فَيكونُ الــرَّوضُ قَـد مُـكِّـنَ فيهِ

9 تَـنْـهَـبُ الأَزهــارُ فيه الفُـرَصا أمِـنَـتْ مِـنْ مَـكْـرِه مـا تتّقيهِ

10 فَــإِذا الـمـاءُ تَـناجـى والحَصى وَخَــلا كُــلُّ خَـلـيـلٍ بِـأَخـيـهِ

11 تُـبْـصِـرُ الــوَرْدَ غَـيـورًا بَـرِمًـا يَكْتَسي مِـنْ غَبطِهِ ما يَكْتَسي

12 وَنَــرى الآسَ لَـبـيـبًـا فَـهِـمًـا يَـسـرِقُ الـسَّـمْـعَ بِـأُذْنَـي فَـرَسِ

(ج)

13 يا أُهَيْلَ الحَيِّ مِنْ وادي الغَضا وَبِـقَـلْـبـي سَـكَـنٌ أَنْـتـمُ بـهِ

14 ضاقَ عَنْ وَجْدي بِكُمْ رَحْبُ الفَضا لا أُبـالـى شُــرقَـهُ مِــنْ غَـرْبِـهِ

15 فَأَعـيـدوا عَـهْـدَ أُنْــسٍ قـدْ مَضى تُـعْـتِـقـوا عـانـيـكُـمُ مِــنْ كَـرْبـهِ

16 واتَّـقـوا الـلَّـهَ وَأَحـيـوا مُـغْـرمًـا يَـتَـلاشــى نَـفَـسًـا فـي نَـفَـسِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نَثَرَ الجَوُّ على الأرضِ بَرَدْ
ابنُ حَمْديسَ

1 نَـثَـرَ الـجَـوُّ على الأرضِ بَـرَدْ أيُّ دُرٍّ لِـنُـحـورٍ لـو جَـمَـدْ

2 لـؤلـؤٌ أصـدافُـهُ الـسُّـحْـبُ الّتي أنـجـزَ الـبـارِقُ منها مـا وَعَـدْ

3 مَـنَـحَـتْـهُ عـاريًـا مِـنْ نَـكَـدٍ واكتسابُ الـدُّرِّ بالغوصِ نَكَدْ

4 ذَوّبَـتْـهُ مِـنْ سـمـاءٍ أدْمُـعٌ فـوقَ أرضٍ تَـتَـلَـقّـاهُ بِـخَـدْ

5 فَـجَـرَتْ مـنـهُ سـيـولٌ حَـوْلَـنـا كـثـعـابـيـنَ عِـجـالٍ تَـطَّـرِدْ

7 وتـرى كُـلَّ غَـديـرٍ مُـتْـأَقٍ سـبَـحَـتْ فـيـهِ قـواريـرُ الـزَّبَـدْ

6 وكـأنَّ الـبَـرْقَ فيـها حـاذِفٌ بِـضِـرامٍ كُـلّـمـا شَـبَّ خَـمَـدْ

7 تـارةً يَـخـفـو ويَـخـفـى تـارَةً كـحُـسـامٍ كُـلَّـمـا سُـلَّ غُـمِـدْ

8 يَـذْعَـرُ الأبْـصـارُ مُـحْـمَـرًّا كما قَلَّبَ الحِملاقَ في اللَّيلِ الأَسَـدْ

9 وَعـلـيـلِ الـنَّـبـتِ ظَـمـآنِ الـثَّـرى عَـرَّجَ الـرّائـدُ عـنـهُ فـزَهِـدْ

10 خَـلَـعَ الـخِـصْـبُ عـلـيـهِ حُـلَـلًا لـبـديـعِ الـرَّقْـمِ فـيـهـنَّ جُـدُدْ

11 وسَـقـاهُ الـرّيَّ مِـنْ وكّـافَـةٍ فَـتَـحَ الـبَـرْقُ بها الـلّـيـلَ وسَـدْ

12 ذاتِ قَطْرٍ داخـلٍ جَـوْفَ الثّرى كحياةِ الـرّوحِ في مَـوْتِ الجسَدْ

13 فَتثنّى الـغُـصْـنُ سُـكـرًا بالنَّدى وَتَـغَـنّـى سـاجِـعُ الـطَّـيـرِ غَـرِدْ

14 وكـأنَّ الـصّـبـحَ كَـفٌّ حَـلَّـلَـتْ مِـنْ ظـلَامِ اللّيلِ بالنّورِ عُقَدْ

15 وكـأنَّ الـشّـمـسَ تـجـري ذهـبًـا طـائـرًا فـي صـيـدِهِ مـنْ كـلِّ يَـدْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصٌ رديفةٌ منَ
العَصرِ الأندلسيِّ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَصْفُ الجَبَلِ
ابنُ خَفاجَة

1 وَأَرْعَـــنَ طَـمّـاحِ الـذّؤابَـةِ بـاذِخٍ يُـطـاوِلُ أَعْـنـانَ السّماءِ بِـغـارِبِ

2 يَسُدُّ مَهَبَّ الرّيحِ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ وَيَزْحَمُ - لَيْلًا- شُهْبَهَ بالمَناكِبِ

3 وَقـورٌ على ظَـهْـرِ الـفَـلاةِ، كَـأَنّـهُ طَوالَ اللّيالي مُفْكِرٌ في العَواقِبِ

4 يلوثُ عليهِ الغَيْمُ سـوْدَ عَمائِمٍ لَها مِنْ وَميضِ البَرقِ حُمْرُ ذوائِبِ

5 أَصَخْتُ إليهِ وَهْوَ أَخْـرَسُ صامِتٌ فَحَدّثَني لَيْلُ السُّرى بالعَجائِبِ

6 وَقـال: أَلا كَـمْ كُنْتُ مَلْجأَ قاتِلٍ وَمَـوْطِـنَ أَوّاهٍ تَـبَـتّـلَ، تـائِـبِ

7 وَكَـمْ مَرَّ بي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُـؤَوِّبٍ وَقـالَ بِظِلّي مِـنْ مَطيٍّ وَراكِـبِ

8 وَلاطَمَ مِنْ نُكْبِ الرّياحِ مَعاطِفي وَزاحَمَ مِنْ خُضْرِ البِحارِ غَوارِبي

9 فما كانَ إلّا أَنْ طَوَتْهُمْ يَدُ الرّدى وَطارَتْ بِهِمْ ريْحُ النّوى والنّوائِبِ

10 فَما خَفْقُ أَيْكي غَيْرُ رَجْفَةِ أَضْلُعٍ وَلا نَوْحُ وُرْقي غَيْرُ صَرْخَةِ نادِبِ

11 وَما غَيَّضَ السُّلوانُ دَمعي وَإِنّما نَزَفْتُ دُموعي في فراقِ الصّواحِبِ

12 فَحَتّى مَتى أَبقى، وَيَظْعَنُ صاحِبٌ أَوَدِّعُ مِـنْـهُ راحِـلًا غَـيْـرَ آيِـبِ؟

13 وَحَتّى مَتى أَرْعى الكَواكِبَ ساهِرًا فَمِنْ طالعٍ أُخْرى اللّيالي، وَغارِبِ؟

14 فَرُحْماكَ يا مَـوْلايَ دَعْـوَةَ ضارعٍ يَمدُّ إلـى نُعماكَ راحَـةَ راغِـبِ

15 فَأَسْمَعَني مِنْ وَعْظِهِ كُلَّ عِبْرَةٍ يُتَرجِمُها عَنْهُ لِسانُ التّجارِبِ

16 فَسَلّى بِما أبكى، وَسَرّى بِما شَجا وَكانَ على عَهْدِ السُّرى خَيْرَ صاحِبِ

17 وَقُـلْـتُ وَقَـدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لِطيَّةٍ: سَـلامٌ! فَإِنّا مِنْ مُقيمٍ وَذاهِـبِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَصْفُ بِركةِ المُتَوَكِّلِ
ابنُ حَمْديسَ

- الشاعر ابن حمديس يصف بِركة المتوكل وما حولها من تماثيل، فيصف تماثيل الأسود وهي تقذف الماء من أفواهها:

1 وَضَـراغـمٍ سَكَنتْ عرينَ رياسةٍ تـركَـتْ خـريـرَ الـمـاءِ فيه زئيرا

2 فكأنَّما غشّى النُّضارُ جسومَها وأذابَ فـي أفـواهِـهـا الـبـلّـورا

3 أُسْــدٌ كـأنَّ سكونَها متحرِّكٌ في النَّفسِ، لو وجـدَتْ هُناكَ مثيرا

4 وتــذكَّــرَتْ فـتـكـاتِـهـا فكأنَّما أقْـعَـتْ على أدبـارِهـا لتثورا

5 وتخالُها والشَّمسُ تجلو لونَها نــارًا، وألسنَها الـلّـواحـسَ نـورا

6 فكأنَّما سَـلَّـتْ سـيـوفَ جَـداولٍ ذابَــتْ بـلا نــارٍ فـعـدُنَ خريرا

7 وكـأنَّـمـا نَـسَـجَ النَّسيمُ لمائهِ دِرعًــا، فـقـدَّرَ سـردَهـا تقديرا

8 وبديعةِ الثَّمراتِ تعبرُ نحوَها عيناي بـحـرَ عجائبٍ مسجورا

9 شَـجـريَّـةٍ ذهـبـيَّـةٍ نـزعَـتْ إلى سِـحْـرٍ يـؤثِّـرُ فـي النُّهى تأثيرا

10 قـد سَـرَّحَـتْ أغصانَها فكأنَّما قبضَتْ بِهنَّ من الفضاءِ طيورا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العودةُ إلى الوطنِ
ابنُ حَمْديسَ

1 أخـذَتْ سفاقسُ منكَ عَهْدَ أَمانِ وَردَدْتَ أهليها إلـى الأوطـانِ

2 أطلقتَ بالكرمِ الصَّريحِ سراحَهُمْ فـرعـوا بـقـاعَ الـعِـزِّ بعدَ هـوانِ

3 يـا يـومَ ردّهــمُ إلـى أوطانِهم لـــرددْتَ أرواحًـــا إلــى أبــدانِ

4 فِلَذُ القلوبِ إلى القلوبِ تراجعَتْ فـي مُلتقى الآبـــاءِ بـالـولـدانِ

5 والأمّـهـاتُ على البناتِ عَواطِفٌ والمُشفقاتُ على اللّداتِ حوانِ

6 سُــرَّ الـقـرابـةُ بـالـقـرابـةِ منهمُ وتــأنّــسَ الـجـيـرانُ بـالـجـيـرانِ

7 وتَـــزاوَرَ الأحـبـابُ بعد قطيعةٍ دخَلَتْ بذكرِ الـودِّ في النّسْيانِ

8 فـي كُــلِّ بـيـتٍ نعمةٌ ومـسـرةٌ شــربــوا سُـلافـتَـهـا بـلا كـيـزانِ

9 ودُعاؤهم لكَ في السَّماءِ مُحلّقٌ حتى لـضـاقَ بـعـرضـهِ الأُفـقـانِ

10 كحجيجِ مَكَّةَ في ارْتفاعِ عَجيجِهم وطوافِهم بالبيتِ ذي الأركـانِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بينَ الشّيخوخةِ والمرضِ
ابنُ حَمْديسَ

1 كَمُلَتْ ليَ الخمسونَ والخمسُ ووقـعْـتُ فـي مَــرضٍ لـه نكسُ

2 وَوُجِــدْتُ بـالأضـدادِ في جَسَدي غُــصْــنٌ يـلـيـنُ وقـامـةٌ تَقْسو

3 وابـيـضَّ مـن فـوديّ مـن شَعَري وَحْــفٌ كـأنَّ ســوادَهُ النِّـقْـسُ

4 والـعـمـرُ يـذبـلُ فـي مـنـابـتِهِ غَــرْسٌ، ويـلـبـسُ نُـضـرةً غـرسُ

5 أصـغـيـتُ لـلأيـامِ إذْ نَـطَـقَـتْ بـالـوعـظِ وهــي نـواطـقٌ خـرسُ

6 وفهمتُ بعدَ اللّبسِ ما شرحَتْ والـشَّـرحُ يذهبُ عـنـدَهُ اللّبسُ

7 أضحى بوحشتي المشيبُ، ولي بـعـدَ الـشَّـبـابِ بـذكـرهِ أُنــسُ

8 ومُـسـايـرًا زمـنـيـنِ فـي عُـمـري مـصـبـاحُ ذا قـمـرٌ، وذا شمسُ

9 دُنْـيـا الفتى تفْنى لـذا خُلِقَتْ وتـمـوتُ فيها الـجـنُّ والإنــسُ

10 إنّـــا لآدمَ كـلُّـنـا ولَــدٌ وَحِـمـامُـنـا بـحـمـامِـهِ جِـنْـس

11 وأقــلُّ مـا يبقى الـجـدارُ إذا مـا انـهـدَّ تـحـتَ بـنـائِـهِ الأُسُّ

12 يـا ربُّ إنّ الــنّــارَ عـاتـيـةٌ وَبِــكُــلِّ سـامـعَـةٍ لـهـا حِـسُّ

13 لا تجعلَنْ جَـسـدي لها حَطبًا فـيـه تُــحَــرَّقُ مـنّـيَ الـنَّـفـسُ

14 وارْفــقْ بِـعَـبْـدٍ، لـحـظُـهُ جَـزِعٌ يَـوْمَ الحسابِ، ونُطْقُهُ همسُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصفُ الشّيخوخةِ
ابنُ حَمْديسَ

1 وكنتُ إذا مرضْتُ رجـوتُ عيشًا لياليَ كنتُ في شَـرخِ الشَّبابِ

2 فصرتُ إذا مرضتُ خشيتُ موتًا وقلتُ: قدِ انقضى عدَدُ الحسابِ

3 فنفسُ الشّيخِ تضعفُ كُلَّ حينٍ وقـوّتُـهُ على طـرَفِ الـذّهـابِ

4 ولـسـتُ مُـصَـدِّقًـا خـدعَ الأماني وَهَـلْ توكى المَزادُ على السَّرابِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يا مَنْ يَضِنُّ بِصَوْتِ الطّائِرِ الْغرِدِ
ابنُ عَبْدِ رَبِّه

- أحب ابن عبد ربه الغناء والطرب في أيام شبابه، وذات يوم وقف تحت روشن لبعض الرؤساء، وقد رُشَّ بماءٍ، وكان فيه غِناء حَسَنٌ، ولم يعرف لِمَنْ هو، فقال:

1	يا مَـنْ يَضِنُّ بصَوْتِ الطّائِرِ الْغَرِدِ	ما كُنتُ أحْسَبُ هذا الْبُخلَ في أحَدِ
2	لَـو أنَّ أسْـمـاعَ أَهْـلِ الأرْضِ قاطِبةً	أَصْغَتْ إلى الصَّوتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدِ
3	لَـوْلا اتِّقائِيْ شِهابًا مِـنْـكَ يحرقُني	بـنـارِهِ لاستَرقتُ السَّمْعَ مِـنْ بُعُدِ
4	لَـوْ كـان زِرْيـابُ حَيًّا ثُـمَّ أُسْمِعَهُ	لَـذابَ مِـنْ حَسَدٍ أوْ مـاتَ مِـنْ كَمدِ
5	فـلا تَـضِـنَّ على سَـمْـعـي تُـقـلِّـدُهُ	صَوتًا يَجولُ مَجالَ الرّوحِ في الْجَسَدِ
6	أمّـا الـحـرامُ: فـإنّـي لَـسْـتُ أشـرَبُـهُ	ولَـسْـتُ آتـيْـكَ إلاّ كِـسْـرَتـيْ بيَديْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

طَويتُ زماني
ابنُ عَبْدِ رَبِّهِ

- آخر شعر قاله:

1 كِلاْنـيْ لِما بي عـاذِلَـيَّ كَفانيْ طَـويـتُ زمـانـي بُـرهـةً وطَـوانـيْ

2 بَليتُ وَأبْلَتْني اللَّيالي بِكَرِّها وصَــرْفــانِ لِــلأيــامِ مُــعْــتَــوِراْنِ

3 وَمـالـيَ لا أبكي لِسَبعينَ حجَّةً وَعَشْرٍ أتَـتْ مِن بَعْدِها سَنتانِ؟

4 فلا تسألانيْ عن تباريحِ عِلَّتيْ ودوْنَـكُـمـا مِـنّـي الّــذي تَرَياني

5 وإنّــيْ بِحَمْدِ اللّهِ راجٍ لِفضلِهِ وَلي مِن ضَمانِ اللّهِ خَيْرُ ضَمانِ

6 وَلسْتُ أُباليْ عنْ تَباريْحِ عِلَّتيْ إذا كــانَ عَقليْ باقيًا ولِسانيْ

7 هُما ما هُما في كُلِّ حالٍ تُلِمُّ بيْ فَـذاْ صارِميْ فيها، وَذاكَ سِنانيْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصفُ الطّبيعةِ الغنّاءِ *
ابنْ سُهيلٍ

1 الأرضُ قد لبِستْ رِداءً أخضَرا والـطَّـلُّ ينثرُ في رباها جوهرا

2 هاجَتْ فخِلتُ الزَّهرَ كافورًا بها وحسِبتُ فيها التُّربَ مِسكًا أذفَرا

3 و كـأنَّ سوسنَها يصافحُ وردَهـا ثـغـرٌ يُـقـبّـلُ منه خـدًّا أحمرا

4 والنهرُ ما بينَ الـرّيـاضِ تخالُهُ سَيفًا تَعَلّقَ في نِـجـادٍ أخضَرا

5 و جرَتْ بصفحتِهِ الصَّبا فحسِبْتُها كَفًّا تُنَمّقُ في الصَّحيفةِ أسطُرا

6 وكـأنّـهُ إذْ لاحَ نـاصِـعُ فِـضّـةٍ جعلتهُ كفُّ الشَّمسِ تبرًا أصفرا

7 أَوْ كالخدودِ بـدَتْ لَنا مُبيَضَّةً فارْتَدَّ بالخَجَلِ البياضُ معصْفرا

8 والطّيرُ قد قامَتْ عليهِ خَطيبَةً لـم تَـتَّـخِـذْ إلاَّ الأَراكـــةَ مِنبرا

---

* ديوان ابن سهيل، دار صادر، بيروت، الصفحة 361.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصفُ النّهرِ*

ابنُ سُهيلٍ

1 لـلّـهِ نـهـرٌ مـا رأيـــتُ جَـمـالَـهُ إلا ذكــرتُ لَـدَيـهِ نـهـرَ الكوثرِ

2 و الشَّمسُ قد ألقتْ عليهِ رداءَها فَـتـراهُ يـرفـلُ فـي قميصٍ أصفرِ

3 والطَّيرُ قد غَنَّتْ لشطحِ رواقصٍ فـوقَ الغديرِ جـررنَ ثـوبَ تبخترِ

4 و كأنَّما أيــدي الـرَّبـيـعِ عشيةً حُلّيْنَ لـبّـاتِ الغصونِ بجوهرِ

5 و كـأنَّ خُـضـرَ ثِـمـارِهِ وبياضَهُ ثَـغْـرٌ تبسَّمَ تحتَ خَـدٍّ معذرِ

* ديوان ابن سهيل، دار صادر، بيروت، الصفحة 661.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لِكُلِّ شَيْءٍ إذا ما تَمَّ نقصانُ*

أبو البَقاءِ الرّنديّ

- نظم قصيدته هذه بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية، مستنصرًا أهل العدوة الإفريقية من المرينيين عندما أخذ ابن الأحمر محمد بن يوسف أول سلاطين غرناطة في التنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن إرضاء لهم وأملا في أن يُبقي ذلك على حكمه غير المستقر في غرناطة، وتعرف قصيدته بمرثية الأندلس.

1 لِكُلِّ شَيْءٍ إذا ما تَمَّ نقصانُ — فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ

2 هي الأمورُ كما شاهَدْتُها دُوَلٌ — مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتهُ أزمانُ

3 وهذِهِ الدّارُ لا تُبقي على أَحدٍ — ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

4 أينَ الملوكُ ذَوو التّيجانِ من يَمنٍ — وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟

5 وأينَ ما شادَهُ شدّادُ في إرمٍ — وأين ما ساسَهُ في الفُرْسِ ساسانُ؟

6 وأينَ ما حازَهُ قارونُ مِنْ ذَهَبٍ — وأينَ عادٌ وشَدادٌ وقحطانُ؟

7 أتى على الكُلِّ أَمْرٌ لا مَردَّ له — حتّى قَضَوا فكأنَّ القَوْمَ ما كانوا

8 وصارَ ما كانَ من مُلْكٍ ومن مَلِك — كما حكى عن خيالِ الطّيفِ وسْنانُ

9 فجائعُ الدَّهْرِ أنواعٌ مُنوَّعةٌ — وللزَّمانِ مَسرّاتٌ وأحزانُ

10 دهى الجزيرةَ أَمْرٌ لا عزاءَ له — هوى له أُحُدٌ وانهدَّ ثهلانُ

11 فاسألْ بَلنسيةً ما شأنُ مُرسيةٍ — وأينَ شاطبةٌ أمْ أينَ جَيّانُ

12 وأين قُرطبةٌ دارُ العلومِ فكَمْ — مِنْ عالِمٍ قد سما فيها له شانُ

13 وأين حِمصُ وما تحويهِ مِنْ نُزهٍ — ونهرُها العَذبُ فيّاضٌ وملآنُ

14 قواعدٌ كُنَّ أركانَ البلادِ فما — عسى البقاءُ إذا لَمْ تَبْقَ أركانُ

15 تبكي الحَنيفيَّةُ البيضاءُ من أَسفٍ — كما بكى لفراقِ الإلفِ هيمانُ

---

* أبو البقاء صالح بن يزيد بن صالح الرندي الأندلسي (106-486 ه الموافق: 4021-5821م) هو من أبناء (رندة) قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس وإليها نسبته.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

16 حيثُ المساجدُ قد صارَتْ كنائسَ ما فيهنَّ إلّا نواقيسٌ وصُلبانُ

17 حتّى المحاريبُ تبكي وهي جامِدَةٌ حتّى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

18 كَمْ يستغيثُ بنا المُستضعفونَ وَهُمْ قَتلى وَأَسرى فما يهتزُّ إنسانُ؟

19 فلو تراهم حيارى لا دليلَ لَهُمْ عَليهِمُ مِنْ ثيابِ الذُّلِّ ألوانُ

20 ولو رأيْتَ بُكاهُم عندَ بيعهِمُ لهالَكَ الأَمْرُ واستهوَتْكَ أحزانُ

21 يا رُبَّ أُمٍّ وطفلٍ حيلَ بينَهُما كما تَفَرَّقَ أرواحٌ وأبدانُ

22 وطفلةٍ مثلَ حُسْنِ الشَّمسِ إذْ طلعَتْ كأنَّما هي ياقوتٌ ومرجانُ

23 يقودُها العلجُ للمكروهِ مُكرهَةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ

24 لِمِثلِ هذا يذوبُ القلبُ مِنْ كَمَدٍ إنْ كانَ في القَلْبِ إسلامٌ وإيمانُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أَبْدَتْ لنا الأيّامُ

أبو الحسن بن زنباع

- بهذه الأبيات الرائعة يصف القاضي أبو الحســن بن زنباع قصة الطبيعة وفعل الســحاب والأمطار في الأرض الّتي تتسربل بعدهما بحلتها الجميلة فتتفتح أزهارها وتنضج ثمارها.

1 أبــدَتْ لنا الأيّــامُ زهــرةَ طيبِها وتسربلَتْ بنضيرِها وقشيبِها

2 واهتزَّ عطفُ الأرضِ بعدَ خشوعِها وبـدَتْ بها النّعماءُ بعدَ شحوبِها

3 وتطلعَتْ فـي عنفوانِ شبابِها منْ بعدِ ما بلغَتْ عتيَّ مَشيبِها

4 وقفَتْ عليها السُّحبُ وقفةَ راحمٍ فـبـكَـتْ لها بعيونِها وقلوبِها

5 فعجبْتُ للأزهارِ كيف تضاحكَتْ ببكائِها وتـبـشَّـرَتْ بقطوبِها

6 وتسربلَتْ حُـلَـلاً تَـجـرُّ ذيولَها من لدمِها فيها وَشَــقٌّ جيوبِها

7 فلقد أجـادَ المزنُ في إنجادِها وأجـادَ حرُّ الشَّمسِ في ترتيبِها

8 ما أنصفَ الخيريُّ يمنعُ طيبَهُ لـحـضـورِهـا ويـبـيـحُـه لمغيبِها

9 وهـي الّتي قامَتْ عليه بِدفئِها وتـعـاهـدَتْـهُ بِـدُرِّهـا وحليبِها

10 فـكـأنَّـهُ فــرضٌ عـلـيـهِ مـوقَّـتٌ ووجـوبُـهُ مُـتـعـلِّـقٌ بوجوبِها

11 وعلى سماءِ الياسمينِ كواكبٌ أبـدَتْ ذكـاءَ العجزِ عن تغييبِها

12 زهــرٌ تُـوَقِّــتُ ليلَها ونـهـارَهـا وتفوتُ شـأوَ خسوفِها وغروبِها

13 فـتـأرَّجَـتْ أرجـاؤُهـا بهبوبِها وتـعـانـقَـتْ أزهـارُهـا بنكوبِها

14 وتـصـوَّبَـتْ فيها فــروعُ جـداولٍ تتصاعدُ الأبـصـارُ فـي تصويبِها

15 تطفو وترسبُ في أصـولِ ثمارِها والحُسْنُ بينَ طُفوِّها ورسوبِها

16 أَوَ ما ترى الأزهــارَ ما من زهرةٍ إلاّ وقـد ركِـبَـتْ فـقـارَ قضيبِها

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فيما مضى كُنْتُ بالأعيادِ مسرورا

المعتمد

- في (أغمات) عاش المعتمد كاسف البال، كسير القلب، يُعامَل معاملة سيئة، ويتجرع مرَّ الهوان، ليس بجانبه من يخفف عنه مأساته، ويطارحه الحديث؛ فتأنس نفسه وتهدأ. ينظر إلى بناته الأقمار؛ فيشقيه أنهن يغزلن ليحصلن على القوت، ولكنه كان يتجلد ويتذرع بالصبر، ويلجأ إلى شعره، فينفس عن نفسه بقصائد مُشجية مؤثرة. تدخل عليه بناته السجن في يوم عيد، فلما رآهن في ثياب رثة، تبدو عليهن آثار الفقر والفاقة؛ انسابت قريحته بشعر شجي حزين:

1 فيما مضى كُنْتَ بالأعيادِ مسرورا وكـانَ عـيـدُكَ بـالـلّـذّاتِ معمورا

2 وَكُنْتَ تحسبُ أنَّ العيدَ مَسعدةٌ فساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مأسورا

3 تـرى بناتِكَ في الأطـمـارِ جائعةً في لبسهنَّ رأيْـتَ الفقرَ مسطورا

4 معاشُهنَّ بعيدِ الـعِـزِّ مُمتهنٌ يغزِلْنَ للنّاسِ لا يملِكْنَ قِطميرا

5 بَــرَزْنَ نحوَكَ للتَّسليمِ خاشعةً عيونُهنَّ فـعـادَ القلبُ موتورا

6 قد أُغمضَتْ بعدَ أَنْ كانَتْ مُفتّرةً أبـصـارُهـنَّ حَـسـيـراتٍ مكاسيرا

7 يَطأْنَ في الطّينِ والأقـدامُ حافيةٌ تشكو فـراقَ حـذاءٍ كـانَ موفورا

8 قد لوّثَتْ بيدِ الأَقـذاءِ واتَّسخَتْ كأنَّها لَـمْ تَـطَـأْ مِسكًا وكافورا

9 لا خَدَّ إلّا ويشكو الجدبَ ظاهرُهُ وقبل كـانَ بماءِ الـوَرْدِ مغمورا

10 لكنَّهُ بسيولِ الـحُـزْنِ مُخترقٌ وليسَ إلّا معَ الأنـفـاسِ مَمطورا

11 أفطرْتَ في العيدِ لا عادَتْ إساءَتُه ولسْتَ يا عيدُ مِنّي اليومَ مَعذورا

12 وكُنْتَ تحسبُ أَنَّ الفِطْرَ مُبتَهَجٌ فـعـادَ فِـطْـرُكَ لـلأكـبـادِ تفطيرا

13 قد كانَ دهـرُكَ إنْ تَأْمُرْهُ مُمتثلًا لمّا أَمَــرْتَ وكـانَ الفِعلُ مبرورا

14 وكَمْ حكمْتَ على الأقوامِ في صلفٍ فـردَّكَ الـدَّهْـرُ مضنهيًا ومَأمورا

15 مَنْ باتَ بعدَكَ في مُلْكٍ يُسَرُّ بهِ أَوْ بـاتَ يَهنأُ باللّذاتِ مسرورا

16 ولم تَعِظْهُ عوادي الدَّهرِ إذْ وقعَتْ فإنَّما بـاتَ في الأحـلامِ مَغرورا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أبى البَرْقُ إلّا أَنْ يحنَّ فؤادُ
ابنُ خفاجةَ

1 أبـى الـبَـرْقُ إلّا أَنْ يحنَّ فـؤادُ ويَكحَلَ أجـفـانَ المحبِّ سُهادُ

2 فبِتُّ وَلي مِنْ قانىءِ الدّمعِ قهوَةٌ تُـدارُ وَمِـنْ إِحـدى يَـدَيَّ وسـادُ

3 تـنـوحُ لـي الـورقـاءُ وهـيَ خليةٌ ويَنهَلُّ دَمـعُ المُزنِ وهـوَ جَمادُ

4 وقد كانَ في خَدّيَّ للشُّهبِ مَلعَبٌ فـقَـد صـارَ فـيـهِ لـلـوِرادِ طِـرادُ

5 وليلٍ كما مـدَّ الـغُـرابُ جناحَهُ وسـالَ على وَجْـهِ السّجِلِّ مـدادُ

6 بِهِ مِنْ وَميضِ البرقِ واللّيلُ فَحمةٌ شـرارٌ تـرامـوا والـغـمـامُ زنـادُ

7 سريتُ بهِ أُحييهِ لا حيّةُ السُّرى تموتُ ولا ميتُ الصَّباحِ يعادُ

8 يُقَلّبُ منّي العَزمُ إنسانَ مُقلَةٍ لها الأفـقُ جَفنٌ والـظـلامُ سـوادُ

9 بخرقٍ لقلبِ البرقِ خفقةُ روعةٍ بـهِ ولجَفنِ النّجمِ فيهِ سُهادُ

10 سَحيقٍ ولا غَيرَ الـرّيـاحِ رَكائِبٌ هـنـاكَ ولا غـيـرَ الـغـمـامِ مـزادُ

11 كـأنّـي وأحـشـاءُ الـبـلادِ تَجُنُّني سَـريـرَةُ حُـبٍّ والـظّـلامُ فـؤادُ

12 أجوبُ جيوبَ البيدِ والصّبحُ صارمٌ لـهُ اللّيلُ غِـمـدٌ والمجرُّ نجادُ

13 وفي مُصطَلى الآفاقِ جَمرُ كواكِبٍ علاها من الفجرِ المُطِلِّ رمـادُ

14 ولمّا تفرّى من دُجى اللّيلِ طِحلِبٌ وأعـرضَ من مـاءِ الصّباحِ ثِمادُ

15 حَنَنْتُ وقد ناحَ الحَمامُ صبابةً وَشُـقَّ من اللّيلِ البهيمِ حِـدادُ

16 على حينَ شَطّتْ بالحبائبِ نيّةٌ وحـالَـتْ فَـيـافٍ بَينَنا وبِـلادُ

17 عشيّةَ لا مثلَ الـجـوادِ ذخيرةٌ ولا مثلَ رقـراقِ الحديدِ عَتادُ

18 إذا زارَ خَطْبٌ خَفَّرَتْني ثَلاثَةٌ: سِـنـانٌ وَعَـضْـبٌ صـارِمٌ وجَـوادُ

19 فبِتُّ ولا غَيرَ الحُسامِ مُضاجِعٌ ولا غيرَ ظهرِ الأَعـوجـيِّ مِهادُ

20 مـعـانِـقَ خِـلٌّ لا يُـخِـلُّ وإنـما مـكـانُ ذراعـيـهِ عـلـيّ نِـجـادُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصَهوَةِ عَزْمٍ قد تَمطّيتُ

ابنُ خفاجةَ

1 وصَهوَةِ عَزْمٍ قد تمطّيتُ والدُّجى مُكِبٌّ كأنّ الصّبحَ في صَدرهِ سِرُّ

2 وقد ألحَفَتني شَملَةَ الظِّلِّ شَمأَلٌ يُقَلقِلُ أحشاءَ الأراكِ بها ذُعـرُ

3 وأشــرَفَ طَـمّـاحُ الـذّؤابَـةِ شامِخٌ تنطّقَ بـالـجـوزاءِ ليلًا له خَصْرُ

4 وقــورٌ على مَـرّ اللّيالي كأنّما يُصيخُ إلى نَجوى وفي أُذْنـهِ وَقْرُ

5 تَـمَـهَّـدَ مِـنْـهُ كُـلُّ رُكْــنٍ رَكـانـةً فَقَطّبَ إطراقًا وقد ضَحِكَ البَدرُ

6 ولاذَ بـهِ نَـسـرُ الـسّـمـاءِ كأنّما يَحِنُّ إلـى وَكْـرٍ بـهِ ذلـكَ النّسرُ

7 فلَم أَدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وسكينَةٍ أَكَبْرَةُ سِنٍ وَقَّـرَتْ مِنْهُ أَمْ كِبرُ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ومفازةٍ لا نجمَ في ظلمائِها
ابنُ خفاجةَ

1 ومَـفـازةٍ لا نَـجْـمَ فـي ظلمائِها يَـسـري ولا فَـلَـكٌ بـهـا دَوّارُ

2 تَـتَـلَـهّـبُ الـشِّـعـرى بها وكأنّها فـي كَـفِّ زِنـجـيِّ الـدُّجـى دينارُ

3 ترمي بِـهِ الغيطانُ فيها والرُّبى دوَلًا كـمـا يَـتَـمَـوّجُ الـتّـيّـارُ

4 قد لَفَّني فيها الظلامُ وطافَ بي ذِئْـبٌ يلمُّ مـعَ الـدُّجـى زَوّارُ

5 طَـرّاقُ سـاداتِ الـدّيـارِ مُـسـاوِرٌ خَـتّـالُ أَبـنـاءِ الـسُّـرى غَـدّارُ

6 يَسري وقد نضَحَ النّدى وَجْهَ الصَّبا فـي فَـروَةٍ قَـد مَسّها اقشِعرارُ

7 فعشوتُ في ظَلماءَ لم تقدحْ بها إلاّ لـمُـقـلَـتِـهِ وَبـأسـي نـارُ

8 وَرفلتُ في خلعٍ عليّ مِنَ الدُّجى عـقـدَتْ لها مِـنْ أَنْـجُـمٍ أزرارُ

9 والـلّـيـلُ يَقصُرُ خَـطـوَهُ ولربّما طالَتْ ليالي الرّكبِ وهيَ قِصارُ

10 قد شابَ من طرفِ المَجرَّةِ مفرقٌ فيها ومـن خَـطِّ الـهِـلالِ عِـذارُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أضْحى التّنائي بَديلًا منْ تَدانينا *

ابنُ زيدون

1	أضْحى التّنائي بَديلًا منْ تَدانينا	وَنـابَ عَـنْ طيبِ لُقْيانا تجافينا
2	ألا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبّحَنا	حَـيْـنٌ فَـقـامَ بِنا للحَيْنِ ناعِينا
3	مَـنْ مبلغُ الملبسينا بانتزاحِهِمُ	حُزْنًا معَ الدّهرِ لا يبلى ويُبْلينا
4	أَنَّ الزَمانَ الَّـذي مـازالَ يُضحِكُنا	أُنـسًـا بِقُربِهِمُ قَـد عـادَ يُبكينا
5	غيظَ العِدا مِنْ تَساقينا الهوى فدعَوْا	بِـأنْ نَـغَـصَّ فَـقـالَ الـدّهـرُ آمينا
6	فانحَلَّ ما كانَ مَعقودًا بأَنْفُسِنا	وانْـبَـتَّ ما كـانَ مَـوْصـولًا بأيْدينا
7	وَقَـدْ نَكونُ وَمـا يُخشى تَفَرّقُنا	فاليومَ نحنُ وما يُرْجى تَلاقينا
8	يا ليتَ شعري ولم نُعتِبْ أعاديَكُمْ	هَلْ نالَ حَظًّا منَ العُتبى أعادينا
9	لَمْ نعتقدْ بعدَكُمْ إلاّ الوفاءَ لكُمْ	رَأيًـا ولَـمْ نَتَقلّدْ غَـيـرَهُ دينا
10	ما حَقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ	بِنا ولا أَنْ تَـسُـرّوا كاشِحًا فينا
11	كُنّا نرى اليَأسَ تُسْلينا عَوارِضُه	وَقَـدْ يَئِسْنا فَما لليأسِ يُغْرينا
12	بِنْتُم وَبِنّا فَما ابتَلّتْ جَوانِحُنا	شَـوْقًـا إلَيكُمْ وَلا جَفّتْ مآقينا
13	نَكادُ حينَ تُناجيكُمْ ضَمائرُنا	يَقضي علَينا الأسـى لَـوْلا تأسّينا
14	حالَتْ لِفقدِكُمُ أيّامُنا فغَدَتْ	سـودًا وكانتْ بكُمْ بيضًا لَياليِنا
15	إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ مِنْ تألُّفِنا	وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صافٍ مِنْ تَصافينا
16	وَإذْ هَصَرْنا فُنونَ الوَصْلِ دانيةً	قِطافُها فَجَنَيْنا مِـنْـهُ مـا شينا
17	ليَسقِ عَهدُكُمُ عَهْدَ السّرورِ فَما	كُـنْـتُـمْ لأرواحِـنـا إلاّ رَياحينا

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 9.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

18 لا تَحْسَبوا نَأيَكُمْ عَنّا يُغَيّرُنا أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينا!

19 واللّـهِ ما طَلَبَتْ أهْـواؤنـا بَـدَلًا مِنْكُمْ وَلا انصرَفتْ عنكُمْ أمانينا

20 يا ساريَ البَرْقِ غادِ القصرَ واسقِ بِهِ مَنْ كانَ صِرْف الهَوى والوُدِّ يَسقينا

21 واسـألْ هُنالِكَ: هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا إلـفًـا تـذكُّـرُهُ أمـسـى يُعَنّينا؟

22 وَيـا نَسيمَ الصَّبا بَـلّـغْ تحيّتَنا مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيًّا كان يُحيينا

23 فَهلْ أرى الدّهرَ يقضينا مساعفَةً مِنْهُ وإنْ لم يكُنْ غبًّا تقاضينا

24 رَبـيـبُ مُـلْـكٍ كَـأنّ الـلّـهَ أنْـشَـأهُ مِسكًا وَقَـدّرَ إنشاءَ الـوَرى طينا

25 أوْ صاغَهُ وَرِقًـا مَحْضًا وَتَـوَّجَـهُ مِنْ ناصِعِ التّبرِ إبْداعًا وتَحسينا

26 إذا تَـــأوّدَ آدَتْـــهُ رَفـاهـيّـةً تـومُ العُقودِ وَأدمـتَـهُ البُرى لينا

27 كانَتْ لَهُ الشّمسُ ظِئرًا في أكِلّتِهِ بَـلْ مـا تَـجَـلّـى لها إلّا أحايينا

28 كأنّما أثبتَتْ في صَحْنِ وجنتِهِ زُهْـرُ الكَواكِبِ تَعويذًا وَتَزَيينا

29 ما ضَرَّ أنْ لَمْ نَكُنْ أكفاءَهُ شرَفًا وَفي الـمَـوَدّةِ كافٍ مِنْ تَكافينا؟

30 يا رَوْضَـةً طالَما أجْنَتْ لَواحِظَنا وَرْدًا جَـلاهُ الصِّبا غَضًّا وَنَسْرينا

31 ويـا حـيـاةً تَـمـلّـيـنـا بـزهـرَتِـهـا مُـنًـى ضـروبًـا ولـــذّاتٍ أفانينا

32 ويا نعيمًا خَطَرْنا مِـنْ غَضارَتِهِ في وَشْيِ نُعْمى سحَبنا ذَيلَه حينا

33 لَسنا نُسَمّيكِ إجْـلالًا وَتَـكْـرِمَـةً وَقَـدْرُكِ المُعْتَلي عَنْ ذاك يُغْنينا

34 إذا انفرَدتِ وما شورِكتِ في صِفَةٍ فحسبُنا الوَصْفُ إيضاحًا وتبْيينا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إنّي ذَكَرتُكِ بالزَّهراءِ مُشتاقا *

ابنُ زيدون

1 إنّــي ذَكَــرْتُــكِ بـالـزَّهـراءِ مُشتاقا والأُفْــقُ طَلْقٌ ومَـرْأى الأرض قد راقا

2 وَلـلـنّـسـيـمِ اعْــتِــلالٌ فـي أصـائِـلِـهِ كـأنَّــهُ رَقَّ لــي فـاعْـتَـلَّ إشْـفـاقـا

3 والــرّوضُ عَـنْ مائِهِ الفِضّيِّ مُبتسمٌ كما شقَقْتَ عَــنِ الـلَّـبّـاتِ أطواقا

4 يَــوْمٌ كـأيّـامِ لَــذّاتٍ لَنا انصرَمتْ بِتْنا لها حينَ نـامَ الـدّهـرُ سرّاقا

5 نلهو بما يستميلُ العينَ من زَهَـرٍ جـالَ الـنّـدى فيهِ حتّى مـالَ أعناقا

6 كَــأنّ أعْـيُـنَـهُ إذْ عـايَـنَـتْ أَرَقــي بَكَتْ لِما بي فجالَ الـدّمـعُ رَقَراقا

7 وَرْدٌ تـألّـقَ فـي ضـاحـي منَابتِهِ فـازْدادَ منهُ الضُّحى في العينِ إشراقا

8 ســرى يُـنـافِـحُـهُ نـيـلـوفـرٌ عَـبِـقٌ وَسْـنـانُ نَـبّـهَ مِـنْـهُ الـصّـبْـحُ أحْـداقـا

9 كُــلٌّ يـهـيـجُ لـنـا ذِكــرى تـشـوّقِـنـا إليكِ لَمْ يَعْدُ عنها الصَّدرُ أَنْ ضاقا

10 لا سـكَّـنَ الـلّـهُ قلبًا عَـقَّ ذكـرَكُـمُ فَـلَـم يَـطِـرْ بجناحِ الـشّـوقِ خفّاقا

11 لوْ شاءَ حَملي نَسيمُ الصُّبحِ حينَ سرى وافـاكُـمُ بِـفَـتًـى أضـنـاهُ مـا لاقى

12 لوْ كانَ وَفّى المُنى في جَمعِنا بِكُمُ لـكـانَ مِــنْ أكــرمِ الأيّـــامِ أخلاقا

13 يا علقيَ الأخطرَ الأسنى الحبيبَ إلى نَفسي إذا ما اقتنى الأحبابُ أعلاقا

14 كانَ التَّجاري بمَحضِ الـوُدِّ مُذْ زَمَنٍ مـيـدانَ أُنْــسٍ جَـريْـنـا فـيـهِ أطلاقا

15 فــالآنَ أحـمـدَ مـا كـنّـا لـعـهـدِكُـمُ سـلـوْتُـمُ وَبـقـيـنـا نـحـنُ عـشّـاقـا!

---

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 64.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شكوى وعتابٌ*

ابنُ زيدون

1 ما عَلى ظَنّيَ باسُ يَجْرَحُ الدّهْرُ وَياسو

2 رُبّما أشْرَفَ بِالمَرْ ءِ عَلى الآمالِ ياسُ

3 وَلَقَدْ يُنْجيكَ إغْفا لٌ وَيُرْديكَ احْتِراسُ

4 والمحاذيرُ سهامٌ والمقاديرُ قياسُ

5 ولكَمْ أجدى قعودٌ ولكَمْ أكدى التماسُ

6 وَكذا الدّهْرُ إذا ما عَزّ ناسٌ ذَلّ ناسُ

7 وبنو الأيّامِ أخْيا فٌ: سَراةٌ وَخِساسُ

8 نَلْبَسُ الدّنْيا وَلَكِنْ متعةٌ ذاكَ اللّباسُ

9 يا أبا حَفْصٍ وَما ساوا كَ في فَهْمٍ إياسُ

10 مِنْ سَنا رَأْيِكَ لي في غَسَقِ الخَطْبِ اقتباسُ

11 وَوِدادي لَكَ نَصٌّ لَمْ يُخالِفْهُ قياسُ

12 أنا حَيْرانُ وَلِلأمْرِ وُضوحٌ والتِباسُ

13 ما تَرى في مَعْشَرٍ حا لوا عنِ العهدِ وخاسوا

14 وَرَأوْني سامِريًّا يُتّقى مِنْهُ المَساسُ

15 أذْؤبٌ هامَتْ بلَحْمي فانْتِهاشٌ وانْتِهاسُ

16 كلُّهمْ يسألُ عن حا لي وَلِلذّئْبِ اعْتِساسُ

17 إنْ قسا الدّهرُ فلِلْما ءِ مِنَ الصّخْرِ انبجاسُ

18 وَلَئِنْ أمْسَيْتُ مَحبو سًا فَلِلْغَيْثِ احْتِباسُ

19 يلبُدُ الوَرْدُ السَّبَنْتى وَلَهُ بَعْدُ افْتِراسُ

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 18.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

20 فـتـأمّـلْ! كـيـفَ يغشى مـقـلـةَ الـمـجـدِ الـنّـعـاسُ؟

21 ويـفـتُّ المسكُ فـي الـتُّـربِ فَـيـوطـا وَيُـداسُ؟

22 لا يَـكُـنْ عَـهْـدُكَ وَردًا إنّ عـهـدي لـكَ آسُ

23 وَأَدِرْ ذكـريَ كـأسًـا مـا امـتـطَـتْ كـفًّـكَ كـاسُ

24 واغْـتَـنِـمْ صَـفْـوَ اللّيالي إنّـمـا الـعَـيْـشُ اخْـتِـلاسُ

25 وَعَـسـى أنْ يَـسـمـحَ الـدّهْـ ـرُ فـقـدْ طـالَ الـشِّـمـاسُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّيَ البدرَ الّذي كَمُلا *

ابنُ زيدون

1 مَـنْ مُبْلِغٌ عَنّيَ البدرَ الّـذي كَمُلا في مطلعِ الحُسْنِ والغصنَ الّذي اعتدلا

2 أنّ الـزّمـانَ الّـذي أهـدى مـودّتَـهُ إلـيَّ مُـرتـهـنٌ شـكـري بـمـا فعَلا

3 أمّـا الحبيبُ الّـذي أبـدى الجفاءَ لنا فَـمـا رَأَيْـنـا قِـلاهُ حـادِثًـا جَـلَـلا

4 ولَـمْ نَـزِدْ أَنْ ظفرْنا مِـلءَ أعينِنا بـالـمُـشْـتَـري فَـتَـجَـنّـبْـنـا لَـهُ زُحَـلا

5 أنتَ الحَبيبُ الّـذي ما زِلـتُ أُلحِفُهُ ظِـلَّ الـهَـوى وَأُسَـقّـيـهِ الـرّضـا عَلَلا

6 هَـذي الحَقيقةُ لا قَـوْلـي مُخادَعَةً لَوْ كانَ قولُكَ: مُتْ ما كان رَدّيَ: لا!

* ديوان ابن زيدون، دار صادر، بيروت، الصفحة 07.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصٌ رديفةٌ منَ الموشّحاتِ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

موشَّحٌ

للشّاعرِ (أبو الحسن علي بن مهلهل الجيلاني)

النَّهْرُ سَلَّ حُسامًا على قُدودِ الغُصونْ

وللنّسيمِ مَجالْ

والرّوضُ فيهِ اختيالْ

مَدَّتْ عليهِ ظِلالْ

والزَّهْرُ شَقَّ كَمامًا وَجْدًا بِتِلْكَ اللّحونْ

أما ترى الطَّيْرَ صاحا

والصُّبْحُ في الأفقِ لاحا

والزَّهْرُ في الرَّوْضِ فاحا

والبَرقُ ساقَ الغَماما تبكي بِدمْعٍ هتونْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

شِعرُ التّفعيلةِ

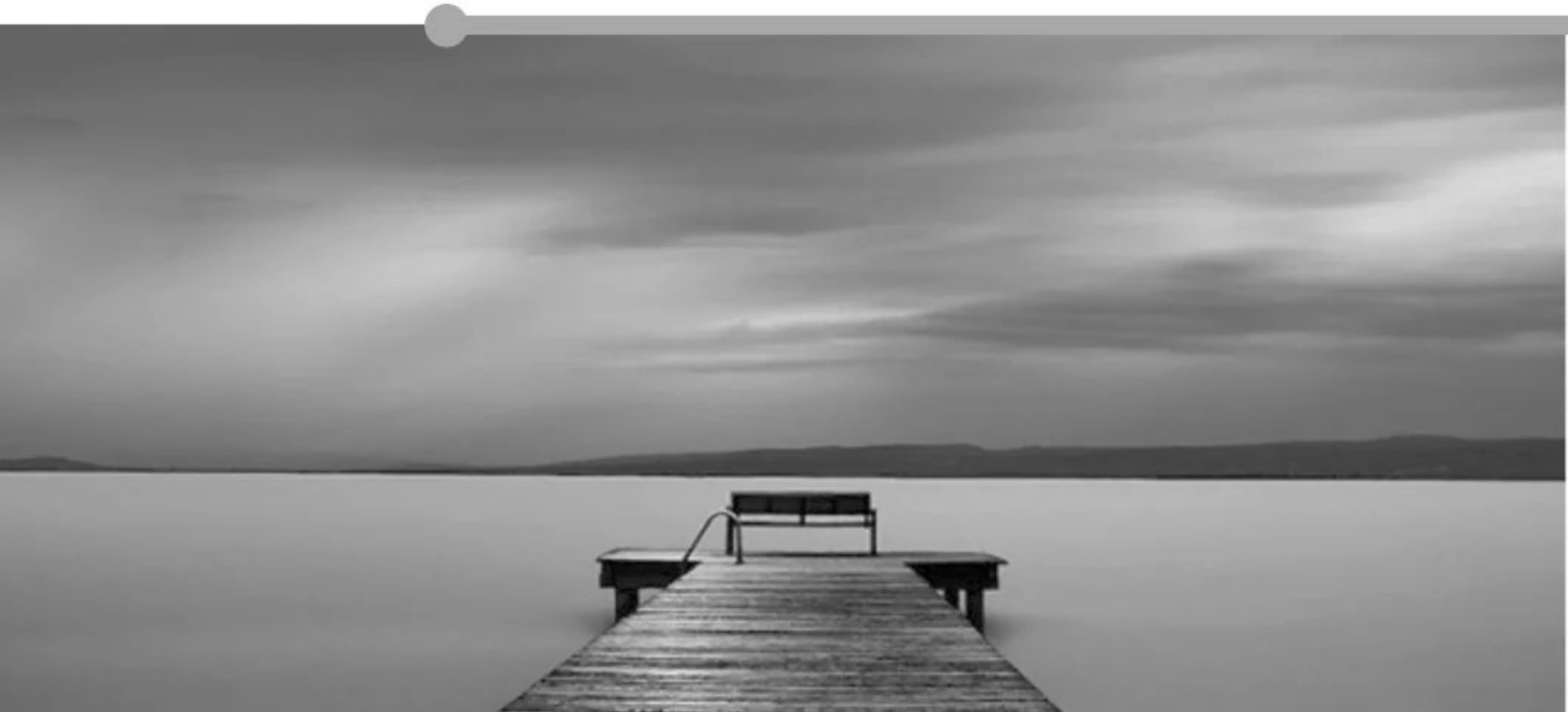

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مُقدّمةٌ عنْ قصيدةِ التّفعيلةِ (الشِّعرُ الحُرُّ)

حافظَت القصيدةُ العربيّةُ على شكلِها القديمِ زمنًا طويلًا، فقد اكتملَ إطارُها في الجاهليّةِ، وانسابَتْ عبرَ العصورِ الإسلاميّةِ ناضجةً قويّةً، تكسوها قيمٌ جماليّةٌ راسخةٌ، إلى أنْ تصدّى لهذا الإطارِ أبو نواسٍ، بدعوى صريحةٍ إلى تجاوزِ الوقوفِ على الأطلالِ ووصفِ الصّحراءِ.. والابتداءِ بالغَرضِ مُباشرةً، وهذا يشيرُ بوضوحٍ إلى حركةِ تجديدٍ بدأَتْ في العصرِ العبّاسيِّ، وضاقَ الأندلسيّونَ بالوزنِ والقافيةِ فاخترعوا الموشّحاتِ والمُخمّساتِ، استجابةً لروحِ العصرِ.

خاضَ الوطنُ العربيُّ في نهاياتِ القرنِ التّاسعَ عشرَ وبداياتِ القرنِ العشرينَ نهضةً أدبيّةً، حاكَتْ فحولَ الشِّعرِ العربيِّ، كالمُتَنبّي وأبي تَمّامٍ، كما أحدثَتْ مدارسَ أدبيّةً مُتأثّرةً بالأدبِ الغربيِّ، فكانَت المدرسةُ الرّومانسيّةُ الّتي طوّرَت في الوزنِ والقافيةِ. أمّا الثّورةُ الحقيقيّةُ الّتي تجاوزَت الوزنَ والقافيةَ معًا في الشِّعرِ العربيِّ المُعاصرِ، وامتدَّتْ إلى المضمونِ، فقد صاحبَت الشِّعرَ الجديدَ (شعر التّفعيلة) أوْ ما يحلو لبعضِهم أنْ يُسمّوهُ بالشِّعرِ (الحُرِّ)، فكانَ أكبرَ ظاهرةٍ أدبيّةٍ في تاريخِ أدبِنا العربيِّ على مَرِّ عصورِهِ المديدةِ، ظاهرةٍ أحدثَتْ قيمًا جماليّةً تختلفُ اختلافًا كبيرًا عن القيمِ الجماليّةِ الموروثةِ لأدبِنا القديمِ، وأدبِنا المُعاصرِ الّذي سارَ على منوالِهِ. وما استمدَّ الشِّعرُ الجديدُ (شعر التفعيلة)، ولا أنصارُهُ قوّتَهُم مِنْ خارجِهِ، بَلْ اعتمدَ على بنائِهِ الذّاتيِّ مَصدرًا لنجاحِهِ؛ ليُثْبِتَ أحقيّتَهُ للحياةِ في صراعِ البقاءِ الّذي لا يعترفُ بالضّعيفِ.

وقد اتّسمَ شِعْرُ (التّفعيلة) مِنْ حيثُ المضمونُ بالتّعبيرِ عَنِ الواقعِ، والتّجديدِ في أغراضِ الشِّعرِ؛ إذ اهتمَّ الشُّعراءُ بالقضايا الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والوطنيّةِ، واتّسمَ مِنْ حيثُ الشّكلُ ببناءِ القصيدةِ على وحدةِ (التّفعيلة)، وَحُلولِ السّطرِ الشِّعريِّ محلَّ البيتِ الشِّعريِّ ذي الشّطرينِ، وعدمِ الالتزامِ بالقافيةِ الواحدةِ، والاهتمامِ بالإيحاءِ، وبالخيالِ المُمتدِّ المُنتجِ للصّورةِ الشِّعريّةِ، والميلِ إلى الرّمزِ، والغُموضِ الشّافِّ حينًا والمُبهمِ أحيانًا، والموسيقا الدّاخليّةِ الّتي تُساوي انفعالَ الشّاعرِ، ونَفَسَهُ، وفكرتَهُ، طولًا وَقِصرًا، وَشِدّةً وارتخاءً، والطّاقةَ الشُّعوريّةَ المُستمدّةَ مِنْ سياقِ الكلماتِ.

وتصدّرَ روّادَ الشِّعرِ الجديدِ في أواخرِ خَمسيناتِ القرنِ الماضي بدرُ شاكرِ السَّيّابُ، ونازكُ الملائكةِ، والبَيّاتيُّ في العراقِ، وفدوى طوقانَ، ومحمودُ درويشٍ، وسميحُ القاسمِ في فلسطينَ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وصـلاحُ عبدِالصَّبـورِ وأحمـدُ عبدِالمُعطـي حجـازي وأمـلُ دنقـلَ فـي مِصـرَ، وَمحمّـدُ الفيتـوريُّ فـي السّـودانِ، وَمِـنْ شُـعراءِ دولـةِ الإمـاراتِ العربيّـةِ المُتّحـدةِ الّذيـنَ كتبـوا قصيـدةَ (التّفعيلـة): حبيـبُ الصّايـغُ، وناصـرُ النُّعيمـيُّ، وَظاعـنُ شـاهينَ، وَشـهابُ غانـمٍ، وَعـارفُ الخاجـةِ، وَسـلطانُ خليفـةَ الحبتـورِ، وَصالحـةُ غابـشٍ، وَعبـدُ الكريـمِ معتـوقٍ، وَ إبراهيـمُ محمّـدِ إبراهيـمُ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يالَيْلُ، دَعني
فاروق جويدة

يا لَيْلُ لا تَعْتَبْ عَليَّ إذا رَحَلْتُ مَعَ النَّهارْ

فالنَّوْرَسُ الحَيْرانُ عادَ لأَرْضِهِ ما عادَ يَهْفو لِلْبِحارْ

وأَنامِلُ الأَيّامِ يَحْنو نَبْضُها

حتّى دُموعُ الأَمْسِ مِنْ فَرَحي تَغارْ

وفَمي تُعانِقُهُ ابْتِساماتٌ هَجَرْنَ العُمْرَ حتّى إنَّني

ما كُنْتُ أَحْسَبُها تَحِنُّ إلى المَزارْ

فالضَّوْءُ لاحَ على ظِلالِ العُمْرِ فانْبَثَقَ النَّهارْ

يا لَيْلُ لا تَعْتَبْ عَلَيَّ

فَلَقَدْ نَزَفْتُ رَحيقَ عُمْري في يَدَيْكْ

وشَعَرْتُ بالأَلَمِ العَميقِ يَهُزُّني في راحَتَيْكْ

وشَعَرْتُ أَنّي طالمَا أَلْقَيْتُ أَحْزاني عَلَيْكْ

الآنَ أَرْحَلُ عَنْكَ في أَمَلٍ جَديدْ

كَمْ عاشَتِ الآمالُ تَرْقُصُ في خَيالي مِنْ بَعيدْ

وقَضَيْتُ عُمْري كالصَّغيرْ

يَشْتاقُ عيدًا. أَيُّ عيدْ

حتّى رَأَيْتُ القَلْبَ يَنْبُضُ مِنْ جَديدْ

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّها مِثْلُ النَّهارْ

يَوْمًا سَتَلْقاها مَعي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سَتَرى بِأَنّي لَمْ أَخُنْكَ وإِنَّما

قَلْبي يَحِنُّ إِلى النَّهارْ

يا لَيْلُ لا تَعْتَبْ عَلَيَّ

قد كُنْتَ تَعْرِفُ كَمْ تُعَذِّبُني خَيالاتي

وتَضْحَكُ في غَباءْ

كَمْ قُلْتَ لي إِنَّ الخَيالَ جَريمَةُ الشُّعَراءْ

وظَنَنْتُ يَوْمًا أَنَّنا سَنَظَلُّ دَوْمًا أَصْدِقاءْ

أَنا زَهْرَةٌ عَبَثَ التُّرابُ بِعِطْرِها

ورَحيقُ عُمْري تاهَ مِثْلَكَ في الفَضاءْ

يا لَيْلُ لا تَعْتَبْ عَلَيَّ

أَتُراكَ تَعْرِفُ لَوْعَةَ الأَشواقِ؟

وَتَنَهَّدَ اللّيلُ الحَزينُ. وَقالَ في أَلَمٍ

أَنا يا صَديقي أَوَّلُ العُشّاقِ

فَلَقَدْ مَنَحْتُ الشَّمْسَ عُمْرِي كُلَّه

وغَرَسْتُ حُبَّ الشَّمسِ في أَعْماقي

الشَّمْسُ خانَتْني وراحَتْ للقَمَرْ

ورَأَيْتُها يَوْمًا تُحَدِّقُ في الغُروبِ إِلَيْهِ تَحْلُمُ بالسَّهَرْ

قالتْ: عَشِقْتُ البَدْرَ لا تَعْتَبْ

على مَنْ خانَ يَوْمًا أَوْ هَجَرْ

فَتَرَكْتُها وَجَعَلْتُ عُمْري واحَةً

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يَرْتاحُ فيها الحائِرونَ مِنَ البَشَرْ

العُمْرُ يَوْمٌ ثُمَّ نَرْحَلُ بَعْدَهُ

وَنَظَلُّ يُرْهِقُنا المَسيرْ

دَعْني أَعيشُ وَلَوْ لِيَوْمٍ واحِدٍ

وَأُحِبُّ كالطِّفْلِ الصَّغيرْ

دَعْني أُحِسُّ بِأَنَّ عُمْري

مِثْلُ كُلِّ النّاسِ يَمْضي كَالْغَديرْ

دَعْني أُحَدِّقُ في عُيونِ الفَجْرِ

يَحْمِلُني إلى صُبْحٍ مُنيرْ

فَلَقَدْ سَئِمْتُ الحُزْنَ والأَلَمَ المَريرْ

الآنَ لا تَغْضَبْ إذا جاءَ الرَّحيلْ

واتْرُكْ رِفاقَكَ يَعْشَقونَ الضَّوْءَ في ظِلِّ النَّخيلْ

دَعْ أُغْنِياتِ الحُبِّ تَمْلَأُ كُلَّ بَيْتٍ

في رُبى الأَمَلِ الظَّليلْ

يا لَيْلُ إنْ عادَ الصِّحابُ لِيَسْأَلوا عَنّي هُنا

قُلْ للصِّحابِ بِأَنَّني

أَصْبَحْتُ أُدْرِكُ مَنْ أَنا

أَنا لَحْظَةٌ سَأَعيشُها

وَأُحِسُّ فيها مَنْ أَنا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نصوصٌ رديفةٌ منْ
شِعرِ التّفعيلة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عـدالـةٌ *

أيمن أبو شَعر

(أحضروا جثة القتيل والخنجر ثم استمعوا إلى إفادة القاتل)

أقولُ الصِّدْقَ يا مولاي

تَعرَّضَ ظَهرُهُ الغدّارْ

لِهذا الخِنجَرِ المِسكينْ

وَصارَ النّصلُ يرتَجِفُ.. وَيلتَحِفُ

بِكَفّي مِثلَ قِطٍّ الدّارْ

يُناديني لأحميهِ

وَهذا الماردُ الغدّارْ

يغويهِ.. وَيقتَرِبُ

بِلَحمٍ جامِحٍ كالنّارِ... يَقتربُ

وَحِرتُ فَكيفَ أُخفيهِ

وَهذا الماكرُ الجبّارْ

يُحاوِلُ بَلْعَ سكيني

فَقلتُ : لعلَّه إنْ نامَ مِثلَ مَلائِكِ الرّحمهْ

يَرقُّ فؤادُ باغٍ نَبْضُهُ اللَّعنهْ

فأودَعْتُ الصّغيرَ الغرَّ مَهدًا..

اسمُهُ الطّعنَهْ!!

---

* من ديوان "الحب في طريق المجرة"، الشّاعر أيمن أبو شعر، حلب، 9791.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فَغافَلَنيْ.. وَماجَ الظّهرُ كالأفعى

وَعَضَّ بِلَحمِهِ المَسعورْ

وَداعَةَ شَفرَةِ السّاطورِ

لمْ يَرحَمْ..

وَلمْ يَحذرْ..

وَألقى جِسمَهُ المأفونَ فوقَ نَحالةِ الخِنْجَرْ

يُحاوِلُ هَرْسَ مِسكينيْ

وَأنْ يُكسرْ

وَكادَ النَّصْلُ يَخْتَنِقُ

وَتَحْتَ الجِسْمِ يَنْسَحِقُ

فَما أفعلْ..؟

دَنوتُ إليهِ أرْجوهُ

بأنْ يُفْلِتْهُ.. لَمْ يَقْبَلْ

تَمَدَّدَ فَوقَهُ كالثَّورْ

تَصَنَّعَ أنَّهُ نائِمْ..

وَراحَ يَغُطُّ في حُلْمِهْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

دَعانيْ السُّخْطُ: فَلْتوقِظْهُ مِنْ نَومِهْ..

فَلمْ تَرضَ اللباقةُ.. أَوْ إبائي

قَلَبْتُ الرّأسَ عَطفًا في حنانٍ..

ثُمَّ ساعَدَني حِذائي

وَأنْقَذتُ البريءَ الخنجرَ الطفليّ

أَبكيهِ وَيَبكيني

وَرغمَ فَظاعةِ المأساةِ عِندي

جَرَّحوا حِسي أهانوني

تَصوَّرْ أنتَ يا مولاي..

تَلَطَّخَ نَصْلُ سِكّيني

فَجِئْتُ إليكَ تُنْصِفُني فأنتَ الحاكِمُ العادِلْ.

قَرارٌ قاطِعٌ مَقبولْ...

كَحَدِّ المِديَةِ المَصْقولْ:

يُبَرأُ خِنْجَرُ القاتِلْ

وَتُشْنَقُ جثَّةُ المَقْتولْ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَرَّ القِطارْ*

نازِك الملائكة

اللّيلُ مُمتدُّ السُّكونِ إلى المدى

لا شَيْءَ يقطعُهُ سِوى صوتٍ بليدْ

لِحمامةٍ حَيرى وَكلبٍ يَنبحُ النّجمَ البعيدْ،

والسّاعةُ البلهاءُ تلتهمُ الغدا

وَهُناكَ في بعضِ الجِهاتْ

مَرَّ القطارْ

عَجلاتُهُ غَزلَتْ رَجاءً بِتُّ أنتظرُ النّهارْ

مِنْ أجلِهِ ... مَرَّ القطارْ

وَخَبا بَعيدًا في السُّكونْ

خَلْفَ التِّلالِ النّائياتْ

لَمْ يَبْقَ في نفسي سوى رَجْعٍ وَهونْ

وَأنا أُحدِّقُ في النّجومِ الحالِماتْ

أتخيّلُ العَرَباتِ والصَّفَّ الطّويلْ

مِنْ ساهِرينَ وَمُتعَبينْ

أتخيّلُ اللّيلَ الثّقيلْ

في أَعْيُنٍ سَئِمَتْ وجوهَ الرّاكبينْ

في ضَوْءِ مِصباحِ القِطارِ الباهتِ

سَئِمَتْ مُراقبةَ الظّلامِ الصّامتِ

---

* ديوان الشّاعرة نازك الملائكة، المجلّد الثّاني/ ص 06/ ط2/ 9791/ دار العودة، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أتصوّرُ الضّجرَ المَريرْ

في أنفُسٍ مَلَّتْ، وَأتعبَها الصّفيرْ

هي والحقائِبُ في انتظارْ

هيَ والحقائبُ تحتَ أكداسِ الغُبارْ

تغفو دقائِقَ، ثُمَّ يوقظُها القِطارْ

وَيُطلُّ بعضُ الرّاكبينْ

مُتثائِبًا، نَعسانَ، في كَسَلٍ يُحَدِّقُ في القِفارْ

وَيعودُ ينظرُ في وجوهِ الآخرينْ

في أَوْجُهِ الغُرَباءِ يَجمعُهُمْ قِطارْ

وَيكادُ يغفو ثُمَّ يسمعُ في شُرودْ

صَوْتًا يُغَمغِمُ في بُرودْ

"هذي العقارِبُ لا تسيرْ!

كَمْ مَرَّ مِنْ هذا المساءْ؟ متى الوصولْ"؟

وتدقُّ ساعَتُهُ ثلاثًا في ذُهولْ

وَهُنا يُقاطِعُهُ الصّفيرْ

وَيلوحُ مِصباحُ الخَفيرْ

وَيلوحُ ضَوْءُ مَحطّةٍ عبرَ المساءْ

إِذْ ذاكَ يتّئِدُ القِطارُ المُجْهَدُ

... وَفتىً هُنالِكَ في انطواءْ

يأبى الرّقادَ، وَلمْ يَزَلْ يَتنهَّدُ

سَهرانَ يرتقبُ النّجومْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في مُقلتيهِ برودةٌ، خَطَّ الوجومْ

أطرافَها... في وَجهِهِ لونٌ غَريبْ

ألقَتْ عليهِ حَرارةُ الأحلامِ آثارَ احمرارْ

شَفتاهُ في شِبْهِ افترارْ

عَنْ شِبْهِ حُلْمٍ يفرشُ اللّيلَ الجديبْ

بِحَفيفِ أجنحةٍ خَفيّاتِ اللّحونْ

عَيناهُ في شِبْهِ انطِباقْ

وكأنّها تخشى فرارَ أشعّةٍ خَلْفَ الجفونْ

أوْ أنْ ترى شيئًا مَقيتًا لا يُطاقْ

هذا الفتى الضَّجِرُ الحزينْ

عَبثًا يُحاوِلُ أنْ يَرى في الآخَرينْ

شيئًا سوى اللُّغزِ القديمْ

والقِصّةِ الكُبرى الّتي سَئِمَ الوجودْ

أبطالَها وَفُصولَها، وَمضى يُراقِبُ في بُرودْ

تَكرارَها البالي السّقيمْ

هذا الفتى...

وَتمرُّ أقدامُ الخفيرْ

وَيُطلُّ وَجهٌ عابِسٌ خلفَ الزّجاجْ،

وَجهُ الخفيرْ!

وَيهزُّ في يَدِهِ السِّراجْ

فَيَرى الوجوهَ المُتعَبَهْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والنّائِمينَ وَهُمْ جُلوسٌ في القطارْ

والأَعْيُنَ المُتَرَقِّبَهْ

في كُلِّ جَفْنٍ صَرخَةٌ باسمِ النّهارْ،

وَتضيعُ أقدامُ الخَفيرِ السّاهدِ

خَلْفَ الظّلامِ الرّاكدِ

مَرَّ القطارُ، وَضاعَ في قلبِ القفارْ

وَبقيتُ وَحدي أسألُ اللّيلَ الشّرودْ

عَنْ شاعري، وَمتى يعودْ؟

وَمتى يَجيءُ بِهِ القطارْ؟

أَتُراهُ مَرَّ بِهِ الخفيرْ

وَرآهُ لَمْ يَعبَأْ بِهِ ... كالآخرينْ

وَمضى يسيرْ

هوَ والسِّراجُ، وَيفحصانِ الرّاكِبينْ

وَأنا هُنا مازِلْتُ أرقبُ في انتظارْ

وَأَوَدُّ لَوْ جاءَ القِطارْ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أنشودةُ المطرِ *

بدر شاكر السَّيّاب

عَيْناكِ غابَتا نَخيلٍ ساعَةَ السَّحَرْ،

أَوْ شُرْفَتانِ راحَ يَنْأى عَنْهُما القَمَرْ

عَيْناكِ حينَ تَبْسمانِ تورِقُ الكُرومْ

وَتَرْقُصُ الأَضْواءُ...كالأَقْمارِ في نَهَرْ

يَرُجُّهُ المِجْدافُ وَهْنًا ساعَةَ السَّحَرْ

كَأَنَّما تَنْبضُ في غَوْرَيْهِما، النُّجومْ...

وَتَغْرَقانِ في ضَبابٍ مِنْ أَسىً شَفيفْ

كالبَحْرِ سَرَّحَ اليَدَيْنِ فَوْقَهُ المَساء،

دِفءُ الشِّتاءِ فيهِ وارْتِعاشَةُ الخَريفْ،

والمَوْتُ، والميلادُ، والظلامُ، والضّياء؛

فَتَسْتَفيقُ مِلءَ روحي، رَعْشَةُ البُكاءْ

ونشوةٌ وحشيَّةٌ تُعانِقُ السّماءْ

كنشوةِ الطِّفلِ إذا خافَ مِنَ القَمَرْ!

كَأَنَّ أَقْواسَ السَّحابِ تَشْرَبُ الغُيومْ

وَقَطْرَةً فَقَطْرَةً تَذوبُ في المَطَرْ...

وَكَرْكَرَ الأَطْفالُ في عَرائِشِ الكُرومْ،

وَدَغْدَغَتْ صَمْتَ العَصافيرِ عَلى الشَّجَرْ

أُنْشودَةُ المَطَرْ...

---

* ديوان الشّاعر بدر شاكر السّيّاب، المجلّد الأوّل/ ص474-184/ ط 7991/ دار العودة- بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

تَثاءَبَ الْمَساءُ، والغُيومُ ما تَزالْ

تَسحُّ ما تَسحُّ مِنْ دُموعِها الثِّقالْ

كَأَنَّ طِفلًا باتَ يَهْذي قَبْلَ أنْ يَنام:

بِأنَّ أُمَّهُ - الّتي أَفاقَ مُنْذُ عامْ

فَلَمْ يَجِدْها، ثُمَّ حينَ لَجَّ في السُّؤالْ

قالوا لَهُ: " بَعْدَ غَدٍ تَعودْ.. " -

لا بُدَّ أنْ تَعودْ

وَإنْ تَهامَسَ الرِّفاقُ أنَّها هُناكْ

في جانِبِ التَّلِّ تَنامُ نَوْمَةَ اللُّحودْ

تَسفُّ مِنْ تُرابِها وَتَشْرَبُ المَطَر؛

كَأنَّ صَيّادًا حَزينًا يَجْمَعُ الشِّباكْ...

وَيَنْثُرُ الغِناءَ حَيْثُ يَأْفلُ القَمَرْ.

مَطَرْ...

مَطَرْ...

أتعلمينَ أيَّ حُزْنٍ يبعثُ المَطَرْ؟

وَكَيْفَ تَنْشجُ المزاريبُ إذا انْهَمَرْ؟

وكيفَ يَشْعُرُ الوَحيدُ فيهِ بِالضّياعِ؟

بِلا انْتِهاءٍ - كالدَّمِ الْمُراقِ، كالْجياعْ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كالْحُبِّ، كالأطْفالِ، كالْمَوْتى - هوَ الْمَطَرْ!

وَمُقْلَتاكِ بي تُطيفانِ مَعِ الْمَطَرْ

وَعَبْرَ أَمْواجِ الخَليجِ تَمْسَحُ البُروقْ

سَواحِلَ العِراقِ بِالنُّجومِ والْمَحار،

كَأَنَّها تَهمُّ بِالشُّروقْ

فَيَسْحَبُ اللّيلُ عليها مِنْ دَمٍ دِثارْ...

أصيحُ بالخليجِ: "يا خليجْ

يا واهِبَ اللُّؤْلُؤِ، والمَحارِ، والرَّدى!"

فيرجعُ الصَّدى

كأَنَّه النَّشيجْ:

"يا خَليجْ

يا واهِبَ المَحارِ والرَّدى..."

أَكادُ أَسْمَعُ العِراقَ يذْخرُ الرّعودْ

ويخزنُ البروقَ في السُّهولِ والجبالْ،

حتّى إذا ما فَضَّ عنها ختمَها الرِّجالْ

لم تتركِ الرّياحُ مِنْ ثمودْ

في الوادِ مِنْ أثرْ.

أكادُ أسمعُ النَّخيلَ يشربُ المطرْ

وأسمعُ القُرى تَئِنُّ، والمهاجرين

يُصارِعون بِالمجاذيفِ وبالقُلوعْ،

عَواصِفَ الخليجِ، والرُّعودَ، مُنشدينْ:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

وفي العِراقِ جوعْ

وينثرُ الغلالَ فيه مَوْسِمُ الحصادْ

لِتشبعَ الغِرْبانُ والجرادْ

وتطحنَ الشّوانَ والحَجَرْ

رَحىً تَدورُ في الحقولِ ... حولَها بَشَرْ

مَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

وَكَمْ ذَرَفْنا لَيْلَةَ الرَّحيلِ مِنْ دُموعْ

ثُمَّ اعْتَلَلْنا - خَوْفَ أَنْ نُلامَ - بِالمَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

وَمُنْذُ أَنْ كُنّا صِغارًا كانَتِ السَّماءْ

تَغيمُ في الشِّتاءْ

وَيَهْطلُ المَطَرْ،

وَكُلَّ عامٍ - حينَ يُعْشِبُ الثَّرى - نَجوعْ

ما مَرَّ عامٌ والعِراقُ لَيْسَ فيهِ جوعْ.

مَطَرْ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مَطَرْ...

مَطَرْ...

في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ المَطَرْ

حَمْراءُ، أَوْ صَفْراءُ، مِنْ أَجِنَّةِ الزَّهَرْ.

وَكُلِّ دَمْعَةٍ مِنَ الجياعِ والعُراةْ

وَكُلِّ قَطْرَةٍ تُراقُ مِنْ دَمِ العَبيدْ

فَهيَ ابْتِسامٌ في انْتِظارِ مَبْسمٍ جَديدْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

سيُعْشِبُ العِراقُ بِالمَطَرْ...

أصيحُ بالخليجِ: "يا خَليجْ...

يا واهِبَ اللُّؤْلُؤِ، والمحارِ، والرّدى!"

فيرجِعُ الصَّدى

كأَنَّهُ النشيجْ:

"يا خليجْ

يا واهِبَ المَحارِ والرّدى."

وينثرُ الخليجُ مِنْ هِباتِهِ الكِثارْ،

عَلى الرِّمالِ: رغوَهُ الأُجاجَ والمحارْ

وما تبقّى مِنْ عظامِ بائسٍ غريقْ

مِنْ المُهاجرينَ ظلّ يشربُ الرَّدى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مِنْ لُجَّةِ الخليجِ والقرارْ،

وفي العراقِ ألفُ أفعى تشربُ الرّحيقْ

مِنْ زهرةٍ يربُّها الفُراتُ بالنَّدى

وأسمعُ الصَّدى

يرنُّ في الخليجْ

مَطَرْ...

مَطَرْ...

مَطَرْ...

في كُلِّ قطرةٍ من المطرْ

حمراءُ، أوْ صفراءُ من أَجِنَّةِ الزَّهَرْ

وكلِّ دمعةٍ من الجياعِ والعُراةْ

وكلِّ قطرةٍ تُراقُ مِنْ دَمِ العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظارِ مَبسمٍ جديدْ...

في عالَمِ الغَدِ الفَتي...

وَيَهْطُلُ المَطَرْ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذكرياتُ الطّفولةِ *

عبدالوهّاب البيّاتي

بالأمسِ كُنّا، آهِ منْ كُنّا: وَمن أمسٍ يكونْ

نعدو وراءَ ظِلالِنا...

كُنّا، وَمن أمسٍ يكونْ

لا نرهبُ الصّمتَ الّذي تُضفيهِ أشباحُ الغُروبْ

فوقَ الحدائقِ والدّروبْ

لا نرهبُ السّورَ الّذي مِنْ خلفِهِ يأتي الضّياءْ

وَلَرُبّما ماتَ الضّياءُ، ولمْ يَعُدْ، وَنقولُ: "جاءْ!"

كُنّا نقولُ كما نَشاءْ

حتّى النّجومْ

كُنّا نقولُ بأنّها - كانَتْ - عيونْ

للأرضِ تنظرُ في فُتونْ

حتّى النّجومْ

كانَتْ عيونْ

لا نعرفُ "الشّيءَ الصّغيرَ"، ولا نُصَدِّقُ ما يُقالْ

ولا نَزالْ

لا نعرفُ الشّيءَ الصّغيرَ، ولا نُصَدِّقُ ما يُقالْ

وَلَرُبّما كُنّا نُحدِّقُ في الفَراغِ، ولا نَنامْ

وفي الظّلامْ

---

* ديوان الشّاعر عبدالوهّاب البيّاتي، المُجلّد الأوّل/ ص 171-371/ ط4/ دار العودة، بيروت 0991م.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مأوى ...

كانَتْ مدائِنُنا الجديدةُ في الظّلامْ

بِمَنازلِ الأمواتِ، أشبهَ، أوْ قُرى

النّملِ - .... الجديدةِ في الظّلامْ-

كانَتْ مدائِنُنا تُقامْ

وفي الظّلامْ

كُنّا نُحدِّقُ في الفَراغِ، ولا نَنامْ

إلّا على أصواتِ عالَمِنا المُقوّضِ، والعبيدْ

يتسكّعون...

وَخيولُنا الخشبيّةُ العرجاءُ، كُنّا في الجدارْ

بالفَحْمِ نَرسمُها، وَنرسمُ حَوْلَها حَقلًا وَدارْ

حَقلًا وَدارْ

وَنُطارِدُ القِططَ الهزيلةَ في الأزقّةِ بالحِجارْ

وإلى "الحبيبةِ" كانَ يدفعُنا، وَيدفعُنا الحنينْ ...

كُنّا لِخَفْقِ نِعالِها الفِضّي، نُصغي ساهِمينْ

بعدَ المساءِ، وبعدَ حينْ

وَتثورُ أحقادُ السِّنينْ

فنعودُ نبحثُ في بقايا الذِّكرياتِ عن الحياةْ

الأمسُ ماتْ

الأمسُ ماتْ

لَمْ يبقَ حولَ "مدينةِ الأطفالِ" إلّا ما نَشاءْ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إلّا بقايا السّورِ والشّحّاذُ يستجدي، وأقدامُ الزّمانْ

إلّا العجائزُ في الدّروبِ الموحِشاتْ

يسألْنَ عنّا الغادياتِ الرّائِحاتْ

وَلَرُبّما مَرَّتْ بِهِنَّ... بِهِنَّ هذي الذِّكريات:

"السّورُ" و "الشَّحّاذُ" و "الطِّفلُ الّذي بالأمسِ ماتْ"...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

البُكاءُ بينَ يَدي زَرقاءِ اليمامةِ *

أمل دنقل

أَسألُ يا زَرقاءْ ...

عَنْ وَقفتي العَزلاءِ بينَ السّيفِ ... والجدارْ!

عَنْ صَرخةِ المرأةِ بينَ السَّبيِ والفرارْ؟

كيفَ حَملْتُ العارْ...

ثُمَّ مَشَيْتُ؟ دونَ أنْ أَقتُلَ نَفسي؟ دونَ أنْ أَنهارْ؟!

وَدونَ أنْ يسقُطَ لَحمي ... مِنْ غُبارِ التُّربةِ المُدَنَّسةْ؟!

تَكلّمي

تَكلَّمي... باللّهِ .....

لا تُغمضي عَينيكِ ...

تَكلّمي... لشدَّ ما أنا مُهانْ

لا اللّيلُ يُخفي فَضيحتي... ولا الجُدرانْ!

... تقفزُ حولي طفلةٌ واسعةُ العَينينِ... عَذبةُ المُشاكسةْ

(كانَ يقصُّ عنكِ يا صَغيرتي... ونحنُ في الخنادقْ

فَنفتحُ الأزرارَ في ستراتِنا... وَنُسنِدُ البنادِقْ

وحينَ ماتَ عَطشًا في الصّحراءِ المُشمسةْ...

---

* زرقاءُ اليمامةِ: هي امرأةٌ من قبيلةِ (جَديس)، كانت تُبصِرُ الشّيءَ من مسيرةِ ثلاثةِ أيّامٍ، فلمّا قتلَتْ (جَديسُ) (طَسَمًا) خرجَ رجلٌ من (طَسم) إلى حسّانَ تُبَّعِ اليمنِ، فاستجاشَهُ، وَرغَّبَهُ في الغنائمِ، فجهّزَ جيشًا، فلمّا صاروا من (جوّ) على مسيرةِ ثلاثِ ليالٍ، صعدَت الزّرقاءُ فنظرَتْ إلى الجيشِ، وقد أُمِروا بأنْ يحملَ كُلُّ رجلٍ منهم شجرةً يستترُ بها ليُلبّسوا عليها، فقالَتْ: يا قومُ، قد أتَتْكُمُ الشّجرُ، أوْ أَتَتْكُمُ (حِمْيَرُ)، فلم يُصدّقوها، فقالَتْ على مِثالِ الرَّجَزِ:

أُقسِمُ باللهِ لقد دَبَّ الشَّجَرْ أَوْ حِمْيَرٌ قدر أَخَذَتْ شيئًا أُخَرْ

فلم يُصدّقوها، فقالَتْ: أُقسِمُ باللهِ لقد أرى رَجُلًا ينهسُ كَتِفًا، أو يخصفُ نعلًا، فلم يُصدّقوها، ولم يستعدّوا حتّى صَبَّحَهُم حسّانُ، فاجتاحَهُم، وقتلَ الزَّرقاءَ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رَطَّبَ باسمِكِ الشِّفاهَ اليابسةْ...

وارتخَتِ العَينانْ!)

فأينَ أُخفي وَجهيَ المُتَّهمَ المُدانْ؟

والضّحكةَ الطّروبَ: ضِحكتَهُ...

والوَجْهُ... والغمّازتانْ!؟

يا زَرقاءْ...

لا تسكتي... فقدْ سَكَتُّ سَنةً فَسنةً...

لكي أنالَ فَضلةَ الأمانْ

قيلَ ليَ (اخرَسْ...)

فَخرسْتُ... وَعميْتُ...

ظَللتُ في عبيدِ (عَبْسٍ) أحرسُ القطعانْ

أجتزُّ صوفَها...

أردُّ نوقَها...

أنامُ في حظائرِ النِّسيانْ

طَعاميَ: الكِسرةُ... والماءُ... وَبعضُ الثّمراتِ اليابسَةْ

وَها أنا في ساعةِ الطِّعانْ

ساعةَ أنْ تخاذلَ الكُماةُ... والرُّماةُ... والفُرسانْ

دُعيتُ للميدانْ!

أنا الّذي ما ذُقْتُ لحمَ الضّانْ...

أنا الّذي لا حولَ لي ولا شانْ...

أنا الّذي أُقصيْتُ عن مَجالسِ الفِتيانْ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أُدْعى إلى الموتِ... وَلَمْ أُدْعَ إلى المُجالَسَةْ!!

تَكلّمي يا زَرقاءُ

تَكلّمي... تَكلّمي...

فَها أنا على التُّرابِ سائلٌ دَمي

وهوَ ظَمِئٌ... يطلبُ المزيدا...

أُسائلُ الصّمتَ الّذي يَخنقُني:

"ما لِلْجِمالِ مَشيُها وَئيدا...؟!

أَجَنْدلًا يَحْمِلْنَ أمْ حديدا...؟!"

فَمَنْ تُرى يَصدقُني؟

أُسائِلُ الرُّكّعَ السُّجودا

أُسائلُ القيودا:

"ما لِلْجِمالِ مَشيُها وَئيدا...؟!"

"ما لِلْجِمالِ مَشيُها وَئيدا...؟!"

زَرقاءُ...

ماذا تفيدُ الكَلِماتُ اليابسةْ؟

قُلْتِ لَهُمْ ما قُلْتِ عنْ قوافلِ الغُبارْ...

فاتَّهموا عَيْنَيكِ - يا زَرقاءُ - بالبَوارْ!

قُلْتِ لَهُمْ ما قُلْتِ عنْ مسيرةِ الأشجارْ...

فاستضحكوا مِنْ وَهمِكِ الثّرثارْ!

وَحينَ فوجِئوا بِحَدِّ السّيفِ: قايضوا بِنا...

والتمسوا النَّجاةَ والفِرارْ!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ها أنتِ يا زَرقاءْ

وَحيدةٌ... عَمياءْ!

وما تزالُ أُغنياتُ الحُبِّ... والأضواءْ

والعَرباتُ الفارِهاتُ... والأزياءْ!

فأينَ أُخفي وَجهيَ المُشَوّها

كي لا أُعَكِّرَ الصّفاءَ... الأَبْلَهَ... المُمَوَّها.

في أَعْيُنِ الرِّجالِ والنِّساءْ!؟

وَأنتِ يا زَرقاءْ...

وَحيدةٌ... عَمياءْ!

وَحيدةٌ... عَمياءْ!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

العائِدُ*

ممدوح عدوان

لم يُطارِدْهُ جنونُ البحرِ

لَمْ يَلْسَعْهُ سوطُ الشّمسِ

في تيهِ الصّحارى

عندما عادَ إلينا

دونَ أَشواقٍ ... ولا نَجوى لَدَيْنا

لِتَرُدَّ القلبَ مِنْ ساحِ المَجَرّهْ

لمْ يَزَلْ كالهَمْسِ: أَنّى شاءَ طارا

كَمْ تساءَلْنا، وَراقَبْناهُ كي نفهمَ سِرَّهْ

وَتهامَسْنا حَيارى:

"ما الّذي يَبغيهِ مَجنونٌ لَدَيْنا"؟!

لَمْ يَكُنْ يَربطُنا حَبْلُ مَسرَّهْ

غيرَ أنّا

عندَما فَرَّ ... تَرامَتْ وَحشةُ الموتِ عَلَينا

وَبَكينا ... عندَما عادَ، وَلَمْ يَنْظُرْ إلينا

***

* الأعمال الشّعريّة الكاملة للشّاعر ممدوح عدوان، المجلّد الأوّل / ص 19/ ط/ 6891/ دار العودة، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لَمْ نُحَمِّلْ خَلْفَهُ يومًا نسيمَ اللّيلِ نَغْمَهْ

لَمْ نُسائِلْ عَنْهُ نَجْمَهْ

لَمْ نَقُلْ سِرًّا، وَلَمْ نَحْلَمْ: "تُرى هَلْ سَيعود"؟

عادَ في إطلالَةِ الفَجرِ لِكَي يَبلُغَ عُشَّهْ

وهوَ يَدري

أنَّ ريحَ الموتِ لمّا عَبَرَتْ

لَمْ تُخَلِّفْ فيهِ قَشَّهْ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

طِفلٌ*

صلاح عبدالصّبور

(1)

قولى ... أَماتْ؟

جُسّيهِ ...جُسّي وَجْنَتَيهْ!

هذا البَريقْ

مازالَ وَمْضٌ مِنْهُ يَفرشُ مُقلَتيهْ

هذي أصابعُهُ النّحيلة

هذي جدائلُهُ الطّويلة

أنفاسُهُ المُتَرَدِّداتُ بِصَدرِهِ الورديِّ كالنَّغَمِ الأخيرْ

مِنْ عازِفٍ وَفدَ النُّعاسُ عليهِ في اللّيلِ الأخير

وتلكَ جَبهتُهُ النّبيلةْ

بيضاءُ يلمعُ فوقَ موجتِها الزَّبدْ

قولي ... أَماتْ

وَأنا غَدَوْتُ بِلا أَحَدْ؟!

(2)

وَسألتني ... ما الوقتُ، هلْ دَلَفَ المساءْ؟

---

* ديوان الشّاعر صلاح عبدالصّبور/ ص 533-833/ ط1/ 2791/، دار العودة، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

- أَتذهبينْ؟

وَلِمَ نُطيلُ عَذابَهُ حتّى الصّباحْ؟

لَنْ يُرجِعَ الصُّبحُ الحياةَ إليهِ،

ما جَدوى الصّباحْ؟

(3)

وَمضَ الشُّعاعُ بِعَينِهِ الهَدباءِ وَمضتَهُ الأخيرةْ

ثُمَّ احترَقْ

ورأيْتُ شيئًا مِنْ تُرابِ الوَجنتينْ

رَبّاهُ: فوقَ الصَّدرِ، فوقَ السّاعِدَينْ

والعازِفُ المغلوبُ نامَ، وماتَ في الصّمتِ الكبيرْ

نَغَمٌ أخيرْ

وَسَأَلْتِ ... ماتَ...؟ أجلْ سَأبكيهِ،

سَنبكيهِ معًا

وَوَجَمْتِ، لا الجَفنُ اختلَجْ

وَنَهَضْتِ، ثُمَّ فتَحْتِ هذا البابَ في صمتٍ مَلولْ

وَنَظَرْتِ خلفَ البابِ تلتمسينَ (سُلّمَةَ) النّزولْ

ووقَفْتِ، ثُمَّ رَجَعْتِ في عَينيكِ شَيْءٌ مِنْ وَهَجْ

كي تلمسيهْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أوْ تُغمضي عَينيهِ، أوْ تَتأَمَّليهْ

لا تَلمسيهْ!

هذا الصَّبيُّ ابنُ السِّنينَ الدّامياتِ العارياتِ مِنَ الفَرَحْ

هو فرحتي،

لا تَلمسيهْ!

أَسْكَنْتُهُ صَدري، فَنامْ

وَسَّدْتُهُ قَلبي الكبيرْ ...

وَجَعَلْتُ حائطَهُ الضُّلوعْ

وَأَنَرْتُ مِنْ هُدبي الشّموعْ

ليَزروَهُ عُمري الظَّمي...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أقولُ لأصحابي*
علي جعفر العلّاق

أقولُ لِأَصحابي:

هو البردُ فاحمِلوا

إلى حُلُمي غُصنًا مِنَ الضّوءِ

كي أرى

بلادًا توافيني قطاةً يَتيمةً

أُغنّي لِعَينيها، وَأَبْكي لِعُرْيها...

يَتيمانِ عافَتْنا الحضاراتُ

والقُرى...

وحيدٌ فلا هذا الحنينُ أُطيقُهُ

ولا بَلَدٌ يدنو من النّومِ

أخضرا ...

قَطاةٌ تُناديني ... وَثمَّ قصيدةٌ

تغيمُ لكي أصحو... وأصحو

لِتُمطِرا...

* ديوان "السفينة" للشّاعر علي جعفر العلاق/ ص 19/ ط1/ 5102/ المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أيّار وَملّاحٌ جديدٌ *

إبراهيم السّعافين

(1)

وَكُلَّ عامٍ يُرفَعُ السِّتارْ

وَيسمعُ الجمهورُ قصّةَ البحّارْ

بلونِها الجديدِ لكنْ ليسَ مِنْ جديدْ

فَمشهَدٌ مؤثِّرٌ وَبعدَهُ فصولْ

تُشَدُّ فيها الخَيْلُ ...

تُقْرَعُ الطُّبولْ

وَبعدَ دَمعتينِ... كِلْمتينِ للبحّارْ

نودِّعُ الرّؤى، وَيُسدَلُ السِّتارْ

(2)

الموجُ والأنواءُ والسَّحابْ

والحلمُ والمجدافُ والشَّبابْ

تناثرَتْ في خاطرِ السِّنينْ

وَقارِبُ الملّاحِ يمضي شامِخَ الجبينْ

يهزُّهُ إلى المدى الحنينْ

فقدْ غفَتْ في روحِهِ أشباحُ الانكسارْ

وَمَنْ دَرى!

لعلَّهُ يصطادُ هذا اليومَ أروعَ المحارْ

---

* ديوان "أُفق الخيول" للشّاعر إبراهيم السّعافين/ ص 721 - 031/ ط1/ 5002/ المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فَرُبّما يزهو أمامَ البدرِ... عندَ نجمتينِ

تلثمانِ صفحةَ المياهْ

بأنّهُ الّذي ما خابَ في معاركِ الحياةْ

(3)

تجهّمَتْ ... تمرّدَتْ في أُفقِهِ الأنواءْ

وَأنشبَتْ في حَلقِهِ الظّامي مخالِبَ الصّقورْ

وَحولَهُ الحيتانُ تفغرُ الأفواهَ في انتظارْ

والموجُ في شراسةٍ يكرُّ في الصّخورْ

وكلُّ ما في البحرِ حاقِدُ القرارْ

..... ويفتحُ العينينِ كانتباهةِ القضاءْ

وَيُطبِقُ اليدينِ ضارِعًا، يُغالِبُ التيّارْ

وَيستعينُ بالأحلامِ، بالنّجومِ، بالإصرارْ

بأنْ يُصارِعَ الأنواءَ، أنْ يُقارِعَ الدَّمارْ

(4)

لكنّهُ التيّارُ، يا لقوّةِ التيّارْ!

اللّيلُ جيشُهُ الضّريرُ

والرّياحُ خيلُهُ العنيدةْ

تدوسُ مَنْ يقولُ: لا

بأشرسِ السّنابِكْ ...

(5)

وتكتسي الشّوارِعُ الحزينةُ الظّلامْ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَيختفي أيّارُ في الزّحامْ

وَكُلَّ عامٍ يُرفَعُ السِّتارْ

وَيسمعُ الجمهورُ قصّةَ البحّارْ

بلونِها الجديدِ لكنْ ليسَ مِنْ جديدْ

وَيستعدُّ ثائرٌ لأخذِ الثّارْ

وَيُسدَلُ السِّتارْ ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مازِلْتُ أُغنّي*

محمّد الفيتوري

لم تَمُتْ فيَّ أغانيَّ، فمازِلْتُ أُغنّي

لَكِ يا أرضَ انفعالاتي، وَحُزني

للملايينِ الّتي تنقشُ في الصّخرِ، وَتَبني

والّتي ما فَتِئَتْ تُبدِعُ فَنّي

والّتي تَعرِفُ أنّي...

أنا مِنها ... وهي منّي

لَمْ تَمُتْ فيَّ أَغانيَّ

وفي صدرِكِ كِلمَهْ

لَمْ تَقُلْها شَفتاي

وعلى وَجهِكِ غَيْمَه

لَمْ تُمَزِّقْها يَداي

أنتِ يا مَنْ تَهبينَ الشّمسَ

في كُلِّ صَباحٍ وَعشيّهْ

مِنْ دِمايْ

لِتُنيري خُطواتِ البَشريّهْ

بِخُطايْ..

***

* ديوان "محمّد الفيتوري" / ص 043/ ط3/ 9791/ دار العودة، بيروت.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أنا في حُبِّكِ مليونُ ضَحيّهْ

تَتهاوى تحتَ أقدامِ جَلالِكْ

فاجعليني، في نِضالِكْ

لِأَكُنْ قَطرَةَ دَمْ

شَهْقَةَ فَمْ

بَسْمَةَ مَجلودٍ هُنالِكْ

حيثُ تمشينَ مَهيبَهْ

في جِراحِكْ

في كِفاحِكْ ...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عالَمُ المجدِ *

د. عبد الحكيم الزّبيدي

أيُّها السّائِلُ عنْ أخلاقِ آبائي،

وأجدادي تَرَفّقْ.

أنتَ لا تَعرِفُ

كيفَ الخَيْرُ فيهمْ يَتدَفَّقْ.

أنتَ لا تدري

بأنَّ النّورَ مِنْ كُثبانِهِمْ لِلْكَونِ أَشْرَقْ.

حَمَلَوا الهَدْيَ، وَساروا،

يَنشرونَ العَدْلَ والحَقْ.

أينما حَلّوا، أقاموا،

عَلَمَ الأخلاقِ يَخفقْ.

بَسطوا السِّلْمَ،

فأضحى الكَوْنُ بالآمالِ يَبْرُقْ.

نَشروا العِلْمَ فقامَتْ نَهضةٌ

في عالَمِ المجدِ تُحَلِّقْ.

وَتسامَتْ دَوْحَةُ الحَقِّ،

---

* مختارات شعريّة "خفقات القلب الشّاعري" للدكتور شهاب غانم، منشورات: دار الهُدهد، دُبي، ط6102/1

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَطالَتْ،

غُصْنُها المُثْمِرُ أَوْرَقْ.

يَتَفيّا ظِلَّها الغادونَ والعافونَ،

بالخَيْراتِ تُغدِقْ.

لا فقيرٌ يَشتكي الجوعَ،

ولا خائفُ يفرَقْ.

يَنعَمُ الكُلُّ بِأَمْنٍ

وَسلامٍ دائمٍ فيها

وَمُطْلَقْ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وَرْدَةُ أُمّي*

د. راشد علي عيسى

جاءَ عيدُ الأُمِّ يا أُمّي

فَرِفّي، واحضُنيني،

واقْبَلي الوردةَ منّي،

واغفِريني،

وَدَعيني أَتهجّى قَلبَكِ العالي؛

لأنجو من غِوايات يَدي،

أَجِّلي حُزنَكِ يا أُمّي قليلًا

وابسِمي لي

فَلَكمْ أَشتاقُ للطِّفلِ الّذي غادرَني

بعدَ أنْ كانَتْ ذراعاكِ سَريري

وَصدى صوْتِكِ في البيتِ ترانيمَ غَدي...

جاءَ عيدُ الأُمِّ يا أُمّي

فَرُدّيني إلى عَهْدِ الطّفولَةْ

لَمْ أَكُنْ أعرِفُ أنَّ العُمْرَ كالوردِ

سَيذبلْ

وَزُجاجي يَتكسَّرْ

والأماني البيْضَ ترحَلْ

---

* الشّاعر الدّكتور راشد علي عيسى، عضو رابطةِ الكُتّابِ الأردنيّين، وعضو لجنةِ تأليفِ المناهجِ في وزارةِ التّربيةِ والتّعليمِ الأردنيّةِ، والنّصّ من ديوانه (دمعة النّمر) منشورات وزارة الثّقافة/الأردن/6102.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ها أنا مِنْ بعدِ أنْ كُنْتُ بكفيّكِ أُرَبّي

زهرةَ الحُلْمِ الجَميلةْ

خَدعَتْني كِذْبَةُ الدُّنيا فَتُهْتُ،

وَكبرْتُ ..

وَتورّطْتُ بأحلامِ الرُّجولةْ

فاقبلي الوردةَ منّي .. سامِحيني،

فَغدًا أوْ بَعْدَ شَمعة

وَغدًا أوْ بَعْدَ دَمعة

سوفَ أغدو شَتلةً صَفراءَ في أرضِ الكُهولَةْ

أَجّلي حُزنَكِ يا أُمّ دَقيقةْ

واحضُنيني

إنَّ لي ما بينَ عَيْنَيْكِ كِتابًا وَنُجومًا وَحديقةْ

كلُّ ما حوليَ وَهْمٌ،

وَحدَكِ الآنَ حَقيقةْ

فاقْبَلي الوردةَ منّي، واغفريني ..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القِصَّةُ القصيرةُ

«القِصّة"مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الّذي يأتي بمعنى التَّتَبّع، يقال: قصَّ فلانٌ أثرَ فلان: أي تتبّعه. ومنه قوله تعالى في سورة القصص : (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾). ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصّ عليه الخبر: أي حدّثه، وقَصّ القِصّة: أي حكاها. فالقِصّة: هي الحكاية الّتي تُحكى.

أمّا «القِصّة"في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنّ القِصّة سرد متخيّل قصير نسبيًا، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركز القِصّة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القِصّة بقوله «فَنٌّ أدبيٌّ نثريٌّ يتناول بالسرد حدثًا وقع، أوْ يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القِصّة (والرواية كذلك) إنّها فنٌّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القِصّة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ تقديمًا مباشرًا، وليس من أهدافها أنْ تُعلّم أو تعظ. إنّ القِصّة فن، والفن لا يتخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنّ القِصّة تستحث القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدًّا قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكل حياة الناس وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إن القِصّة الناجحة هي الّتي تجعل القراء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القِصّة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الّذي يشكل من هذه العناصر بناء فنيًّا متجانسًا متماسكًا، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما توصيلًا غير مباشر، ومن أهم عناصر القِصّة:

1. **الحدث**: عادة ما تقوم القِصّة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقِصّة تجري في زمان محدد،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ومكان محدد، وتتناول موقفًا محددًا، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

2. **الشخصيات**: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القِصّة، فلا يمكن أنْ تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنسانًا أو حيوانًا أو كائنًا متخيلًّا.

3. **الإطار الزماني والمكاني**: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفًا يناسب جوّ القِصّة، والفكرة.

4. **الراوي ووجهة النظر**: الراوي هو الّذي يروي القِصّة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القِصّة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القِصّة، وقد يكون راويًا خارجيًّا، ووجهة النظر الّتي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية؛ لأنها تعبّر عنها.

5. **الحبكة**: الطريقة الّتي يجمع بها الكاتب أحداث قصّته أو روايته ليصنع منها عملًا فنيًّا، يجذب القارئ، ويشدّه في اتجاه النّصّ من بدايته حتّى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القِصّة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلّا أنّ بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثُمَّ انحدار نحو النهاية.

6. **التشويق**: هو العنصر الّذي يشدّ القارئ نحو القِصّة وعالمها، وغالبًا ما يكون مرتبطًا بشيء تريده الشخصية الرئيسة، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية الّتي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك الّتي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو الّتي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية"و«قصة حبكة أو حدث». أمّا الثانية، في الغالب، هي الّتي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزّم عُليا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

7. **الفكـرة أو الموضـوع**: وهـي الرسـالة المبطنـة فـي القِصّـة، والتـي يريـد الكاتـب مـن القـارئ أن يصـل إليهـا.

8. **اللغـة**: اللغـة ترتبـط بحجـم القِصّـة، ويجـب أن تكـون مكثفـة تعتمـد التلميـح بـدل التصريح؛ فـلا مجـال للوصـف المسـهب فيهـا، وغالبًـا مـا يتـراوح عـدد كلماتهـا بيـن خمسـمئة إلـى عشـرة آلاف كلمـة، وقـد تسـتخدم الحـوار الّـذي يجـب أن يناسـب الشـخصية، ممـا يفتـح البـاب للعبـارات العاميـة والشـعبية.

ويمكننـا أن نجمـل القـول فـي القصـة فنقـول: إنّ القصـة لا تتنـاول -خلافًـا للروايـة- شـخصية كاملـة بـكل مـا يحيـط بهـا مـن حـوادث وظـروف وملابسـات، وإنمـا تكتفـي بتصويـر جانـب واحـد مـن جوانـب حيـاة الفـرد، ولا تتعـدد الشـخصيات فـي القصـة القصيـرة، ومـن الضـروري أن تتوافـر وحـدة الفعـل والزّمـان والمـكان؛ فيجـب أن يكـون المـكان محـدودًا، وأن يكـون الزمـان قصيـرًا، وأن ينتقـي القـاصّ -عكـس الرّوائـيّ- حدثًـا مـن الحيـاة اليوميـة، ويحـاول أن يجعـل منـه موقفًـا فنّيًـا، يوضـح بـه حقيقـة مـن الحقائـق.

ولـم تعـد بنيـة القصـة القصيـرة وعناصرهـا كمـا كانـت وقـت ظهورهـا، فقـد اختفت بعـض الشـروط، واختفـت بعـض العناصـر، حتـى تـكاد كل قصـة قصيـرة لهـا شـكلها الخاص،ولقـد تعـددت موضوعاتها وأغراضهـا ومجالاتهـا، وتباينـت فـي مـدى ارتباطهـا بالواقـع أو ابتعادهـا عنه.

إنّ الإلحـاح السـابق علـى ملحـظ التركيـز فـي القصـة القصيـرة، سـواءً أكان فـي البنيـة الفنيـة أم فـي اللغـة، يسـوقنا إلـى الحديـث عـن أهـم خصائـص القصـة القصيـرة، الّتـي يمكـن حصرهـا، بشـكل عـام، فـي ثـلاث خصائـص:

1. **الوحـــدة**: وقـد أكّـد عليهـا كبـار الكتـاب والتزمـوا بهـا، والمقصـود بالوحـدة هنـا: الوحـدة العضويـة الّتـي تـؤدي إلـى وحـدة الانطبـاع، والتأكيـد علـى أن تحمـل القصـة فكـرة واحـدة، وتركـز علـى شـخصية واحـدة فـي الغالـب، وأن تبنـى بنـاءً محكمًـا يولـد فـي القـارئ انطباعًـا واحـدًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

2. **التكثيـف**: وهـو مطلـب جوهـري لنجـاح القصـة فنيًّـا، ولذلـك قـال عنهـا يوسـف إدريـس «القصـة القصيـرة رصاصة"انظـر كيـف تصيـب الرصاصـة الهـدف، فهـي ليسـت حجـرًا ولا كرة، بـل رصاصـة تنطلـق لتصيـب الهـدف بسـرعة ودقـة تامتيـن، ولذلـك فـإن كل كلمـة محسـوبة فـي القصـة، وكل جملـة لهـا دورهـا، وليـس هنـاك مـكان للاسترسـال فـي الـكلام لمجـرد أنـه كلام جميـل أعجـب الكاتـب، كمـا أنّ والتكثيـف يختلـف باختـلاف القصـة، وطولهـا، وبنيتهـا الفنيـة.

3. **الدراميـة**: ويقصـد بهـا التوتـر الّـذي يجعـل القـارئ يتابـع القـراءة، ويرغـب فـي الوصـول إلـى النهايـة، حتـى لـو خلـت القصـة مـن الصـراع، واعتمـدت علـى أفـكار الشـخصية الداخليـة فـإنّ الكاتـب الناجـح يسـتطيع أن يشـدّ خيـط القصـة، ويجـذب القـارئ إلـى عالمهـا. وهنـاك تقنيات كثيـرة تسـاعد الكتـاب علـى تصعيـد درجـة التوتـر فـي القصـة، كالبدايـة المثيـرة للتسـاؤل، أو الشـخصية المحيّـرة أو المحتـارة، أو الحـوار الداخلـي، أو حركـة الزمـان أو المفارقـات، وغيرهـا كثيـر.

وكمـا قـال النقّـاد إنّ القصـة تأخـذ مـن المسـرح دراميّتـه، ومـن الشـعر توتّـره. إنّ القصـة القصيـرة تفتـح نافـذة صغيـرة للقـارئ ليطـل منهـا علـى مشـهد مـن مشـاهد الحيـاة لـم يكـن قـد فَطِـن إليـه مـن قبـل، وكلمـا زادت النوافـذ أتيـح لهـذا القـارئ أن تتوسـع نظرتـه للحيـاة، وتـزداد عمقًـا ومعرفـة، وإنّ قـارئ الأدب هـو إنسـان أكثـر تسـامحًا وتقبـلًا للحيـاة بـكل تناقضاتهـا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

القِصَّةُ القصيرةُ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

علامةُ تعجّبٍ

فاطمة الكعبي

الوقتُ بدا لي كسلحفاةٍ تحبو بكسلٍ، وأنا لم أكفَّ عنِ التّثاؤبِ لحظةً، رغمَ ركَلاتِ جنيني وهوَ يعلنُ تذمّرَهُ، وضَعتُ يدي على بطني، وأنا أتمنّى لو باستطاعتي الاستلقاءُ على ظهري حتّى يحينَ موعدي في صرفِ الدّواءِ.

نظراتُ العجوزِ تستفزُّني، أدرْتُ وجهي عنها، وما إنْ فعلْتُ حتّى قفزَتْ من مقعدِها بخفّةٍ لا تناسبُ عمرَها، وجلسَتْ بجواري.

منذُ ربعِ ساعةٍ وأنا أنتظرُ دوري.

هكذا، بلا مقدّماتٍ بدأَتِ الحديثَ، وهيَ تحشرُ جسدَها في فراغٍ صغيرٍ بجانبي على الكرسي الخشبيّ، ثمَّ أردفَتْ تشتمُ إدارةَ المستشفى، وتبدي رأيَها في نظامِ الأرقامِ الجديدِ في الانتظارِ الّذي تراه يؤخّرُ النّاسَ كثيرًا. ساءني رأيُها، وأنا أتخيّلُ نفسي أقفُ لدى شبّاكِ الصّيدليّةِ وسْطَ أكوامٍ منَ النّساءِ بانتظارِ حفنةِ فيتاميناتٍ.

إلامَ يشيرُ تذمّرُ المرأةِ العجوزِ منَ النّظامِ الجديدِ؟

بالعكسِ، أنا أرى أنّ هذا النّظامَ أفضلُ بكثيرٍ، على الأقلِّ لمن مثلِكِ ومثلي ممّنْ لا يقوَيْنَ على الوقوفِ والزّحامِ كثيرًا.

تُبدي تبرّمَها كتعليقٍ، يبدو أنّ طفلي لم يستسغْها مثلي؛ فقدْ عاودَ رفسي ما إنْ سمعَ صوتَها الحادَّ، وهيَ تسألُني أسئلةً كثيرةً، وتزجّني في أحاديثَ فارغةٍ. اكتفيْتُ بردودٍ مقتضبةٍ حتّى بدأتْ تشعرُ أنّ الحديثَ معَ امرأةٍ مكوّرةٍ مثلي بالكادِ تلتقطُ أنفاسَها لن يكونَ ممتعًا، فصمتَتْ عنّي، واكتفَتْ بمراقبةِ النّاسِ المارّينَ من أمامِنا، معَ بعضِ تعليقاتٍ لا تخلو في أغلبِها من تهكُّمٍ.

ـ لو كانَ أبوكَ معَنا!

حدّثْتُ جنيني، وأنا أرى عددًا منَ الرّجالِ يرافقونَ زوجاتِهمْ في فحوصاتِ الحملِ، شعرْتُ بوَحْدةٍ قاسيةٍ تشبهُ اليُتْمَ، وتمنّيْتُ لو يرافقُني مرَّةً في هذه الفحوصاتِ الشّهريّةِ؛ يدخلُ معي إلى غرفةِ الكشفِ، يشاهدُ ابنَه المتكوّمَ في

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بطني، أو -حتّى- ينتظرُني عندَ البابِ بشغفٍ، ويسألُني بلهفةِ الزّوجِ وحرصِ الأبِ.

ـ لديكِ السّائقُ... يوصلُكِ أينما تريدينَ.

كانَتِ الصّحيفةُ حائطًا بينَنا، تطالعُني بوقاحةٍ وهيَ بينَ يديهِ.

ـ أنتَ زوجي، وليسَ السّائقُ.

يتأفّفُ، وتأفّفاتُ العجوزِ ونظراتُها الّتي تنهشُ المارّةَ تزيدُ من ضيقي، كما تشعرُني تعليقاتُها اللّاذعةُ بالضّجرِ.

ـ لا وقتَ لديَّ..

أنا الّتي لديّ منَ الوقتِ تسعةُ أشهرٍ أحملُ فيها ابنَكَ بينَ أحشائي، لا يهمُّكَ خلالَها سوى سؤالٍ واحدٍ:

ـ ولدٌ أم بنتٌ؟

يداهمُني الأسى كلّما حرثْتُ ذاكرتي في مواقفَ لا جدوى منها، أحاولُ إقصاءَهُ عن تفكيري وأنا أعاودُ تقليبَ الورقةِ الّتي تحملُ رقمي، وأقارنُها بالرّقْمِ الّذي كانَ يضيءُ الشّاشةَ السّوداءَ بجانبِ الصّيدليّةِ، ولمّا همْمْتُ بالنّهوضِ أعادتْني العجوزُ بيدِها وهي تشيرُ:

ـ انظري!

نظرْتُ إلى حيثُ أشارَتْ، فرأيْتُ امرأةً تسيرُ برفقةِ زوجِها، شعرْتُ بالغيرةِ، ولم أستطعْ إبعادَ نظري عنهما، والعجوزُ تتمتمُ بكلماتٍ متداخلةٍ لم أفهمْها، ولكنّي استشعرْتُ ضيقَها، ظلَّتْ نظراتُنا معلقةً بهما حتّى اختفيا، فلتَتْ من بينِ شفتَيْ تنهيدةٌ طويلةٌ، بينَما نفثَتِ العجوزُ غيظَها في برقعِها، وعلّقَتْ عليهما بتهكّمٍ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

رأيْتُ النّخلَ*

رضوى عاشور

علامَ يدلُّ توقّفُ فوزيةَ عندَ الشّجرِ؟

طالَ الشِّتاءُ فلمْ أَعُدْ قادرةً على الانتظارِ، فلبستُ معطفي القديمَ، وربطْتُ رأسي بمنديلي الصّوفيِّ، ونزلْتُ إلى الشّوارعِ أقطعُها، وأتوقّفُ عندَ الشَّجرِ، أنظرُ، وأتحقّقُ، وعندَما تفشلُ عَينايَ في رؤيةِ شيءٍ على الفروعِ الجافّةِ، أَمدُّ يدي، أجسُّ، وأتحسّسُ، وأحيانًا كانَتْ يدايَ تتوقّفانِ، ويخفق قلبي، ثُمَّ أكتشفُ أنَّ ما وَجَدْتُ ليسَ هو المنشودَ، بلْ مُجرّدَ عقدةٍ على فرعٍ جافٍّ، ولكنّني كُنْتُ واثقةً أنّني سأجدُها، أقصدُ الكرويّاتِ الصّلبةَ الدّقيقةَ الّتي يخدعُكَ لونُها في البدايةِ فتظنُّها لا شيءَ، ولكنّكَ لوْ دَقّقْتَ النّظرَ وجدتَها كرويّةً، وَرمادَها ليسَ رماديًّا، ولا جفافَها جفافًا، وعليكَ أنْ تتابعَها، وتنتظرَها تكبرُ، وتتفتّحُ، وتكشفُ لكَ عنْ أخضرِها الكامنِ.

كُنْتُ أبحثُ عنها عندَما رآني ذلكَ الزّميلُ، فقالَ:

ـ فوزيّةُ، ماذا تفعلينَ في الشّارعِ في هذا البردِ الشّديدِ، كلُّ النّاسِ تلزمُ بيوتَها؟

قُلْتُ:

ـ أبحثُ عن البراعمِ!

فهتفَ:

ـ واللّهِ إنّكِ مجنونةٌ يا فوزيّةُ!

كانَ يمزحُ، أذكرُ بوضوحٍ أنَّ صوتَهُ كانَ ضاحكًا، وأنَّ النّظرةَ في عينيهِ كانَتْ دافئةً وودودةً.

وفي نهايةِ يومٍ قضيْتُهُ أبحثُ، عُدْتُ إلى بيتي خائبةً، أتساءَلُ إلى متى؟ ساعتَها تذكّرْتُ زهرةَ الصّبّارِ الّتي حَمَلَتْها لي عمّتي فاطمةُ من البلدِ، وكنْتُ قد وضعتُها بجوارِ البابِ، ونسيتُها، وعندَما تذكَّرْتُ، قُلْتُ لنفسي: لابُدَّ أنّها ماتَتْ، فأنا لمْ أَسْقِها منذُ عدّةِ شهورٍ، ولكنّني قُمْتُ لأراها، كانَ طينُها قد

* من مجموعتِها القصصيّةِ "رأيْتُ النّخل"، دار الشروق، مصر.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

جـفَّ، وتشـقّقَ، وأصبـحَ فـي لـونِ البُـنِّ الأشـقرِ، وعودُهـا يبـسَ، واصفـرَّ، رغـمَ أنّـهُ نمـا، وطـالَ، وكانَـتْ أوراقُهـا ذاتُ الحـوافِّ الإبريّـةِ على حالِها ناهضـةً، تتفـرّعُ مـن السّـاقِ عريضـةً، وتتفتّـحُ إلى الأسـفلِ رفيعـةً وَمُدبّبـةً، وكانَـتْ صبّـارةُ عمّتـي تسـتوي علـى سـوقِها خضـراءَ، رَوَيْتُهـا.

أَحْبَبْـتُ الـزّرعَ، وصـرْتُ أزرعُ فـي آنيـةٍ مِـنْ فخّـارٍ، فـي علبـةٍ فارغـةٍ، فـي كـوبٍ، فـي أيِّ شـيءٍ يصلـحُ للـزّرعِ، أملـؤُهُ بالطّيـنِ، وأُثَبِّـتُ فـي العُمـقِ الـلّازمِ نـواةَ ثمـرةٍ، أوْ فرعًـا أخضـرَ، وأروي.

أيّامَهـا، لَـمْ يَقُـلْ لـي أحـدٌ إنّنـي مجنونـةٌ، ولكنّهُـمْ قالوهـا بعـدَ ذلـكَ، يـومَ حملـوا لـي خبـرَ وفـاةِ ابـنِ عمّـي:

ـ ماتَ ابنُ عمِّكِ يا فوزيّةُ.

ـ ماتَ؟

فلمّـا أكّـدوا الخبـرَ طلَبْـتُ منهـم أنْ ينتظـروا كي أُصحبَهُـمْ لتقديمِ واجـبِ العزاءِ. رأَوْنـي أُقَرفِـصُ أمامَهُـمْ، وأمـلأُ علبـةً فارغـةً بالطّيـنِ، وأرشـقُ فيـهِ عـودَ ريحـانٍ، وأُثَبِّتُهُ بالضّغـطِ المُتكـرّرِ بِقَبضتـيّ على الطّيـنِ حتّـى يُمسِـكَ بالفـرعِ تمامًـا، ويحتضنَـهُ، ويتماسَـكَ، ثُـمَّ غمرتُـهُ بالمـاءِ، وَقُلْـتُ: — لِمَ فعلتْ فوزيةُ ذلكَ؟

ـ الآنَ بإمكانِنا أنْ نذهبَ.

رأَيْتُهُـمْ يضربـونَ كفًّـا بكـفٍّ، وسـمعتُهُمْ يقولـونَ: "جنَّـتْ فوزيّـةُ، وَعَوضُنـا علـى اللّـهِ"، ولـمْ أفهـمْ لمـاذا قالـوا ذلـكَ؟ واسـتغرَبْتُ أكثـرَ عندَمـا سـمعْتُ أحدَهُـمْ يهمـسُ: "فوزيّـةُ تُقلِّـدُ الأغنيـاءَ الّذيـن يُزيّنـونَ بيوتَهُـمْ بالنّباتـاتِ!"، اسـتغرَبْتُ؛ لأنّـهُ مِـنْ قريتِنـا، وَيعـرفُ، فنحـنُ فلّاحـونَ، صحيـحٌ أنَّ النِّسـاءَ فـي عائلتِنـا الصّعيديّـةِ لا يخرُجْـنَ إلـى الحقـولِ للفلاحـةِ، ولكـنَّ الفلاحـةَ هـي حياتُهُـنَّ الّتـي يفتَحْـنَ عيونَهُـنَّ عليهـا، وَيغمضْـنَ سـاعةَ المـوتِ عيونَهُـنَّ عليهـا أيضًـا، وأنـا أذكـرُ أنَّ بيتَنـا فـي القريـةِ كانَـتْ على سـطحِهِ نعناعـةٌ، وفـي قاعِـهِ صبّـارةٌ، وَبِبابِـهِ نخلـةٌ، وأذكـرُ أنَّ أبـي -رحمَـهُ اللّـهُ- كانَ يقـولُ: إنَّ النّخلـةَ شَـجرةٌ مُباركـةٌ، أنعـمَ اللّـهُ بهـا علـى عِبـادِهِ، وَكرّمَهـا بِذِكرِهـا فـي القُـرآنِ، وإنَّ النّبـيَّ -صلـواتُ اللّـهِ عليـهِ- قـالَ: "أكرِمـوا — لماذا كانتِ النسوةُ يستغربنَ منْ فعلِ فوزية؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عَمّاتِكـمُ النَّخـلَ"[1]، وإنّـهُ سـمّى النّخـلَ عَمّاتِنـا؛ لأنّها خُلِقَـتْ مِـنْ فضلـةِ طينـةِ آدمَ، وأنّهـا تُشـبِهُ الإنسـانَ، خُلِقَـتْ مِـنْ ذَكـرٍ وَأُنثـى، طويلـةً مُسـتقيمةَ القَـدِّ، وَجمارُهـا علـى رأسِـها، كعقـلِ الإنسـانِ فـي رأسِـهِ، إنْ أُصابَـهُ سـوءٌ هلـكَ.

كانَ أبـي يوصـي أَخَـويَّ بالنّخـلِ، كمـا كانَـتْ أُمّـي توصينـي كُلَّ فجـرٍ، وهـي تُلقي تعليماتِهـا اليوميّـةَ بِكَنْـسِ الـدّارِ، وإطعـامِ الدّجـاجِ، وأنْ أسـقيَ النّعناعـةَ، وعندَمـا كُنْـتُ أنسـى -كُنْـتُ دائمًـا علـى عجلـةٍ مِـنْ أمـري، أؤدّي تلـكَ الواجبـاتِ قبـلَ الذّهـابِ إلـى المدرسـةِ- كانَـتْ تغضـبُ، ويعلـو صوتُهـا موبِّخَـةً: "حـرامٌ عليـكِ يـا بُنيّتـي، هـذا فـألٌ سـيّئٌ، رَبُّنـا يمـدُّ فـي عُمـرِ أبيـكِ، وَيُبقـي الـدّارَ عمـارًا"، ولكـنَّ اللّـهَ لـمْ يمـدَّ فـي عُمـرِهِ، ولا فـي عُمرِهـا، حتّـى أَخَـوايَ ذَهبـا، فأصبَحْـتُ أنـا -بعـدَ أنْ أَقَمْـتُ فـي القاهـرةِ- كالمقطوعـةِ مِـنْ شجرةٍ، وَبـدا أنّنـي نسـيتُ النّعناعـةَ والصّبّـارةَ والنّخلـةَ، وَكُلَّ شـيءٍ.

ثُـمَّ جـاءَتْ عمّتـي فاطمـةُ لزيارتـي، وَضمَّتْنـي إلـى صدرِهـا، وبكَـتْ علـى خرابِ بيتِنـا الّـذي انطفـأَتْ نـارُهُ، وَجفَّـتْ صَبّارتُـهُ، ثُـمَّ كَفكَفَـتْ دمعَهـا، وَتربَّعَـتْ علـى البسـاطِ الأسـيوطيِّ، وَفتحَـت السّـلّةَ الّتـي حَمَلَتْهـا معهـا للزّيـارةِ. قالَـتْ: "أَحضَـرْتُ لَـكِ رغفانًـا خَبَزْتُهـا، وَتمـرًا مِـنْ نخلـةِ أبيـكِ، وَكَسَـرْتُ لـكِ فرعًـا مِـنَ الصّبّـارةِ الّتـي فـي دارِنـا"، ومـدَّتْ عمّتـي لـي يدَهـا بالصّبّـارةِ، وهـي تقـولُ، والدّمـوعُ مازالَـتْ فـي عَينيهـا: "الصّبّـارةُ الّتـي فـي دارِنـا كَسَـرَتْها لـي أُمّـي مِـنْ صَبّارتِهـا يـومَ تَزوّجْـتُ، وانتقَلْـتُ إلـى بيـتِ زوجـي، هـذِهِ إذنْ صبّـارةُ جَدَّتِـكِ، وجـدّةِ جَدَّتِـكِ، رَبُّنـا يُبـارِكُ فيـكِ يـا فوزيّـةُ، يـا بُنيّتـي، ويحفـظُ لـكِ الـدّارَ عمـارًا".

ماوجهُ الشّبهِ بينَ العمّةِ وابنةِ الأخِ؟

ذَكّرَتْني عمّتي، ولمّا تذكَّرْتُ زَرَعْتُ، فقالَ النّاسُ عنّي: مجنونةٌ.

في العملِ أيضًا، يتهامسونَ وراءَ ظَهري، وذاتَ مرّةٍ، قالَتْ لي زميلتي:

- انظري يا فوزيّةُ إلى يديكِ.

فَفَهِمْـتُ أنّهـا تُشـيرُ إلـى الخطـوطِ السّـوداءِ تحـتَ الأظافـرِ، فَقُلْـتُ: "هـذِهِ ليسَـتْ وسـاخةً، إنّـهُ طيـنٌ مُتخلّـفٌ مِـنَ الـزّرعِ الّـذي أزرعُـهُ".

1) ورد الحديثُ بعبارةِ "أكرِموا عَمَّتَكُم النَّخلةَ"، وهو حديثٌ ضعيفٌ. (انظر "زاد المعاد"/الجزء الربع/ 663/4).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قالَتْ لي، وهي تُرَبّتُ على كَتفي: "لا يليقُ، لا يليقُ أبدًا، وأنتِ موظّفةٌ!".

لا أفهمُ ما الّذي يسيءُ زُملائي عندَما أزرعُ. المكانُ الّذي نعملُ فيهِ مُعتمٌ وقديمٌ، تساقطَ طلاءُ جُدرانِهِ، وَنسجَ العنكبوتُ خيوطَهُ في الزّوايا، وَعشّشَتْ فيهِ الحشراتُ، وأنا واثقةٌ أنّ الفئرانَ لها جحورٌ فيهِ تتركُها في المساءِ واللّيلِ، وتسرحُ بينَ المكاتبِ بلا ضابطٍ، وَكُلَّ يومٍ أحمدُ اللّهَ أنّها لمْ تقرضْ بعدُ أيًّا مِنْ أوراقِ الملفّاتِ الّتي في عُهدتي: الملفّاتُ الرّماديّةُ القديمةُ المصفوفةُ على رفوفٍ خشبيّةٍ مُتآكلةٍ، يصعبُ معرفةُ لونِها الأصليِّ، وحتّى المساحةُ المُستطيلةُ الّتي أمامَ المبنى، والّتي نُشيرُ إليها بـ "الحديقةِ"يُغطّيها طفحُ المجاري، فلا نستطيعُ دخولَ المبنى أو الخروجَ مِنْهُ إلّا بالسّيرِ الحَذِرِ على خمسةِ أحجارٍ مُتجاورةٍ تُشكّلُ جسرًا إلى عتبةِ البابِ.

لَمْ أُقصّرْ معَ زُملائي، وعندَما وجدْتُ الوضعَ على ما هو عليهِ زَرعْتُ ثلاثَ شجراتٍ من الياسمينِ الهنديِّ، وَتعهّدْتُها، فلمّا نَمَتْ، وتكاثفَتْ أوراقُها حَمَلْتُها إلى المكتبِ، ووضَعْتُها مُتجاورةً في الشُّرفةِ الوحيدةِ الّتي بالمَبنى، ولكنَّ زُملائي لمْ يلتفتوا لجمالِ الياسمينِ حتّى عندَما أزهرَ، معَ أنّهُمُ التفتوا للطّينِ تحتَ أظافري.

مادلالةُ زراعةِ الياسمين في المكتبِ؟

في عَملي، لا يفهمونني، ولا في الحيِّ أيضًا. سَمعتُهُمْ بِأُذُني يقولونَ: "فوزيّةُ المجنونةُ الّتي تُلقي بِنَفسِها على نوى التّمرِ كأنّهُ جُنيهاتُ الذّهبِ، وَهُمْ يستغربونَ سلوكي، فالواحدُ منهم يأكلُ البلحةَ، ويلفظُ النّواةَ، يبصقُها مِنْ فمِهِ فتسقطُ بعيدًا، أوْ يبصقُها في يَدِهِ، أوْ يرميها بعدَ ذلكَ بطولِ ذراعِهِ فتسقطُ أبعدَ.. أركضُ لألتقطَها، وَأُخبّئَها في جيبي العميقةِ، وعندَما أرجعُ إلى البيتِ أضعُها في قطنةٍ مُبلّلةٍ أربعةَ أوْ خمسةَ أيّامٍ، وأتعهّدُها كُلَّ يومٍ، وأُتابعُها وهي تنتفخُ، وتلينُ حتّى ألمسَ بيدي طراوتَها، فأعرفَ أنّ الوقتَ قد حانَ، وبعدَ ذلكَ أدفنُها في الطّينِ، وأغمرُها بالماءِ،.. وأنتظرُ.

لماذا يتّهمُ النّاسُ فوزيةَ بالجنونِ؟

كُنْتُ أتمنّى أنْ يكونَ بيتي فسيحًا تُحيطُ بِهِ أرضي، فأزرعُها، وَيُحزنُني أنّهُ يتكوّنُ مِنْ حجرةٍ واحدةٍ، وأنَّ شُرفتَهُ الوحيدةَ ضيّقةٌ إلى هذا الحدِّ، ولا تتّسعُ لكلِّ ما أزرعُ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فـي الماضـي كُنْـتُ أضـعُ أُصُـصَ الـزّرعِ علـى سـورِ الشُّـرفةِ، ولكنّنـي عدَلْـتُ عـن ذلـكَ؛ لأنّ الصِّغـارَ العابثيـنَ كانـوا يرمونَهـا بالحجـارةِ. أوّلَ مـرّةٍ وجـدْتُ أَصيصَ زَرْعٍ مُحطّمًـا، والعـودَ المـزروعَ فيـه مكسـورًا، ذابـلَ الأوراقِ، فكّـرْتُ فيهـم، ولكنّنـي قُلْـتُ لنفسـي: "إنَّ بعـضَ الظّـنِّ إثـمٌ"، فلمّـا تكـرّرَ الأمـرُ تأكّـدْتُ، وتأكّـدْتُ أكثـرَ عندَمـا أخـذَ الصِّغـارُ يُضايقوننـي وأنـا عائـدةٌ إلـى البيـتِ، أحمـلُ صفيحـةً أوْ صفيحتيـنِ مـن تلـكَ الصّفائـحِ الكبيـرةِ الّتـي تُسـتخدمُ فـي حفـظِ الجبـنِ الأبيـضِ، أو الزّيتـونِ -كانَ العَـمُّ متولّـي البقّـالُ يُعطيهـا لـي لكـي أزرعَ فيهـا- وعندَمـا وجـدَ أنّنـي لا أشـتري مِنْـهُ الصّابـونَ المُعطّـرَ والجبـنَ المسـتوردَ المُغلّـفَ بـأوراقٍ فضيّـةٍ وذهبيّـةٍ غضـبَ، واسـتاءَ، ولـمْ يَعُـدْ يُعطينـي الصّفائـحَ، ذلـكَ رغـمَ تأكيـدي لَـهُ أنّنـي لا أشـتري هـذِهِ الأشـياءَ، لا مِنْـهُ، ولا مِـنْ سـواهُ؛ لأنّهـا غاليـةٌ، وراتبـي قليـلٌ، وعندَمـا كانَ العـمُّ متولّـي يُعطينـي الصّفائِـحَ كانَ الأولادُ يمشـونَ ورائـي، ويزفّونَنـي، ويقولـونَ: المجنونـةُ... راجعـةُ، وماسـكةٌ فـي يدِهـا صفيـحٌ، (عقـل مـا فيـش، مُـخ مـا فيـش)، (مُـخ فالصـو، وعقـل صفيـح).

مارأيكَ في تصرّفِ صاحبِ الدّكانِ؟

كانَ سـلوكُهُمْ يُحزنُنـي، فأشـعرُ بغصّـةٍ فـي حلقـي، ورغبـةٍ فـي البُـكاءِ، إلّا أنّنـي لَـمْ أَكُـنْ أبكـي، بَـلْ أنحنـي، وألتقـطُ أوّلَ حجـرٍ فـي الطّريـقِ، وَأُلقيـهِ عليهـم.

وفـي مَـرّةٍ مِـنَ المـرّاتِ ظهـرَتْ لـي أُمُّ سُـليمانَ المـرأةُ البدينـةُ ذاتُ السِّـنِّ الذّهبيَّـةِ، واعترضَـتْ طريقـي، فَقُلْـتُ لهـا مُعتـذرةً:

ـ أنـا آسـفةٌ يـا أُمَّ سُـليمانَ، لَـمْ أقصـد الإسـاءةَ، لكـنَّ سُـليمانَ والأولادَ الآخريـنَ سَـبّوني، وأيضًـا يـا أُمَّ سُـليمانَ بالأمـسِ كسـروا آنيـةَ الـزّرعِ الّتـي وضَعْتُهـا عنـدَ مدخـلِ البيـتِ.

فاجأَتْني ضحكتُها، ولكنّني واصَلْتُ:

ـ أنـتِ أُمَّ سُـليمانَ تقوميـنَ برعايـةِ سُـليمانَ وَحمايتِـهِ أليـسَ كذلـكَ؟ اعتبريـني أنـا أيضًـا أُمًّـا، أنـا أُمُّ الـزّرعِ!

لَعَّبَتْ أُمُّ سُليمانَ حاجِبَيْها، وأخرجَتْ صوتًا مُتحشرجًا مِنْ حلقِها، وقالَتْ:

ـ "مَبروك عليكِ "زرع"يا "أُمّ زرع"تعيشي، وتجيبي!".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وأدارَتْ ظَهرَها، وَتركَتْني، وهي تواصِلُ ضحكاتِها العاليةَ المُخيفةَ، وَلَمْ أَجِدْ مَنْ أشكو لَهُ سوى "أبويا"الّذي يعملُ أجيرًا في المشتلِ، ويسكنُ في كوخٍ خَشبيٍّ في مكانِ عملِهِ.

في بِدايةِ تعارُفِنا كُنْتُ أُناديهِ بـ "عَم محمّد"، وهو يُناديني "السّتّ فوزيّة"، ولمّا تآلَفْنا، صِرتُ أُسَمّيهِ "أبويا محمّد"، وهو يُسمّيني "أُمّ أحمد"نسبةً إلى أبي -رحمَهُ اللّهُ- الّذي كانَ اسمُهُ "أحمد".

عندَما تضيقُ بيَ الدُّنيا أذهبُ إليهِ، وأشكو.

وعندَما أصفو أرى في الأحلامِ الحقولَ، فتكونُ الأحلامُ جميلةً كالحقولِ، ... ومُلوّنةً.

عندَما يكونُ الحَقلُ قمحًا أراهُ كالذّهبِ الخالصِ تميلُ بِهِ السّنابلُ، وتنحني، وتموجُ في بَحرٍ مِنْ زَعفرانٍ.

وعندَما يكونُ الحَقْلُ ذُرةً، أرى الكيزانَ وقد استوَتْ على عيدانِها، وَسرَتْ في شَواشيها حُمرةٌ خمريّةٌ، فيبدو الحقلُ وهوَ الأخضرُ بُنيًّا أحمرَ كماءِ النّيلِ في الشّهرِ التّاسعِ، مُثقَلًا بالطّمي قبلَ الفيضانِ.

هلْ تؤمنُ بالأثرِ الّذي أحدثَهُ الزّرعُ في نفسِ فوزية؟

وعندَما يكونُ الحقلُ حديقةَ بُرتقالٍ، أرى الشّجراتِ صغيرةً وَمُدوّرةً وَمُحمّلةً بالثِّمارِ، ويكونُ البُرتقالُ على أخضرِ الغصونِ بُرتقاليًّا، والشّمسُ كمثلِهِ في الزَّرقاءِ العاليةِ.

مرّةً واحدةً رأيْتُ النّخلَ غابةً في السّحرِ، ولمْ تَكُنِ الشّمسُ قد أشرقَتْ بعدُ، ولكنّها كانَتْ على وَشكٍ، فتخضَّبَ الأفقُ البنفسجيُّ بلونِ الحِنّاءِ. رأيْتُ النّخلَ مُستقيمَ القَدِّ، شاهِقَ الطّولِ، وَعميمًا، ورأَيْتُ وجوهَ أهلي فيهِ، أبي، وَأُمّي، وَعمّتي، وابنَ عمّي. كانَتْ وجوهُهُمْ خضراءَ شاحبةً بلونِ السّعفِ، ولكنّني لمْ أتحقّقْ إنْ كانوا يقفونَ خلفَ الجذوعِ أَمْ كانَت الجذوعُ خلفَهُمْ.

وَسَمِعْتُ صوتًا رَخيمًا وَدافئًا كأنّهُ صوتُ مُقرئٍ يتلو الآياتِ قبلَ أذانِ الفجرِ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أوْ ساعةَ السَّحَرِ، فَقُلْتُ لِنَفسي: "أنتِ يا فوزيّةُ على الأعتابِ، فَتَهيّئي"، ولكنّني صَحوتُ، وَفتحتُ عَينيَّ فَلَمْ أَجِدْ سوى الصّورةِ المُعَلَّقةِ على الجدارِ القديمِ، فعرَفتُ أنّهُ كانَ حُلمًا، فانسكبَتْ مِنْ عيني دمعةٌ ثُمَّ استجمَعْتُ نفسي، وَقُمْتُ.

اليومَ جاءَتْني امرأةٌ تسكنُ في الشّارعِ نفسِهِ، وقالَتْ: رأيْتُ أُصصَ الزّرعِ في الشُّرفةِ، إنّها جميلةٌ، وَسَأَلَتْني على استحياءٍ أنْ أُعَلِّمَها، فَأَرَيتُها كيفَ، وأهديتُها عودَ نعناعٍ كُنْتُ زرَعْتُهُ، ثُمَّ جلَسْنا، وَتحدَّثْنا.

هلْ ترى أنَّ خيطَ الأملِ قد بدأ في الظّهورِ؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

طفلٌ وكلبٌ، ذاتَ ليلٍ

(آماليا رندايك) *

• بعــدَ أنْ تقرأَ تعريفَ "النّغمةِ في القصّةِ القصيرةِ"في كتابِ التّطبيقــاتِ اللغويةِ، اقرأْ قصّةَ "طفلٌ وكلبٌ ذاتَ ليلٍ"للكاتبــةِ (آماليا رندايك)، قــراءةً أولى، ثمَّ اقرأْها قراءةً ثانيةً، وســجِّلْ على هامشَــي النّصِّ الانطباعاتِ والمشاعرَ الّتي خلقَتْها الكلماتُ والجملُ والصّورُ المظلّلةُ بالرّماديِّ. من مجموعِها يمكنُ لكَ أنْ تستنتجَ النّغمةَ السّائدةَ في القصّةِ، وهلْ هيَ ثابتةٌ أمْ متغيّرةٌ، ويمكنُكَ أنْ تتبعَ خطَّها، وانعطافاتِها.

تراجعتِ الشّمسُ بأَشعّتِها الذّهبيّةِ وخبَت. تمكّنَ ضَوءُ مصابيحِ الشّارعِ الخافتُ بصعوبةٍ منْ أنْ يكبحَ الظّلامَ والضّبابَ اللّذينِ غزَيا كلَّ معسكرِ المَنجمِ، وكانَتْ مجموعةٌ من الرّجالِ مُكونةً من دقّاقي الرّكائزِ؛ ميكانيكييـنَ أو عُمّالٍ، وزارعِي ألغامٍ، عائدةً إلى بيوتِها، خلالَ رحلةٍ بطيئةٍ صامتةٍ؛ لصعوبةِ التّنفّسِ بسببِ الهواءِ والفتيلِ؛ لأنّ منجمَ (شكيكا ماتا) كانَ يقعُ على ارتفاعٍ أكثرَ مِنْ ألفينِ وخمسمئةِ مترٍ فوقَ سطحِ البحرِ.

أصبحَتِ المجموعةُ مجاورةً (لبنكروفت) السّكنيّةِ، وبدَأَتْ تتفرّقُ وَفْقَ اتّجاهاتِ شوارعِ عمّالِ المعسكرِ المختلفةِ، وكانَ يمكنُ رؤيةُ أضواءِ البيوتِ منسابةً من النّوافذِ والأبوابِ نصفِ المفتوحةِ. استمرَّ العاملُ (جوانُ لابرا)، الّذي كانَ ميكانيكيًّا قويًّا وصديقًا مخلصًا، في السّيرِ عبرَ واحدٍ مِنْ شَوارعَ عديدةٍ ضيّقةٍ، ماتزالُ تتردّدُ فيهَا أصداءُ صفّاراتٍ حادّةٍ و(سارينات) مناطقِ العملِ.

وسرعانَ ما تلاشَتِ التّجعُّداتُ من وجهِ(لابرا) الشّابِّ الّذِي تَغضَّنَ بتجعّداتٍ عميقةٍ مثلِ عُروقِ المَعْدنِ الْخَامِ، وَملَأَتْ عَيْنَيْهِ دُفقةٌ ورقّةٌ بعدَ أَنْ تَقَبّلَ بحَفَاوةٍ استقبالَ أُسْرَتِهِ الْمُحِبّةِ، فَقَدْ كانَ جُوانُ الصّغِيرُ يقفُ على بابِ البيتِ كَما اعْتادَ أَنْ يفْعَلَ كُلَّ يَومٍ مِنْ فَتْرةِ الْمَسَاءِ.

كانَ ولدًا، عُمْرُهُ تسعُ سَنَواتٍ، بِعَينيـنِ حَيّتَيْنِ فُضُوليَّتَيـنِ، قويًّا تمامًا بالنّسبَةِ لِعُمْرِهِ، وبقَدمَينِ محبَّتينِ للمشيِ. لمْ يمثّلِ المنجَمُ أيّةَ أسرارٍ لهُ؛ فقد كانَ يعرِفُ كلَّ بوصةٍ منهُ، وكلَّ ما غَمضَ من أمرِه،كما كانَ طفلًا كثيرَ الكلامِ، ولمْ تكُنْ ثرثرتُهُ تُقاطَعُ إلّا بالابتسامِ. الآنَ راحَ الطفلُ يراقبُ بفضولٍ، وبوجههِ الضّاغِطِ على بَوّابةِ الحديقةِ الحديديَّةِ أمريكيًّا شماليًّا طويلًا جِدًّا يمشي وراءَ أبيهِ. همسَ لأبيهِ خائفًا: "أبي، هناكَ (جرينجو) يتبعُكَ، إنّهُ قادِمٌ

* (آماليا رندايك): كاتبة من التشيلي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إلى بيتِنا!".

كانَ الشَّارِعُ مهجورًا، وكانَ (جوانُ) الصّغيرُ مستثارًا بحضورِ (بلاكَ)، كلبِ الرّاعي الضّخمِ، الّذي يتبعُ سيّدَهُ السّيّدَ ديفيزَ. كانَ بلاكُ واحِدًا من أشياءَ قليلةٍ قُدِّرَ لها أن تلجَ إلى مشاعرِ (ديفيزَ)، كرفيقٍ فريدٍ لوجودِ متوحّدٍ على أرضٍ أجنبيّةٍ.

"تقدّمْ، من فضلِكَ، يا سيّدُ (ديفيزُ)، ماذا يمكنني أنْ أفعلَ من أجلِكَ؟"قالَ عاملُ المنجمِ (جوانُ لابرا) باحترامٍ نازِعًا خوذتَهُ المعدنيّةَ، وفاتحًا بابَ بوّابةِ البيتِ الصّغيرِ، بعدَ أنْ تمكّنَ بصعوبةٍ من إخفاءِ دهشَتِهِ لرؤيةِ أحدِ مُلّاكِ الشّركةِ عندَ بابِه:

"سوفَ أكونُ مختصِرًا، يا سيّدُ (لابرا)، إنّني أحتاجُ معروفًا كبيرًا منكَ؛ لأنّني يجبُ أنْ أغادرَ حالًا إلى (أنتوفاجاستا)، وأنْ أتركَ في كرمِ ضيافتِكَ لعدّةِ أيامٍ صديقي العزيزَ (بلاك). ستكونُ رؤومًا لأنّكَ في "كالما"نظّمْتَ جماعةً لحمايةِ الحيواناتِ، وكلُّ فردٍ يعرفُ ذلك"- قال (مستر ديفيز)، وهو ينظرُ إلى كلبِه:

"هذا حسنٌ. يا سيّدُ (ديفيزُ)، وأشكرُكَ على ثقتِكَ بي، سيكونُ الكلبُ سعيدًا هنا، وسأتأكّدُ دائمًا من أنّهُ لا يعاني، ولسوفَ يعتني به ابنِي في غيابي، (جوانُ) الصّغيرُ"-هكذَا وعدَ (لابرا) السّيّدَ، وهوَ يُعَدّلُ من وضعِ (جاكتتِهِ)، شاعِرًا برضًا داخِلِيٍّ غريبٍ.

"سأترُكهُ بينَ يديكَ، وأشكُرُكَ كثيرًا. أراكَ قريبًا يا سيّدُ (لابرا)، سأعودُ سريعًا جدًّا. (بلاك)..آهِ، لقدْ نسِيتُ، سأتركُ هنا مخصّصاتِهِ من لحومٍ معلّبةٍ،إنّها طعامُهُ المُفَضّلُ".

بدَا السّيّدُ وكلبُهُ حزينَينِ. تمسَّحَ (بلاك) في بنطَالِ سيّدِهِ، وانحنى (ديفيز) ليُرَبّتَ على رأسِ الكلبِ بخطمِهِ البارزِ، ثم غادرَ الدّارَ، فبدأَ الكلبُ يتبعُهُ، لكنّ ذراعَي (جوانَ)الصّغيرِ قيّدتاهُ كسلسلتينِ. نبحَ (بلاك) مُتَرنّحًا، وهو يتنشّقُ الهواءَ، وكانَ لسانهُ الأحمرُ المبتلُّ متدليًّا من فمِهِ، وهوَ يلهثُ قلِقًا. أغلقَ الولدُ البوّابةَ، وقفَ (بلاكُ) منتصبًا، شاعرًا بالوَحدةِ، كانَ فِراؤهُ المُتَألّقُ حولَه، واحتمالُهُ الرّزينُ لما يحدثُ، كلُّها دلائلُ على أصلٍ كريمٍ؛ فقدْ كان كلبًا ثمينًا، فازَ في عددٍ من عروضِ الكلابِ بفضلِ هذا الأصلِ.

بدأَ الولدُ يتحَدّثُ معَ الكلبِ كأخٍ أصغرَ، ولفترةٍ طويلةٍ راقبَ كلُّ منهما الآخرَ، دونَ أن تطرَفَ أعينُهما. كانتْ حَمْلَقَةُ الكلبِ رزينةً، بينَما انعكسَ وجهُ الولدِ على عينيهِ مثلَ نقاطٍ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

مضيئـةٍ بالغـةِ الصِّغَـرِ. ربّـتَ الوَلَـدُ بخفَّـةٍ على ظهـرِ الكلـبِ الّـذي كان يتنشّـقُ الهـواءَ، ومجيبًـا أخيـرًا بحركـةِ ممانعـةٍ مـن ذيلـهِ.

استمرّ (جـوانُ) الصّغيـرُ فـي حـوارِهِ الذّاتـيّ مـعَ (بـلاكَ). بـدأَ كلٌّ منهمـا يَغْـرَمُ بالآخـرِ، ثـمّ تفتّـحَ يـومٌ جديـدٌ حيـنَ جـاءَ الفجـرُ عبـرَ الظّـلامِ وسـاعاتِ ضبـابِ اللّيـلِ، وبـزَغَ كالمُعتـادِ مـن بيـنِ رابيتيـنِ ضخمَتيـنِ تكوّنـانِ بركانَـي (سـان بيـدرو) و(سـان بابلـو)، فبـدا كلُّ شـيءٍ مبتـلًّا باللّـونِ الأزرقِ.

صحـا (بـلاكُ) علـى صـوتِ أوّلِ صافـرةٍ فـي فِنـاءِ منـزلِ العُمّـالِ، وراقـبَ حركـةَ عُمّـالِ المناجـمِ، وبـدا كمـا لـو أنّ شـيئًا عظيمًـا قـدِ استيقظَ فـي قلبـهِ أيضًـا، فـردّ علـى هـذهِ الانطباعـاتِ بنُبـاحٍ بـدا كانْفجـاراتٍ. وكانَ أوّلُ مـا فعلـهُ (جـوانُ) الصّغيـرُ، فـي عالمـهِ المدهـشِ، هـو أنْ خـرجَ ليـرى صديقَـهُ الجديـدَ. وخـلالَ الأيـامِ التاليـةِ، ذهبَـا سـويّةً إلـى كلِّ مـكانٍ؛ تحدّيـا الرّيـاحَ، ركضًـا عبـرَ زمـامِ أرضٍ شـديدةِ الرّيـاحِ، كانَ هـوَ الطّريـقَ إلـى كالامـا، مخترقَيـنِ دونَ تعـبٍ، الاتّسـاعَ الهائـلَ للهـواءِ الضّئيـلِ.

لعِبـا معًـا، غاصـا فـي حفـرةِ بقايـا رماديّـةِ اللّـون لمنجـمِ رصـاصٍ، كانَـتْ دونَ شـكلٍ، كتلـةٌ مهِيبـةٌ مـن أرضٍ معدنيّـةٍ. كمـا حـاولا أنْ يجمعـا الانعكاسـاتِ المتألّقـةَ للأخضـرِ المـزرقِّ والأصفـرِ الّتـي تصنـعُ ألوانًـا براقـةً فـي ضـوءِ الشّـمسِ.

وهكـذا، أمضيـا سـاعاتٍ طويلـةً حتّـى ربطَـتِ اللّيالـي بيـنَ (جـوانَ) الصّغيـرِ و(بـلاكَ) بروابـطِ صداقـةٍ، سـرعانَ مـا أصبحَـتْ أقـوى وأقـوى، لكـنّ سـحبَ قلـقٍ متناميـةً ظلّلـتْ سـعادةَ الولـدِ الحيّـةَ القصيـرةَ، فقـد كانَ يخشـى اليـومَ الّـذي سـينتهي فيـهِ وجودُهُمـا معًـا، لأنـه كانَ متأكـدًا أنَّ السّـيّدَ (ديفيـز) سـيعودُ ثانيـةً.

"بابا، ألا يمكِنُكَ أنْ تطلُبَ منَ السّيّدِ أنْ يعطيَنا (بلاك)؟ ولماذا لايمكنُكَ شراؤُه؟"

"لا، ياصغيـري (جـوانُ)، إنَّ الكلـبَ لـنْ يكـونَ لنـا أبـدًا، إنّـهُ كلـبٌ ممتـازٌ، يسـاوي وزنَـه ذهبًـا، إنّـهُ كلـبُ رجـلٍ غنـيٍّ، يحـبُّ (الجرينجـو) أن يمشـوا معَ كلابٍ مثـلِ هـذا الكلـبِ، كمـا أنّهـم يقدّمونهـم فـي عـروضِ الكلابِ"- أجـابَ العامـلُ بابتسـامةٍ مريـرةٍ. "حيـنَ أكبُـرُ سأشـتريهِ"، أجـابَ (جـوانُ) الصّغيـرُ بإصـرارٍ، ثـمَّ ارتفـعَ صوتُـهُ موضِّحًـا لأبيـهِ مـا يريـدُ: "أنـا لا أريدُهـمْ أنْ يأخـذوهُ! إنّـهُ صديقـي!".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذاتَ يومٍ، خلالَ عودتِهما من نزهتِهما، سائرَيْنِ على ضفافِ نهرِ (لوا)، بدأتْ تهبُّ رياحٌ جبليّةٌ كريهةٌ، حتّى ابتلّا من رذاذِ ضبابٍ رقيقٍ، وحينَ وصلا إلى بابِ البيتِ توَقّفا، كما لو كانَ ذلكَ بسببٍ من خوفٍ أو فزعٍ.

"السّيّدُ (ديفيز)"لقدْ عادَ. حاولَ الولدُ الصّغيرُ أنْ يشرَحَ ما يعنيهِ الكلبُ، لكنّ الكلماتِ غاصَتْ في قلبهِ، وظلَّ الظّمأُ في حلقهِ، لقد كانَتْ لحظةً حزينَةً.

"إلى اللّقاءِ يا صديقي العزيزَ، وحظًّا سعيدًا"، تمتمَ الولدُ باكيًا، عاصرًا يديهِ بعصبيّةٍ.

شكَرهُ السّيّدُ (ديفيز) بإخلاصٍ، لكنّ الطّفلَ- كرجلٍ مهذّبٍ صغيرٍ- رفضَ أن يقبلَ أيّةَ مكافأةٍ.

بدا (بلاكُ) كارِهًا المشيَ وراءَ مالكهِ الرسميّ، وراحَ متلهّفًا يتفحّصُ أركانَ الطّريقِ، مودّعًا مجاورةَ العمّالِ السّكنيّةَ، في الطّريقِ إلى المعسكرِ الأمريكيّ. كانَتْ قدِ انتهتِ الآنَ مواجَهةُ (جوانَ) الأولى معَ اليأسِ، بعدَ أنْ تفكَّرَ مليًّا في حقيقةِ أنّه لا يمكنُ لهُ أبدًا أنْ يمتلكَ كلبًا ممتازًا، وفي ذاتِ الوقتِ استمرَّ (بلاك) في مسيرهِ، و كانَ هناكَ انسجامٌ في المشاعرِ قد ترسّخَ بينهما.

لكنْ سرعانَ ما جاءتْ وَحدةُ اللّيلِ، حينَ تفكّرُ الأرواحُ في نفسِها حتّى آخرِ شظيّةٍ في الحياةِ ذاتِها، فإذا هي تكتشفُ عبثَ كلِّ شيءٍ، عندئذٍ انهارَتْ دفاعاتُ (جوانَ) الصّغيرِ وبدأَ يبكي، ولعلَّ شيئًا ما أثارَ دَفْقَ الاتّصالِ بينَ الولدِ والحيوانِ عبرَ الفضاءِ، لأنّهُ في اللّحظةِ نفسِها بدأَ الكلبُ يعوي في المعسكرِ الأمريكيّ، حينَ توهّجتْ ذكرياتُ (بلاكَ) عبْرَ ذهنِ الولدِ، وكما لو كانَتْ مدفوعةً بقوّة سرّيّةٍ، فنبحَ الكلبُ بعُنفٍ ضَارٍ، سائلًا الرّيحَ أنْ تنقُلَ رسالَتهُ إلى الولدِ. بدا الأمرُ حفلًا موسيقيًا حزينًا، سرعانَ ما أصبحَ يصيبُ بالصّممِ من شدّةِ النُّباحِ.

كما بكى (جوانُ) الصّغيرُ طوالَ اللّيلِ، متوسّلًا بالنُّواحِ الّذي سرعانَ ما أصبحَ حفلًا موسيقيًّا غريبًا، سادَ شوارعَ مدينةِ المناجمِ السّاكنةِ.

كانَ السّيّدُ (ديفيزُ)مذهولًا من تصرُّفِ (بلاكَ). ماذا يمكنُ لرجلٍ أنْ يفعلَ حينَ يواجهُ كلبًا يبكي؟ تملّكَتْ عقلَ (الجرينجو) حقيقةٌ جديدةٌ مفادُها أنّ (بلاكَ) لمْ يعُدْ يخصُّهُ بعدَ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الآنَ؛ لقدْ فقدَ حبَّهُ.

لم يتمكّنْ (لابرا) أنْ يُريحَ ولَدَهُ الصّغيرَ الباكيَ المحمومَ؛ لأنّه ماذا يمكنُ لرجلٍ أنْ يفعلَ حينَ يواجهُ ولدًا يبكي؟ أرادَ (لابرا) أنْ يرى ثانيةً ابتسامةَ ابنهِ السّريعةَ الواثقةَ، وأحسَّ بضرورةِ أنْ يستردَّ تلك الابتسامةَ. كم مرةٍ سابقةٍ لسعَهُ الفقرُ! لكنّه لم يستطعْ أنْ يحتملَ هذه المرّةَ، يجبُ أن يحدثَ شيءٌ غيرُ عاديٍّ في مدينةِ المناجمِ في هذا اللّيلِ الصّعبِ.

وكما لو أنّ الزّمنَ قدْ جعلَ منْ كلِّ الرّجالِ إخوةً، رمى (لابرا) عباءتَهُ على كتفيهِ، أخذَ كشّافَ الضّوءِ، ومضى إلى المجاورةِ السكنيّةِ العُليا؛ ليرى إذا كان ممكنًا أنْ تتحقَّقَ معجزةٌ. نعم، يجبُ أنْ يكونَ شجاعًا وجسورًا، لقدْ كان دائمًا عاملًا خجولًا صامتًا، لكنَّه الآنَ يجبُ أنْ يطلبَ إلى أحدِ ملّاكِ الشّركةِ (بلاكَ) العظيمَ الجميلَ الفائزَ بالجوائزِ. استنشقَ بعُمقٍ هواءَ اللّيلِ البارد، وارتعشَ وهوَ يفكرُ في جُرأتهِ الخاصّةِ، ثمّ مضى صاعدًا باتّجاهِ المعسكرِ الأمريكيِّ.

فجأةً، توهّجَتْ على ضَوءِ الفانوسِ عينانِ بنّيّتانِ فسفوريّتانِ، فجفلَ (لابرا). ولكنْ أوقفَهُ نباحٌ أليفٌ؛ ففي ذاتِ اللّحظةِ، كانَ السّيّدُ (ديفيزُ) قد خرجَ أيضًا كي يراه، وكانَ ماضيًا باتّجاهِ منطقةِ سكنِ العمّالِ!

لقدْ مسَّ شيءٌ ما قلبَي الرّجلينِ، فلم تعُد للكلماتِ ضرورةٌ.

"إنَّه لم يعُدْ يخصُّني بعدَ الآنَ"، تمتمَ السّيّدُ ديفيزُ، مُقدِّمًا طوقَ بلاكَ المعدنيَّ الثقيلَ إلى يدَي العاملِ.

أخذَ لابرا الكلبَ بيدَيهِ المرتعشتَينِ، وأطفأتِ ابتسامةٌ سعيدةٌ انقباضَهُ.

لم تكُنْ هناكَ (تشكّراتٌ) مفصّلةٌ، بلْ فقطْ مجرّدُ فَهْمٍ متبادلٍ صامتٍ. جرَّ (بلاكَ) الرّجلُ، وأجبرهُ على أنْ يستمرَّ متابعًا خُطاهُ باتّجاهِ مجاورةِ (جوانَ) الصّغيرِ.

في تلكَ اللّحظةِ المُعجِزةِ، لطّفَ دفءٌ جديدٌ ليلَ منطقةِ شوكي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

السَّماور

سعيدُ فائقُ

رُفِعَ أذانُ الفَجْرِ..انهضْ يا بُنَيَّ، ستتأخرُ عَنْ عملِكَ.

أخيـرًا، وَجَـدَ عليٌّ عمـلًا. منـذُ أسـبوعٍ وهـو يذهـبُ إلـى المصنـعِ. كانَـتْ أُمُّـهُ سـعيدةً وراضيـةً. أقامَـتْ صلاتَهـا، وأكملَـتْ دُعاءَهـا. دخلَـتْ والإيمـانُ باللّـهِ يغمرُهـا إلـى غرفـةِ ابنِهـا الشَّـابِّ الطَّويـلِ والعريـضِ المنكبيـنِ الَّـذي كانَ غارقًـا فـي أحلامِـهُ بيـنَ ضجيـجِ المُحـرِّكاتِ والبطّاريّـاتِ الكهربائيَّـةِ وَمصابيـحِ الإنـارةِ وزيـوتِ المُحَـرِّكاتِ والدّيـزلِ. كانَ عليٌّ غارِقًـا فـي العَـرَقِ مُتَوَرِّدَ الوَجْنتيـنِ كأنَّـهُ خـارجٌ للتوّ مِـنَ المصنـعِ. كانَـتْ مدخنـةُ المصنـعِ الواقـعِ فـي "هاليجـي أوغلـو"[1] ترتفـعُ بوقـارٍ، وكأنَّهـا سـتصيحُ كديـكٍ مغـرورٍ رافـعٍ رأسَـهُ ينتظـرُ طلـوعَ الصَّبـاحِ.

استيقظَ عليٌّ أخيـرًا، وحضـنَ أُمَّـهُ، وسـحبَ اللِّحـافَ لِيُغَطِّـي رأسَـهُ كمـا يفعـلُ كُلَّ صَبـاحٍ. دغدغَتْـهُ أُمُّـهُ مِـنْ قَدمَيْـهِ اللّتيـنِ بَقِيَتـا خـارجَ اللِّحـافِ.

ضَحِكَـتْ كفتـاةٍ صغيـرةٍ بسـعادةٍ بعـدَ أَنْ وَثَـبَ ابنُهـا مِـنَ الفِـراشِ، ثُـمَّ عـادَ وسـقطَ عليـهِ. ليسـوا كثيريـن مَـنْ هُـمْ سـعداءُ فـي هـذا الحـيِّ. مـاذا تملِـكُ الأُمُّ سـوى ابنِهـا، ومـاذا يملِـكُ الابـنُ سـوى أُمِّـهِ؟ دَخَلـت غرفـةَ الطَّعـامِ يحتضـنُ كُلُّ منهمـا الآخـرَ. تفـوحُ رائحـةُ الخبـزِ المحمّـصِ الزَّكيـةُ فـي الغرفـةِ.

كانَ المـاءُ يغلـي فـي السَّـماورِ بشـدّةٍ! كانَ علـيٌّ يُشَـبِّهُ السَّـماورَ بمصنـعٍ يخلـو مِـنَ العَـذابِ والإضرابـاتِ والحـوادثِ، فهـو لا يُنْتِـجُ سـوى البُخـارِ ورائحـةِ الشَّـاي المعتَّـقِ وسـعادةِ الصَّبـاحِ. كان علـيٌّ يسـتمتعُ عنـدَ الصّبـاحِ بالسَّـماورِ وَغَلّايـةِ بائـعِ السَّـحلبِ الّـذي يقـفُ أمـامَ بـابِ المصنـعِ، ثُـمَّ الأصـواتِ، بـوقِ مدرسـةِ "هليجـي أوغلو"العسـكريّةِ، وَصفّـارةِ المصنـعِ الّتـي تهـزُّ أرجـاءَ الخليـجِ، تُحيـي أُمنيـاتٍ، وتحبـطُ طموحـاتٍ أُخـرى. ذلـكَ يعنـي أَنَّ لِعَلـيٍّ روحًـا شـاعريةً، معَ أنَّ الأحاسـيسَ

من قراءة الفقرات الأربع الأولى كيف تصف حياة علي وأمه؟

ما الّذي أوحى لك به استخدام الاستفهام في هذه الفقرة؟

ما معنى أن ينتج السماور سعادة الصباح؟

1) أحدُ أحياءِ مدينةِ (إسطنبول) الصناعيَّةِ، ويقع على خليج القرن الذَّهبيِّ وسطَ المدينةِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المرهفةَ لعاملِ كهرباءٍ بضجيجِ المصنعِ، كإيلاجٍ باخرةٍ من عابراتِ المحيطِ في الخليجِ، إلّا أَنَّنا -عليًّا ومحمدًّا وحسنًا- هكذا، في قَلْبِ كُلِّ مِنَّا يقبعُ أَسَدٌ.

قَبّلَ عليٌّ يَدَ أُمِّهِ، ثُمَّ لَعَقَ شَفتَيْهِ كأَنَّهُ أكلَ قطعةَ سُكَّرٍ. كانَتْ أُمُّهُ تَضْحَكُ، لقد اعتادَ التّصرُّف على هذا النّحوِ كُلَّما قَبَّلَ أُمَّهُ. كان يوجدُ أصيصٌ وَريْحانٍ في حديقةِ البيتِ الصّغيرةِ، قَطَفَ عليٌّ بِضْعَ وَرقاتِ ريحانٍ، وَفَرَكَها بينَ كَفَّيْهِ وَغادرَ مُبتعدًا، وهو يستنشق رائحةَ الرَّيحانِ في كَفّيهِ. هواءُ الصَّباحِ كانَ بارِدًا قليلًا، والخليجُ كانَ غائمًا. التقى أصدقاءَهُ عندَ رصيفِ القواربِ، جميعهُم كانوا شُبّانًا أَشِدَّاءَ. أبحرَ خمسةُ أشخاصٍ إلى "هاليجي أوغلو".

يُظهِرُ عَليٌّ في عَمَلِهِ كُلَّ جِدٍّ واستمتاعٍ وحماسٍ، لكنْ ليسَ رغبةً بإظهارِ تفوّقِهِ على زُملائهِ، فقد كانَ مُستقيمًا، ولا يحبُّ الاستعراضَ، مَعَ أَنَّهُ كان يُجيدُ عملَهُ إلى أقصى دَرجةٍ مِنَ المهنيّةِ، إذْ تعلَّمَ على يَدَيْ أَشْهَرِ الكهربائيّينَ الألمانِ الذي كان يُحِبُّ عَليًّا كثيرًا، فأخلصَ في تعليمِهِ كُلَّ أسرارِ المهمةِ؛ ليصبحَ مِثْلَهُ مُعَلِّمًا بارعًا لا يُضاهيهِ أحدٌ.

عادَ في المساءِ إلى بيتِهِ سَعيدًا، مُطمئنًّا مِنْ تَقديمِهِ أَقصى جُهدِهِ في عملِهِ فريقًا واحدًا مع زُملائِه، وبعدَما حضنَ أُمَّهُ، اتَّجَهَ نحوَ المقهى المقابلِ ليلتقيَ أصدقاءَهُ، ثُمَّ تدرَّجَ عائدًا إلى بيتِهِ، بينما كانَتْ أُمُّهُ تُؤدي صلاةَ المغربِ. ربضَ أمامَ أُمِّهُ، وقالَ:

- سيغفِرُ ليَ اللّهُ يا أُمّي.

بعدَ الأَكْلِ، غَرِقَ عَليٌّ في قراءةِ روايةٍ بوليسيَّةٍ. أُمُّهُ كانَتْ تحيكُ لهُ كنزةً صوفيّةً، ثُمَّ تمدَّدا، وناما على فراشَيْنِ يفوحُ منهما عِطْرُ زَهرِ الخُزامى.

أيقظَت الأُمُّ عليًّا بينما كانَ أذانُ الفَجْرِ يُرْفَعُ، كانَتْ رائحةُ الخُبْزِ المُحَمَّصِ الزكيّةُ تفوحُ في الغرفةِ، وكانَ الماءُ يغلي في السَّماورِ بشدّةٍ! كانَ عَليٌّ يُشَبِّهُ السّماورَ بمصنعٍ يخلو من العذابِ والإضراباتِ والحوادثِ، فهو لا ينتجُ سوى البُخارِ ورائحةِ الشَّاي المُعتَّقِ وسعادةِ الصَّباحِ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

جاءَ الموتُ لأُمِّ عَليٍّ كَسيّدةٍ جارةٍ زائرةٍ تَضعُ على رَأْسِها غطاءً كأَنَّها تستعدُّ للصّلاةِ. كانَتْ تُعِدُّ الشّايَ كُلَّ صَباحٍ، وَتُمسي وهي تُعِدُّ طعامَ العشاءِ لابنِها، لكنَّها كانَتْ تشعرُ بوخزٍ في قلبها، وَخَدَرٍ، وَتعَرُّقٍ في أنحاءِ جَسدِها المُتغضِّنِ عندما تصعدُ الدَّرَجَ مُسرِعةً قُبيلَ المَساءِ.

ذاتَ صَباحٍ، وقبلَ أنْ توقِظَ عليًّا، وَبينَما كانَتْ تُعِدُّ السَّمَاورَ، شعَرتْ بدوارٍ، فَجلَسَتْ مُتهالِكةً على كُرسيٍّ إلى جوارِها،ذلكَ الجلوسُ، كانَ جلوسَها الأخيرَ.

استغربَ عليٌّ تَأَخُّرَ أُمِّهُ بإيقاظِهِ، وصلَ إلى مسامعِهِ صوتُ صَفّارَةِ المصنعِ الحادُّ مُخترِقًا بنعومةٍ زُجاجَ النّافذةِ المُغلقةِ، وثبَ مِنْ فراشِهِ، وقفَ أمامَ بابِ غُرفةِ الطَّعامِ، شاهدَ أُمَّهُ وقد أَحْنَتْ رأسَها على ذراعيها المُستندين على الطّاولةِ، ظَنَّها نائمةً،فتقدَّمَ بهدوءٍ، وأمسكَها مِنْ كَتِفَيْها، ارتعدَ عندَما أحسَّ ببرودةٍ حالما لامسَتْ شَفتاهُ وجْنَتَها.

ما نفعلُهُ أمامَ الموتِ لا يختلفُ عَمّا يفعلُهُ مُمثّلٌ بارِعٌ، لكنْ ما بَدَرَ مِنْهُ كانَ حقيقيًّا.

عانقَها، وَحملَها إلى فراشِها، غطَّاها باللِّحافِ، وحاولَ تدفئةَ جَسَدِها البارِدِ. تشبَّثَ بإعادةِ الحياةِ إلى هذا الجسدِ البارِدِ، ثُمَّ انهارَ فجأةً على الفراشِ إلى جوارِها عاجزًا. لم يستطعِ البُكاءَ في ذلكَ اليومِ على الرّغمِ مِنْ رَغبتِهِ الجامحةِ في البُكاءِ، توقَّدَتْ عيناهُ دونَ دموعٍ، نظرَ إلى المِرآةِ، كانَ مُحيّاهُ كَوَجْهِ امرئٍ قضى ليلةً بيضاءَ إِثْرَ مُجابهتِهِ أعظمَ مُصيبةٍ في الحياةِ.

لمَاذا لمْ يستطعْ عليٌّ البُكاءَ على أمِّه؟

شَعَرَ عَليٌّ كأنَّ وَهنًا قد أصابَ جسدَهُ، وَكأنَّ الشَّيْبَ قد غطّى شَعْرَهُ، وألمًا شديدًا وانحناءةً في ظَهْرِهِ، وكأنَّهُ قد هَرِمَ كَشخصٍ تجاوزَ المئةَ مِنْ عُمرِهِ.

لمَاذا -في رأيك- ذهبَ عليٌّ إلى المصنعِ بعد إبلاغِ الجارةِ بوفاةِ أمِّه؟

ثُمَّ نَظَرَ إلى الجَسدِ الميتِ، لم تَكُنْ مُخيفةً، بَلْ على العكسِ، كانَتْ تبدو وَدودةً بِمُحيّاها القديمِ الحَنونِ الرّقيقِ نفسِهِ. أغمضَ عَيْنَي الميتةِ نصفَ المفتوحتينِ بإحدى يَدَيْهِ القويّتينِ، انطلقَ إلى الشّارعِ، أخبرَ جارَتَهُ المُسِنَّةَ،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هَرعَـتِ الجـاراتُ إلـى البيـتِ راكِضـاتٍ، واتَّجـهَ إلـى المصنـعِ، وبينمـا كانَ علـى الطَّريـقِ فـي القـاربِ، بـدا وَكأنَّـهُ قـد اعتـادَ علـى رؤيـةِ المـوتِ.

لقـد اعتـادا علـى الالتحـافِ باللِّحـافِ نَفْسِـهِ إلـى جانـبِ بَعْضَيْهمـا، وَكمـا أَخـذَ المـوتُ أُمَّـهُ المُؤنسـةَ، أخـذَ أيضًـا كُلَّ مَشـاعِرِها بالحنـانِ والعطـفِ، لكنَّـهُ، كانَ بـارِدًا قليـلًا، والمـوتُ ليسَ مُخيفًـا كمـا نظـنُّ، لكنَّـهُ بـاردٌ قليـلًا...

ظـلَّ عليٌّ أيامًـا عديـدةً، يتفقَّـدُ غُـرَفَ البيـتِ بـلا هَـدَفٍ، ظـلَّ يجلسُ ليـلًا دونَ إضـاءةِ النُّـورِ، يُصغـي للَّيْـلِ، يُفَكِّـرُ بأُمِّـهِ، لكنَّـهُ لـم يَسـتطعِ البُـكاءَ.

ذاتَ صَبـاحٍ، تَقابـلا وَجْهًـا لوجْـهٍ فـي غُرْفَـةِ الطَّعـامِ، كانَـتْ علـى مائـدةِ الطَّعـامِ نفسِـها مُشـرقةً هادئـةً. أشـعّةُ الشَّـمْسِ كانَـتْ تنعكـسُ عَـنْ كُلّ إنـاءٍ مَعدنـيٍّ. أمسـكَتْهُ مِـنَ زَنَدَيْـهِ، وَحَدَّقَـتْ فـي عَيْنَيْـهِ، انهـارَ علـى الكُرسـيِّ، وانهمَـرت الدُّمـوعُ مِـنْ عينَيْـهِ بشـدَّةٍ كالمطـرِ بِصمـتٍ، ثُـمَّ غـادرَ ذلـكَ البيـتَ مِـنْ غَيـرِ رجعـةٍ.

بعدَ ذلكَ دخلَ إبريقُ السَّحلبِ إلى حَياةِ عَليٍّ.

هل ما زال السماور يصنع سعادة الصباح؟

الشِّـتاءُ فـي مُحيـطِ الخَليـجِ أَشَـدُّ وأكثـرُ ضَبابًـا مِـنَ المدينـةِ، كانَ المُعلِّمـونَ والسَّـائقونَ واللَّحامـونَ وَ طُـلّابُ المَـدارسِ والعُمَّـالُ، وقـد أداروا ظهورَهُـم لجـدارِ المصنـعِ الضَّخـمِ، يُمْسِـكونَ فَناجيـنَ السَّـحلبِ بأَكُفِّهِـم المُغطـاةِ بالقفَّـازاتِ الصُّوفيَّـةِ، وأنوفُهُـم الرَّاشـحةُ تنفـثُ هَـواءً سـاخِنًا كالبخـارِ المُتصاعـدِ مِـنْ سَـماورٍ حزيـنٍ، يحتسـونَ جُرْعَـةً جُرعـةً سَـحلبًا ذُرَّتْ عليـهِ أَحـلامٌ بَعيـدةٌ.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قصصٌ رديفةٌ

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بيتٌ

إبتسام المعلّا

عندما أُغْلِقَ الباب الخارجيّ بالمفتاح، كانت الساعة تقترب من الرابعة عصرًا، وكان رذاذٌ ناعمٌ قد بدأ في نثر لمعته على قبضة الباب، وهيّج سيقان الرّيْحان المزروعة في المساحة الصغيرة غير المُبلّطة بين السّور وباب المنزل الداخلي، ففاحت رائحتها ،وطغت على بقايا رائحة السّمك التي كانت تفعَم البيت الصغير.

على حبل الغسيل الذي كان يمتدّ بين شجرتيْ لوْز كان يتدلّى ثوبٌ برتقاليّ مشَجَّرٌ بالأخضر، وسروالٌ أبيضُ، ومنشفةٌ صغيرةٌ قانية الحمرة، بدا أنّها كانت على وشك أن تجفّ لولا أنّ الرّذاذ عاد فرطَبها من جديد.

أبواب الغرف كانت مغلقة، لكن رائحة السمك المنبعثة من باب المطبخ المفتوح تسرّبت من تحت الأبواب، وتداخلت مع الهواء.

الحمّام وحده نجا من رائحة السّمك، وانفرد وحده برائحة الحنّاء الذي ظلّت بقاياه في الطّاسة الفضّية الصّغيرة التي استخدمتها صاحبتها لصبغ شعرها، ربّما قبل خروجها بساعات؛ إذ تبدو الملعقة المتروكة في الطّاسة وقد يبس عليها عجين الحنّاء دون أن تخبو الرائحة.

لولا الضوء المنبعث من إحدى الغرف الثلاث، وبالذات من ذلك الخيط أسفل الباب، ومن فتحة القفل لظلّ البيت غارقًا في ظلمة لا تُحتمَل، ولا يبدو أنّ الضوء كان منسيًّا؛ فثمة من تركه، ربما لتبديد وحشة البيت، ولكي لا تشعر تلك الغرفة وصالة الضيوف المطلة عليها بأيّ نوع من أنواع الغربة لخلوّ المكان. أمّا تلك الغرفة المضاءة فهي أكثر غرف البيت امتلاء بالحياة، ففيها سرير قديم كبير الحجم، بأرجل أسطوانية قصيرة، يأخذ نصف مساحتها تقريبًا، وهو مغطّى بملاءة ورديّة تطلّ من تحت غطاء صوفيّ سميك، يوحي مرآهُ بالدفء، بُنيُّ اللون ومزخرف بورود كبيرة متفتّحة، وقد انسدل جانبٌ منه على الأرض، وأطّلت تلك العلامة التي تقول: (anihC ni edaM) ، أمّا المخدّتان اللتان لهما لون الملاءة الوردية فتتوسط إحداهما بقعة كبيرة دبِقة، وبضع شعيرات بيضاء خالط لونها لون حنّاء قديم.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

على(الكوميدينو) الملاصق للسرير من جهة اليمين تصطفّ علب وزجاجات أدوية، وبخّاخ صغير للرّبو، و(الريموت كنترول) الخاص بالتلفزيون وزجاجة ماء مقلوب على رأسها كأس ذو حافّة ذهبية. أمّا الكوميدينو الأيسر فتتّكئ عليه ثلاث صور، إحداها بإطار فضيّ وفيها صورة شاب يخلو من وسامة، يبدو في الرابعة أو الخامسة عشرة، يرتدي ملابس المدرسة،ويبتسم، وقد وضع إحدى يديه في جيبه، بينما احتضن الكرة باليد الأخرى.

الصورة الثانية إطارها أسود حالك اللون، وفيها تجلس امرأة تبدو في نهاية الأربعينات، ترتدي ثوبًا ذا ألوان صارخة، كان يطلّ من عباءتها المفتوحة، وحول رقبتها سلسلة عريضة من الذهب تتدلّى من وسطها دائرة ذات شذرات تشبه تلك التي في خلاخيل الأطفال. تنظر المرأة إلى (الكاميرا) مباشرة دون أن تُفْلِحَ تمامًا في السيطرة على خجلها وابتسامتها، إلى جوارها تمامًا يجلس رجل أكبر منها قليلًا، يرتدي دشداشة بيضاء ،ويضع يديه في حضنه، وثمّة حَوَلٌ خفيف في عينيه يجعل من يرى الصّورة يشكّ في أنّ الرجل كان ينظر إلى (الكاميرا) لحظة التصوير.

خلفهما مباشرة وفي منتصف الصورة تقريبًا كان يقف شاب بدا نصفه العلوي فقط، يرتدي ملابس رياضة حمراء اللون، وقد خطّ وجهه شارب ناعم، وكانت ملامحه تشي بعدم رغبته في أن يكون في الصورة. أما الصورة الثالثة فإطارها ذهبيّ مزخرف وثقيل وفيه صورة أربعة أطفال، بنت، وثلاثة أولاد، يجلسون على خلفية بنفسجية ذات فقاعات متفاوتة الحجم، يضحكون (للكاميرا)، وقد انكشف فم أوسطهم عن سنّ مفقودة.

هناك في إحدى زوايا الغرفة المواجهة للسرير تنتصب طاولة من الخيزران عليها تلفزيون متوسط الحجم (وراديو) و(غرامفون) مغبرّ، كأنه موجود للزينة فحسب، ومسجّل متهالك يبدو أنّه استُخدِم لسنوات طويلة حتى تقشّرت الطبقة الفضيّة التي تغطّيه، تصطفّ بالقرب منه أشرطة (كاسيت) ذات أغلفة باهتة لعلي بن روغة وجابر جاسم وميحد حمد، وإلى جانبها طاولة أخرى أصغر حجمًا تتكدّس عليها قوارير صغيرة منوّعة من العطور التي تحتوي سوائل ثخينة، بعضها متخثّر بفعل الزمن. أعلى طاولة العطور تمامًا توجد مرآة مستطيلة بها شرخ صغير لكنه واضح، أمّا في الزاوية المقابلة فيقف مِشجب جديد، لا يتناسب وباقي الأثاث القديم في الغرفة، عُلّقَ عليه ثوب "مُخَوّر" جيبه مندلِع، وشيلة سوداء معقود أحد أطرافها على هيئة صُرّةٍ صغيرة، وقماشة أخرى كالشّال تكاد تنزلق من

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ضلع المشجب، بينما تُرِكَ الضلع الرابع خاليًا.

على الحائط الأيمن يستند دولاب ملابس بثلاثة أبواب مغلقة، يقابله في الحائط الأيسر صندوق فضيّ منجَّم، يمكن أن يثير فضول كل من تقع عينه عليه، تستند عليه تكية قديمة بجانبها سجّادة صلاة ظاهر من أحد طرفيها خيط مسبحة قديمة بخرزات خضراء ناعمة.

هناك لوحة ورقية كبيرة مثبّتة على الجدار بأشرطة لاصقة عند زواياها الأربع، وهي رسم بالألوان المائية لامرأة ورجل يقفان كحارسين، بينما يتوسطهما طفل يرتدي ثيابًا مخططة، وطفلة في مثل طوله تقريبًا ، تضع يدها في يده، وترتدي فستانًا أزرق اللون على شكل مثلث. إلى جوار الرجل تنتصب شجرة لها جذع سميك، لكنّ أوراقها على شكل سعف النخلة، وخلف العائلة الصغيرة تطلّ شمس هي مزيج من اللونين البرتقالي والأصفر، كبيرة جدًّا، ولها أشعة على هيئة خطوط صفراء عريضة تمتد إلى حدود الورقة، وهناك، عند أسفل الزاوية اليمنى يتوارى وراء الألوان توقيع باهت بالرصاص، مرسوم بأحرف مضحكة وغير متناسقة "مريم".

خارج سور ذلك البيت كانت ترتفع نداءات وضحكات صبية كانوا يلعبون الكرة، ويتصايحون "شبير" .."موهاميد" .. أرشد" . ثمّ فجأة، اهتزّ سكون البيت بصوت طرقات على الباب، بدأت متباعدة ثم تواصلت.

جاء صوت طفل من بعيد يقول إنّه رأى العجوز تخرج من البيت قبل فترة، وآخر يقول ربما تكون نائمة، لكنّ الصبيّ الذي كان يطرق الباب واصل الطرق بإلحاح وهو يصيح على رفاقه بأنهم لن يتمكنوا من مواصلة اللعب دون الكرة.

أجابه آخر: لماذا لا تتسلّق السور وتجلبها ما دامت المرأة ليست في البيت؟

لا، لا تفعل، قد تكون موجودة.

لا تكن جبانًا، اركب على ظهري.

سأجلب الدرج من بيتنا.

لا، إيّاكم أن تفعلوا، قد تصل في أيّ وقت، وستحدث مشكلة.

وفي البيت رنّ جرس الهاتف طويلًا، ولم يرد أحد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الحلم الأخير

(هانس كريستيان أندرسن) *

في أعلى منحدرات الشّاطئ في الغابة، وليس بعيدًا عن حافّة البحر، وقفت سنديانة عجوز في منتهى الكبر، كانت قد بلغت من العمر ثلاثمئة وخمسًا وستين سنة، ولكنّ عدد هذه السّنين الطّويلة لديها كان كعدد الأيّام لدينا، نحن نستيقظ في النّهار، وننام في أثناء اللّيل ونحلم، ولكنّ الأمر ليس كذلك مع الشَّجَرَة؛ فهي مضطرّة إلى البقاء مستيقظة طوال ثلاثة فصول من السَّنَة، ولا تحصل على قسطها من النَّوم إلّا عندما يحلّ فصل الشّتاء، فالشّتاء هو ليلها، ووقت راحتها بعد يومها الطّويل المتواصل: الرّبيع والصّيف والخريف. ففي أيّام الصّيف القائظة كثيرًا ما طارت (أفيميرا) الذُّبابَة الَّتي تحيا يومًا واحدًا، وراحت تحوم حول السِّنْدِيانَة الهرمة وتتمتّع بالحياة، وملؤها السَّعادة، وإذا ما استراحت هذه المخلوقة لحظة على وريقة من وريقاتها الغضّة العريضة هتفت بها السِّنْدِيانَة قائلة:

ـ "يالك من مخلوقة صغيرة مسكينة! حياتك كلّها ما هي إلّا يوم واحد، فياله من يومٍ ما أقصره! شيء مؤسف حقًّا."

وكانت المخلوقة الصَّغيرَة تجيب دومًا:

ـ "مؤسفٌ! ماذا تعنين؟ إنّ كلّ ما هو حولي برّاق ودافئ وجميل إلى درجة عجيبة، وهذا ممّا يشيع الفرح في نفسي."

ـ "ولكن ليوم واحد فقط، ثمَّ ينقضي."

فكَّرت الذُّبابَة: "ينقضي! ماذا تعنين: ينقضي؟ هل لن ينقضي يومك أنت أيضًا؟"

ـ "كلّا، إنّني من المحتمل جدًّا أن أعيش آلاف الأيّام من أيّامك، وما يومي إلّا ثلاثة فصول كاملة من السَّنَة! وأيم الحقّ إنّه من الطّول بحيث يصعب عليك جدًّا حسبانه."

ـ "إذن أنا لا أفهمك، قد يكون لك الآلاف من أيّامي، ولكن أنا لي آلاف اللّحظات، يمكنني أن أفرح فيها وأسعد، هل سينتهي جمال العالم كلّه عندما تموتين؟"

فأجابت الشَّجَرَة:

---

* كاتب دانمركي (5081-5781).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ـ "كلّا بل إنّه سيدوم أكثر من هذا بكثير، إلى ما لا نهاية، تفوق عن تفكيري."

فقالت الذُّبابَة الصَّغيرَة:

ـ "حسنًا، إنّنا نعيش الزّمان نفسه إذن، ولكنّنا نختلف في الحساب،"ثُمَّ رقصت المخلوقة الصَّغيرَة، وانسابت في الهواء جذلة بجناحيها الرَّقيقين الشَّفافين المخمليَّين، طروبة في الأنسام العطرة المشبَّعة بعبير الورود البريّة، ونور السّيسبان وزهر العسل الآتية من أسيجة الجنائن المحمّلة بالعطر البريّ وزهر الرّبيع والنّعناع. كانت الرّائحة قويّة يكاد عطرها يُغمي الذُّبابَة الصَّغيرَة، لقد كان اليوم طويلًا جميلًا مليئًا بالحبور والمسرّات الحلوة حتّى إنّ الذُّبابَة عندما أوشكتِ الشَّمْس على المغيب جعلت تحسّ بالتّعب من كلّ ما ذاقته فيه من سعادة ومتعة، وما عاد جناحاها يقويان على حملها؛ فانسابت بكلّ رقّة وبطء على أوراق العشب المتماوجة النّاعمة، وحرّكت رأسها الصّغير على قدر ما استطاعت، ثُمَّ نامت بسلام وعذوبة، وهكذا ماتت الذُّبابَة.

قالت السِّنْدِيانَة:

ـ "يا للمخلوقة الصَّغيرَة المسكينة! ويا لفظاعة حياتها الصَّغيرَة!"

وهكذا كان الرَّقْص يُعاد في كلّ يوم من أيّام الصّيف، وتطرح الأسئلة نفسها، وتعطى الأجوبة نفسها، ولقد جرى ذلك لأجيال عديدة متوالية في حياة (أفيميرا) وكلّ مخلوقة منها تشعر بالحبور نفسه، والسَّعادة نفسها.

ظلّت السِّنْدِيانَة مستيقظة طوال نهار الرّبيع صبحه، والصّيف ظهره، والخريف مساءه. ثُمَّ بدأ اللّيل يجرّ أذياله، ودنا وقت راحتها،لقد أقبل الشّتاء، وبدأت الزّوابع تنشد: "مساء الخير، مساء الخير"، وسقطت ورقة هنا، ووريقة هناك، وأخذت الرّياح تنشد لها، وتهدهدها كي تنام. فسمع لأغصانها الطّاعنة طقطقة من شدّة السّرور، لقد كانت ليلتها الخامسة والسّتين بعد الثّلاثمئة، ولكنّها الآن بموجب تقويم البشر، في القرن الرّابع من وجودها.

وقفت البلوطة هناك عارية من أوراقها؛ لتأخذ راحتها في أثناء الشّتاء الطّويل، ولتحلم أحلامًا كثيرة ملأى بالأحداث الّتي وقعت لها في مجرى حياتها، كانت أضخم وأحسن شجرة في الغابة، تعالت قمّتها وعظمت فوق الأشجار الأخرى جميعها، وكانت ترى من بعيد من أقصى البحر حتّى إنّها كانت للملّاحين علمًا، ولم يدر بخلَدها يومًا كم من العيون

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ترنـو بشـوق إليهـا، وفـي سـامق قمّتهـا بَنَـتِ الحمامـة البريّـة عشّـها بيـن الفـروع، وشـرع الوقـواق فـي إحيـاء حفلتـه الصَّوتيّـة المعتـادة فتجاوبـت أنغامـه المحبوبـة بيـن الأغصـان. وفـي الخريـف عندمـا كانـت الأوراق تبـدو وكأنّهـا صفائـح نحـاس مطروقـة، كانـت العصافيـر العابـرة تأتـي لترتـاح علـى أفنانهـا قبـل أن تطيـر وتجتـاز البحـر، ولكـن الآن ،والفصـل شـتاء، والشَّـجَرَة عاريـة، كان باسـتطاعة كلّ امـرئ أن يـرى كـم كانـت أغصانهـا ملتويـة ومنحنيـة وهـي تتفـرّع وتمتـدّ مـن جذعهـا. أتـت العقبـان والغربـان بالتّنـاوب وجلسـت عليهـا، وتحدّثـت عـن الأوقـات العسـيرة الَّتـي بـدأت، وعـن المشـقّة فـي الحصـول علـى الطّعـام فـي الشّـتاء.

كان العيـد قـد قـرب عندمـا حلمـت الشَّـجَرَة حلمًـا، لا ريـب أنّهـا كان لديها نوع من الإحسـاس بـأنّ وقـت العيـد قـد حـان، وبـدا لهـا اليـوم وكأنّـه مـن أيـام الصّيـف الجميلـة، دافئًـا لطيفًـا. كانـت هامتهـا العظيمـة متوّجـة بـأوراق خضـراء يانعـة، وأشـعّة الشَّـمْس تلعـب بيـن الوريقـات والأغصـان، والهـواء مثقـل بعطـر الأعشـاب والنّـوار. وطـاردت فراشـات ملوّنـة بعضهـا بعضًـا، ورقـص ذبـاب الصّيـف حولهـا كأنّمـا خلـق العالـم لهـم وحدهـم ليرقصـوا فيـه ويفرحـوا، وبـدا للشّـجرة أنّ الأحـداث جميعهـا الَّتـى وقعـت لهـا فـى سـنى حياتهـا تمـرّ أمامهـا فـى موكـب طويـل.

رأت فرسـان العصـور القديمـة يجتـازون الغابـة مـع النّسـاء النّبيـلات ممتطيـن صهـوات جيادهـم الأصيلـة، والرّيـش يتمـاوج علـى قبّعاتهـم، والصّقـور جاثمـة علـى معاصمهـم.

وعـلا صـوت أبـواق الصّيـد، ونبحـت الـكلاب. رأت محاربيـن ينصبـون خيامهـم وهـم فـي ثيـاب ملوّنـة ودروع برّاقـة، مـع حـراب وبلطـات، ثـمّ توقّـدت نيـران الحراسـة، وغنّـى الرّجـال، ونامـوا تحـت أغصانهـا المضيافـة، ثـمّ رأت أناسًـا يلتقـون قربهـا بهـدوء وسـعادة علـى ضـوء القمـر، ويحفـرون الأحـرف الأولـى مـن أسـمائهم فـي لحائهـا وجذعهـا الأخضـر الحائـل، وحـدث مـرّة، ولكـن سـنين انقضـت منـذ ذلـك الحيـن، أَنَّ بعـض المسـافرين المرحيـن علّقـوا علـى أحـد أغصانهـا آلات الطّـرب وقيثـارات، وبـدا لهـا أنّهـا مازالـت معلّقـة هنـاك، وأنّهـا تسـمع أنغامهـا الشّـجيّة. وهدلـت الحمامـات البريّـة كأنّهـا تريـد أن تعبّـر عـن مشـاعر الشَّـجَرَة، وصـاح الوقـواق يعلمهـا كـم بقـي لهـا مـن أيّـام الصّيـف لتحياهـا، ثـمّ شـعرت كأنّمـا حيـاة جديـدة أخـذت تختلـج فـي كلّ عـرق مـن عروقهـا وجذعهـا وأوراقهـا، وتنسـاب صاعـدة إلـى فروعهـا الشّـامخة. شـعرت الشَّـجَرَة أنّهـا أخـذت تنبسـط ،وتمتـدّ، بينمـا كانـت قـوّة الحيـاة الدّافقـة تسـري فـي جذورهـا تحـت التّـراب، وفيمـا هـي تعلـو بقـوّة متزايـدة اتّسـعت أغصانهـا العليـا، وامتـلأت أكثـر فأكثـر،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وبتناسق مع نموّها ازداد رضاها عن نفسها، ونشأ عندها شوق مُلِحٌّ في أن تتناهى في العلوّ حتّى تصل إلى الشَّمْس الدّافئة نفسها، وخُيِّل إليها أنَّ فروعها السّامقة فرّقت الغيوم حيث تراءت كأسراب عصافير راحلة أو كإوزّات كبيرة بيضاء تنساب تحتها، وبدا كأنّما كلّ وريقة من أوراقها لها عينان تبصران، وظهرت النّجوم في وضح النّهار كبيرة تتلألأ كأعين وادعة صافية، تعيد للأذهان نظرات الطّفولة البريئة، أو أعين الَّذين التقوا مرّة تحت أغصان البلّوطة الهرمة، كانت هذه اللّحظات للسِّنْدِيانَة لحظات سعادة ملأى بالفرح.

ولكن، مع كلّ هذا، شعرت الشَّجَرَة وهي في أوج سعادتها برغبة مُلِحَّة في أن تتمكَّن الأشجار والعليقات والنّباتات والزّهورجميعها الَّتي تحتها من أن تنمو، وتتعالى مثلما نمت وتعالت؛ لترى هذا البهاء، وتختبر سعادة مُماثِلة، لم يكن في وسع البَلّوطة العظيمة المهيبة أن تتذوّق السَّعادة كاملة، وبقيّة النّباتات والأشجار عظيمها وحقيرها لا تشاركها فيها، وسرى هذا الشّعور بالحنوّ في الأغصان والأوراق جميعها! تدفَّق دافئًا كأنَّه سرى في ألياف قلب بشريّ. واهتزّت هامة الشَّجَرَة هنا وهناك، ثمَّ هبّت عليها نفحة من عبير الصّعتر، وتبعتها رائحة زهر العسل والزّنابق الأكثر نفاذًا، وخيّل إليها أنّها سمعت أنغام الوقواق، وأخيرًا تحقّق ما تصبو إليه. رأت البلّوطة قمم أشجار الغابة الخضراء تشقّ الغيوم وهي تنمو شيئًا فشيئًا، وتتعالى تحتها، وكذلك اندفعت النّباتات وأشجار العليق في العلوّ حتّى إنّ بعضها انشقّ عند الجذور متسارعًا في النّموّ. كانت شجرة السّندر أسرعها جميعًا، أطلقت جذعها الرّشيق إلى العلا كوميض البرق في خطّ منعرج، وانتشرت أغصانها حولها كأعلام خضراء شفّافة، كلّ ما في الغابة حتّى الخيزران البنيّ الأسيل ذو الرّيش النّاعم الدّقيق نما مع البقية، بينما حلّقت العصافير وهي تصدح بتغاريدها، وجلس جندب ينظّف جناحيه برجليه على وريقة عشب كانت تتطاير في الهواء كشريط أخضر طويل، وأخذت الخنافس تدندن والنّحل يطنّ، والعصافير تزقزق كلّ منها على طريقته، لقد كان الهواء مليئًا بأصوات الغناء والبهجة.

ثمّ راحت الشَّجَرَة تتساءل: "أين الزّهرة الزّرقاء الصَّغيرَة الَّتي قرب الماء؟ وأين الأقاحي الصّفراء الحلوة؟ وصعتر الصّيف الجميل، أين هو؟ والسّوسن الَّذي كسا الأرض بالنَّورِ في السَّنَة المنصرمة؟ وشجرة التّفاح البريّة ونوارها الجميل، وكلّ ما تزهو به الغابة سنة إثر سنة؟"ولمّا رأتهم كلهم حولها، صاحت البلّوطة بنغمة كلّها حبور: "ما أجمل هذا! أكاد لا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أصدّقه! هل في الحياة سعادة كهذه؟"لقد بدا لها أنّ الأمر يكاد يكون مستحيلًا.

وبينما الشَّجَرَة الهرمة تنمو وتعلو سامقة في الفضاء شعرت أنّ جذورها تفكّ عقالها من الأرض، وهتفت: "لعمري إنّ هذا حسن وبديع، لا قيود هناك تأسرني بعد الآن، إنّ بإمكاني أنْ أطير إلى أعلى الأعالي في النّور والمجد، وكلّ الّذين أحبّهم معي، الصّغار والكبار."

هذا كان حلم السِّنْدِيانَة الهرمة.

وبينما هي تحلم هبّت عاصفة شديدة عبر الأرض والبحر، وأخذت أمواج هائلة تكتسح الشّاطئ، وفي اللّحظة الّتي خيّل إليها في الحلم أنّها تفكّ إسارها من الأرض سمع صوت انسحاق وطرطقة في قلب الشَّجَرَة، وانقلعت جذورها من الأرض، وسقطت... وهكذا انقضت أعوامها الثّلاثمئة والخمسة والستون كيوم (أفيميرا) الوحيد.

وفي صباح العيد كانت العاصفة قد هدأت عند بزوغ الشَّمْس، ثمّ تعالت نغمات الفرح من كلّ صوب، وتعالى الدّخان من مواقد الأكواخ شاقًّا طريقه في السّماء الزّرقاء. هدأ البحر، ورفعت الأعلام، وعرضت على ظهر باخرة عظيمة كانت قد قاومت الزّوبعة في أثناء اللّيل إشارة فرح وابتهاج.

وهتف البحّارة: "لقد سقطت الشَّجَرَة!... سقطت السِّنْدِيانَة القديمة، وهي علامتنا البريّة على الشّاطئ! لا ريب أنّها اقتلعت في عاصفة اللّيلة الماضية، فمن ذا الّذي يستطيع أن يعيدها كما كانت؟ إنّه لأسف عظيم ألّا يتمكّن أحد من ذلك."

هذه كانت خطبة الرّثاء على الشَّجَرَة، خطبة قصيرة، لكنّها بليغة.

وبقيت السِّنْدِيانَة الهرمة ملقاة هناك على الشّاطئ تتراكم عليها الثّلوج كلّها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشيخان

رسالة، أيها الأب (أزان)؟

نعم يا سيدي... هذا خطاب قادم من (باريس).

لقد كان مزهوًّا فخورًا بأنها رسالة قادمة من (باريس)، هذا الأب (أزان) الطيب.. لا أنا. فإن هاتفًا في نفسي أخذ يحدثني قائلًا إن هذه الباريسية من أهل شارع (سان جاك) -وقد حكت على مائدتي ارتجالًا، دون سابق إنذار، ومنذ الصباح المبكر- ستضيّع عليّ نهاري. ولم يخب ظني. انظروا... هاهي ذي:

ـ "عليك أن تؤدي لي خدمة يا صاحبي. فستغلق طاحونتك يومًا واحدًا، وتحمل نفسك فورًا إلى (إيجوبير)... إن (إيجوبير) بلدة محترمة على بعد ثمانية أو عشرة أميال من عندك. أي إنها نزهة لك، عندما تصل، اسأل عن ملجأ الأيتام. وأول بيت بعد ذلك هو بيت منخفض ذو نوافذ رمادية وحديقة صغيرة وراءه. ادخل دون أن تطرق الباب، فالباب مفتوح دائمًا. وصِحْ - وأنت داخل - بأعلى صوتك: يومٌ سعيدٌ - أيها الناس الطيبون - إنني صديق (موريس)، وإذ ذاك سترى شيخين، أوه! ولكنهما عجوزان، عجوزان، عتيقان جدًّا، يمدان لك أذرعهما وهما غارقان في مقعديهما الكبيرين، فعانقهما من قبلي، عانقهما عناقًا حارًّا من كل قلبك، كما لو كانا جديك. ثم ستتحدثون، سيكلمانك عني، لن يكلماك إلّا عني، وسيقصان عليك ألف عتاهة تسمعها دون أن تضحك.. إياك أن تضحك. أسامع أنت؟... إنهما جداي، كائنان سأظل صنيعتهما ما حييت، وهما لم يرياني منذ عشر سنين... عشر سنين، ذلك وقت طويل! ولكن ماذا تريد؟ أنا (باريس) ممسكة بي، وهما الشيخوخة قعدت بهما... إنهما شيخان هرمان لو حاولا أن يأتيا لزيارتي لتناثرا في الطريق... من حسن الحظ أنّك هناك يا عزيزي الطحان. وإذا ما عانقك هذان المسكينان الطيبان ظنا أنهما يعانقانني أنا بعض الشيء... لطالما حدثتهما عنا وعن هذه الصداقة الكريمة التي...".

ألا تبًّا للصداقة! فقد كان صباح ذلك اليوم عظيمًا رائعًا، ولكنه لم يكن يساوي شيئًا لمن يقطع الطرقات: كانت (المسترال) عاصفة، والشمس متأججة، والجو جو يوم من أيام (البروفانس) حقًّا. وحين وصلتني هذه الرسالة. كنت قد اتخذت مكمني بين صخرتين،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وكنت أمني نفسي بالقبوع هناك طول النهار، كالضب، أعب من النور وأنا أتسمع نشيد أشجار الصنوبر. وبعد، فماذا تريدنني أن أفعل؟ أقفلت طاحونتي وأنا غاضب، ووضعت المفتاح تحت الثغرة الّتي تمر منها القطط، وأخذت عصاي ، وانطلقت.

وبلغت (إيجوبير) نحو الساعة الثانية. كانت القرية قفرًا، فقد انتشر أهلها جميعًا في الحقول... وفي شجر الدردار المغروس على الطريق، وقد ابيضت أغصانه من القتام، كانت الجنادب تغني كأنها في قلب (كرو).

والحق أن حمارًا كان يتمتع بالشمس في الميدان أمام ديوان العمدة، وسربًا من الحمام كان يحوم حول النافورة، ولكن لم يكن هناك أحد ليدلني على ملجأ الأيتام. ومن سعد طالعي، ظهرت لي فجأة عجوز، مقعية في ركن بابها تغزل، فسألتها عن ضالتي، فدلّتني على الملجأ، وكان دارًا ضخمة كالحة الجدران قابضة المظهر قاتمة. وجوار هذا البناء، لمحت بناء آخر أصغر منه. نوافذ رمادية، وحديقة خلفية... عرفت الدار بغير توهم، ودخلت دون أن أخبط.

لن أنسى ما حييت مشهد تلك الدار. سأتمثل دائمًا ذلك الدهليز الرطيب الهادئ، والحائط الوردي الطلاء، والحديقة الصغيرة الّتي كانت تهتز في أفق الصورة من خلال ستارة. على النافذة وضيئة اللون، وصفائح الجدران تلك الحالية بأزهار وقياثير ذابلة. لقد خيل إلي أنني أدخل بيت قاض من قضاة الأشراف.. وفي آخر الدهليز على يدي اليسرى، من باب منفرج، سمعت نبض ساعة ضخمة، وصوت طفلة صغيرة، طفلة من تلميذات المدارس كانت تقرأ، فاقتربت في هدوء من ذلك الباب ونظرت...

في سكون غرفة صغيرة وضوئها الخافت، كان شيخًا طيبًا متوردَ الوجنتين، مغضن الجلد حتى أطراف أصابعه، ناعسًا في قلب كرسي وثير، وقد انفتح فوه وظلت يداه على ركبتيه. وعند قدميه جلست صبية ترتدي الزرقة -ثوبًا أزرق فضفاضًا وقلنسوة صغيرة. هو زي الملجأ- تقرأ سيرة في كتاب أكبر منها.. ولقد فعلت هذه المطالعة الإعجازية فعلها العجيب في البيت كله، فنام الشيخ في مقعده. ونام الذباب في السقف، ونامت (الكناريا) في قفصها هناك على النافذة، بينما استرسلت الساعة الغليظة المستندة إلى الجدار في غطيطها تردد (تك تك تك تاك). لم يكن يقظًا في الغرفة كلها إلّا عصابة من النور تسقط مستقيمة ناصعة من بين مصراعي النافذة الموصدة، زاخرة بالشرر الحي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والرقصات الذرية الدقيقة... وفي وسط هذا السبات العامّ، مضت الطفلة تواصل قراءتها وتلقي الألفاظ إلقاء جديًّا رهيبًا "وسر... عان... ما... انقض... عليه... أسدان... والتهـ... ـماه...".

في تلك اللحظة دخلت أنا... ولو اقتحم الحجرة أسد، لما أثار فيها من الذهول أكثر مما أثرت. إنها لمفاجأة مسرحية حقًا! ندت عن الطفلة صيحة، وهوى الكتاب الكبير، وهبت الكناريا والذباب، ودقت الساعة، وقفز الشيخ واشرأب مشدوها، ووقفت أنا على أسكفة الباب وبي شيء من اضطراب، أهتف بأعلى صوتي:

يومٌ سعيدٌ -أيها الناس الطيبون- أنا صديق (موريس). أوه! إذ ذاك، يا ليتكم رأيتموه، هذا الشيخ الطيب المسكين، يا ليتكم رأيتموه يقبل نحوي مادًّا ذراعيه يعانقني، ويصافحني، ويهيم في الغرفة شاردًا يقول:

- يا إلهي! يا إلهي!

لقد أشرقت غضونه جميعها، وانبسطت أساريره، واحمر وجهه، وراح يتمتم:

- آه! يا سيدي... آه! يا سيدي...

ثم مضى إلى داخل البيت يدعو:

- (مامت)!

وإذا باب يفتح، وأسمع وقع أقدام فأر في الدهليز... إنها (مامت) لن يكون أجمل من تلك العجوز الصغيرة بقلنسوتها ذات الشريط المعقود، وثوبها البني الباهت، ومنديلها المطرز الّذي حملته في يدها احتفاء بي، على طريقة العصر الماضي.. ويا له من مشهد عاطفي مؤثر! لقد كانا متشابهين، فلو قد ارتدى الرجل وشاحًا وأشرطة صفراء لاستطعت أن تدعوه (مامت)، هو أيضًا. ولكن (مامت) في الحقيقة لا بد أنّها قد بكت كثيرًا في حياتها، فإنها لتفوق صاحبها تجعدًا وغضونًا. وكصاحبها أيضًا، كانت لها طفلة من بنات الملجأ بالقرب منها، حارسة صغيرة في ثوب أزرق فضفاض، ما كانت تفترق عنها لحظة. وإن مشهد هذين الشيخين تحرسهما هاتان اليتيمتان، لهو أشد ما تستطيع أن تتصور تأثيرًا في قلبك.

وأقبلت (مامت) فبدأت تنحني انحناءة كبيرة، تريد بها أن تحييني كما كانوا يفعلون في عهد الفروسية، ولكن الشيخ بكلمة منه بتر انحناءتها:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم - دولة الإمارات العربية المتحدة

ـ أنه صديق (موريس)...

وإذا هي ترتجف، وتبكي، وتفقد منديلها، وتحمر، وتحمر وتفوقه احمرارًا... هؤلاء الشيوخ! ليس في عروقهم إلّا قطرة دم واحدة، وعند أقل انفعال تثب هذه القطرة إلى وجوههم...

قالت العجوز لصغيرتها:

ـ أسرعي، أسرعي بكرسي...

وأهاب الشيخ بصغيرته:

ـ افتحي النافذة.

ثم أخذ كل منهما بإحدى يدي، واقتادني وهما يدبان على أرض الغرفة حتى بلغا بي النافذة الّتي فتحت على مصراعيها ليرياني في جلاء.

وتدانت المقاعد، وإذا أنا جالس بينهما على كرسي صغير والصغيرتان الزرقاوان وراءنا، وإذا الاستجواب يبدأ:

ـ كيف حاله؟ ماذا يعمل؟ لماذا لا يأتي؟ أمسرور هو؟

وهكذا انهالت عليّ أسئلتها الثرثارة ساعات طوالًا.

أما أنا، فكنت أبذل أقصى ما في وسعي ألا أجيب عن أسئلتهما، أسرد عن صديقي ما أعرف من تفاصيل، وأختلق دون حياء ما لا أعرف، حريصًا قبل كل شيء على ألا أبوح بأنه ما عنَّ لي يومًا أن ألاحظ هل مصاريع نوافذه محكمة القفل إذا أراد أن يوصدها أو من أيِّ لون قد اتخذ ورق غرفته.

ـ ورق غرفته؟... إنه أزرق يا سيدتي، أزرق فاتح، تحليه زخارف من أكاليل الورد وورق الشجر...

فقالت العجوز المسكينة وقد فاض بها الحنان:

ـ حقًّا؟

وأضافت وهي تلتفت إلى زوجها:

ـ ياله من ولد طيب!

فواصل الآخر في حماسة:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ـ أوه! أجل ياله من ولد طيب!

وظلا طيلة الوقت يتبادلان في أثناء حديثي إيماءات برأسيهما، وضحكات صغيرة ماكرة، وغمزات بأعينهما، وإشارات اصطلحا عليها للتفاهم بينهما، أو كان الشيخ يدنو مني ليهمس لي :

ـ ارفع صوتك...إن أذنها ثقيلة بعض الشيء.

بينما تهمس لي هي من ناحيتها:

ـ بصوت أعلى قليلا، أرجوك!... فإنه لا يكاد يسمع.

وإذ ذاك كنت أرفع صوتي، فيشكرني كلاهما بابتسامة، وفي هذه البسمات الذابلة الّتي كانت تنحني علي باحثة في غور عيني عن صورة (موريسها)، كنت أرى، وأنا شديد التأثر، صورة صاحبي المنشودة غامضة محجبة لا يكاد يدركها البصر. فكأني كنت أرى صديقي يبتسم لي، بعيدًا جدًّا في ضباب.

وفجأة انتصب الشيخ فوق مقعده:

ـ إني لأفكر في الأمر، (مامت)... لعله لم يتناول غداءه!

فرفعت (مامت) ذراعيها نحو السماء مشدوهة مضطربة:

ـ لم يتناول غداءه! ياسبحان اللّه!

وكنت أظن أنهما ما زالا يتحدثان عن (موريس)، وهممت أن أجيب بأن هذا الولد الطيب لم يكن يتأخر قط عن الساعة الثانية عشرة ظهرًا لكي يجلس إلى المائدة. ولكنهما كانا يتكلمان عني أنا، ويا ليتكم شهدتم أي استعداد أقام البيت وأقعده حين صرحت بأنني ما زلت على الطوى.

ـ - أسرعا بأدوات المائدة أيتها الصغيرتان الزرقاوان! اجذبا الخوان إلى وسط الغرفة، وابسطا سماط يوم الأحد، وأخرجا الأطباق ذوات الأزهار. كفانا ضحكًا من فضلكما! ولنسرع...

وإني لأعتقد تمام الاعتقاد أنهما كانتا تسرعان، فلم يكد ينقضي من الوقت إلّا ما يلزم لكسر ثلاثة أطباق، حتى كان الغداء معدًّا.

وقالت لي (مامت) وهي تقودني إلى الخوان:

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ـ غـداء صغيـر طيـب!... . بيـد أنـك سـتكون وحـدك إلـى المائدة...أمـا نحـن فقـد أكلنـا صبـاح اليـوم.

يـا لهذيـن الشـيخين المسـكينين! إن مـن يدخـل عليهمـا فـي أيـة سـاعة، يجدهمـا دائمًـا قـد أكلا فـي الصبـاح.

وغـداء (مامـت) الطيـب! كان يتألـف مـن إصبعيـن مـن اللـب، وبعـض التمـر، وقطعـة (باركيـت) وهـي شـيء يشـبه الفطيـر، وتلـك مـادة تكفـي لإطعامهـا وإطعـام (كناريهـا) أيامًـا ثمانيـة علـى أقـل تقديـر... فمـا قولكـم وقـد أتيـت وحـدي علـى كل هـذه المـؤن عـن آخرهـا!... وبنـاء عليـه، أي اسـتنكار حـول المائـدة! يـا لـي مـن الصغيرتيـن الزرقاويـن وقـد أخذتـا تتهامسـان وتتلامـزان بمرفقيهمـا، ويـا لـي مـن أفـراخ (الكناريـا) هنـاك فـي قـاع قفصهـا وقـد بـدا عليهـا أنهـا تتقـاول: "أوه! هـذا السـيد الّـذي يلتهـم الباركيـت كلهـا!".

وفـي الواقـع لقـد التهمهـا كلهـا، بـل ولـم أكـد أتنبـه إلـى ذلـك، إذ كنـت مشـغولًا يسـتغرقني النظـر حولـي فـي هـذه الحجـرة الوضيئـة الوادعـة الّتـي كان يتضـوع فيهـا لـون مـن أريـج الماضـي والأشـياء القديمـة.. كان هنـاك قبـل كل شـيء سـريران، وهمـا أشـبه بمهديـن، كنـت أتمثلهمـا فـي الصبـاح، قبـل شـروق الشـمس، ومـا زالا كامنيـن فـي سـتائرهما الفضفاضـة ذوات الأهـداب، ثـم تـدق السـاعة الثالثـة، وهـي موعـد اسـتيقاظ العجائـز جميعهـن:

ـ أنائمة أنت يا(مامت)؟

ـ لا، ياصاحبي.

ـ أو ليس (موريس) ولدًا طيبًا؟

ـ أوه! أجل، إنه ولد طيب.

وكنـت أتخيـل علـى هـذا المنـوال حديثًـا بأكملـه، لا لشـيء إلّا لرؤيتـي فراشـي الشـيخين، وهذيـن السـريرين الصغيريـن القائميـن هـذا بجـوار هـذا...

كان (موريس) كلفًـا بالكـرز! ومـال الشـيخ علـى أذنـي يقـول فـي لهجـة شـرهة وهـو يقـدم لـي القدح:

ـ إنـك لمحظـوظ، أنـت، إذا أتيـح لـك أن تتنـاول منـه!... . إن زوجتـي هـي الّتـي صنعتـه... لسـوف تتـذوق شـيئًا جيـدًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

واحسرتاه! إن زوجته هي الّتي صنعته، ولكنها نسيت أن تحليه بالسكر. ماذا تريدون؟ فالمرء يمشي شارد الذهن حين يهرم. لقد كان كرزك لاذعًا حادًّا يا مسكينتي (مامت....) غير أن ذلك لم يمنعني من أن أتجرعه إلى آخره دون أن تطرف لي عين. وعندما انتهى الطعام، نهضت أستأذن مضيفي في الانصراف. لقد كانا يودان لو استبقياني بعد ذلك قليلًا لنتحدث عن الولد الطيب، ولكن نور النهار كان يخبو، وكانت الطاحونة بعيدة، فلم يكن بد من الرحيل.

وكان الشيخ قد نهض حين هممت:

ـ (مامت)، معطفي.. أريد أن أرافقه حتى الميدان.

ولم يكن شك في أن (مامت)، في قراره نفسها، كانت تجد أن برودة خفية -منذ ذلك الوقت- قد انتشرت في الجو لا تأذن لصاحبها أن يرافقني حتى الميدان، ولكنها لم تدع شيئًا من ذلك يبدو عليها. إلّا أنني سمعت هذه الشيخة المسكينة بينما هي تعينه على دخول ردني معطفه، معطف أسباني بني قاتم ذي أزرار صدفية، تقول له في رقة:

ـ لن تتأخر طويلًا، أليس كذلك؟

أما هو فأجاب في لهجة متخابثة متمنعة:

ـ (هئ! هئ)!... لست أدري... ربما...

وهنا نظر كل منهما في عيني الآخر ضاحكًا إذ تريانهما يضحكان، وأمست أفراخ (الكناري) في ركنها تضحك أيضًا على طريقتها الخاصة.

... وكان الظلام يهبط على الأرض حين خرجنا أنا والجد، وكانت الزرقاء تتبعنا من بعيد لكي تعيده، ولكنه لم يكن يراها. بل استبد به الفخر إذ يتأبط ذراعي، كالرجل. وأشرق وجه (مامت) عندما رأت ذلك، من أسكفة بيتها. وكان لرأسها وهي تنظر إلينا هزات جميلة، لعلها كانت تقول: "على الرغم من كل شيء، زوجي العزيز!... . إنه ما زال قادرًا على المشي.)"

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الصقر

(غوستاف هلستروم) *

كان (السر انغوراند) يذهب إلى الصيد كل يوم ويده في قفاز أحمر مطرز بالذهب، لأنه لم يكن ليوقظ في حناياه الحاسة الموسيقية سوى طيران الصقر الآيسلندي ورنين أجراسه الصغيرة، فتجعله يستنشق نسيم الصبح القرير ببهجة. وفي أحد الأيام طارد الصقر (بلتونًا داميًا) إلى مستنقع وراء الأجمة حيث وجده الصياد ودق عنقه، ولكن الصقر لم يكن ليعثر له على أثر. فهل أغرته فريسة جديدة، أم أنه عاف ماء المستنقع الكدر، أم أن خيلاءه دفعت به إلى التحليق في الأجواء حتى شطت به الريح؟ -عبثًا ذهبت محاولاتهم في العثور عليه. وعبثًا نادوه بأسماء محببة، وكذلك دوى صوت البوق من على كل رابية. فصفع (السر انغوراند) بقفازه كبير الصقارين على فمه المرتعش حتى سال منه الدم، ثم راح يرمح على جواده فوق العشب متجهًا صوب القصر وشفتاه مزمومتان بشدة متناهية، وجفناه مسدلان في كآبة أشد على عينيه المتراخيتين. أما الصقر فلم يجدوه.

ولكن (رينود) وجده وقد تعلق إزاره بشجيرة عليق وهو دون حراك ينتظر الموت جوعًا في براثنها الثابتة، أحد جناحيه معلق والآخر مرتفع بتحد ورأسه المستطيل ممتد إلى الأمام يتوعد بعينين ثابتتين ومنقار صارم. لقد كان جميلاً وهو قابع بين حبات العليق الحمراء كالدم، وارتعشت يد (رينود) لهفة وهو ينتزع إزاره من بين الشوك والأجراس الصغيرة ترن بين أصابعه على الحلقة المرسومة بطابع (السر انغوراند). وعلا صراخه بالفرح عندما شقت المخالب الحادة ذراعه المفتولة وأصبح الصقر ملكه.. صقر يمتاز بأعرض صدر وأطول جناحين وأنبل عينين كالذهب الملتهب.

لقد غدا ملكه دونما ريب، لأنه لن يستطيع مطلقًا أن يريه لأي إنسان، فهو يعلم بالقوانين الصارمة الّتي تحمي هوايات الفرسان الرياضية، إنه سيبتني له قفصًا في الغابة، فيتسلل في الصباح الباكر إلى هناك قبل أن ينفض الطير البرد عن نفسه ويجولان الحقول سوية، ويكتسحان بنظراتهما المناطق البيضاء الشاهقة، ولسوف يغرم كلاهما بالآخر، وأشعة الشمس تعلو وتنسكب على رأسيهما وتحمل الريح أفكارهما. أحكم (رينود) وثاقه ثانية، وركض

* كاتب سويدي حائز على جائزة نوبل في الآداب (2881-3591).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نحـو البركـة، ثـم رجـع سـريعًا ببطـة قتلهـا بحجـر وقدمهـا للصقـر، فأقبـل عليهـا، فتخـدر قلـب (رينـود) مـن النشـوة لأن تلـك كانـت علامـة مـن الصقـر بأنـه لا يحتقـره وأنـه سـيكون لـه.

وأصبـح الصقـر ملـكًا لـه، وكلمـا طقطقـت الأغصـان المتجمـدة بالصقيـع تحـت خطواتـه فـي سـكون الصبـاح كان الصقـر يحنـي رأسـه ويصغـي، وعينـاه هادئتـان ترقبـان علـى حـذر، ثـم يقفـز بخفـة مـن قفصـه مـادًّا نفسـه نحـو يـده وهـو يرفـرف بجناحيـه كأنمـا يريـد الطيـران -أو يريـد أن يذكـره بذلـك- ثـم يسـرعان فـي الخـروج مـن الفلـوات الرحبـة حيـث كان الضـوء ينتشـر شـيئًا فشـيئًا.

و ألقـت عيونهمـا نظـرات حـادة علـى السـماء المحمـرة احمـرارًا قاتمًـا، وترامـت التلال سـوداء بالأيـكات المتناثـرة حيـث رقـدت الأشـجار وأغصانهـا مثقلـة بالعصافيـر الصامتـة. وغـدت السـماء منبلجـة البهـاء تتوهـج بالذهـب والاحمـرار، وأصبحـت معالـم الحقـول زرقـاء، طـار البـوم يسـف علـى الأرض يلتمـس مخبـأ، ونشـرت عصافيـر الصبـاح أجنحتهـا مسقسـقة بلطـف مـن البـرد، وظهـرت فـي طيرانهـا سـوداء علـى صفحـة الهـواء المتلألئـة. ولكـن (رينـود) وصقـره أسـرعا فـي سيرهما لأن هـذه كانـت عصافيـر الـدوري والسـمان -ولا يطمعـان فيهـا فريسـة. ولكـن نـزولًا عنـد المسـتنقعات كانـت (البلاتـن) تزعـق وتطيـر بضربـات طويلـة مـن أجنحتهـا فـي دوائـر واسـعة، فهنـاك كانـت الفريسـة. وهنـاك أطلـق الصقـر عاليًـا وصـدره مصـوب ، وأجنحتـه مسـتعدة للقصـف، ورآه (رينـود) فـي أشـعة الشـمس وقـد انقلـب إلـى لـون الذهـب فوقـف معمـيَّ العينيـن مصابًـا بالـدوار بينمـا غـدا الطيـر يصفـر علـى أديـم السـماء. وبلغـت مسـامعه سـخرية رنيـن أجراسـه مـن زعقـات (البلاتـن).

أخـذت (البلاتـن) تحـوم فـي دوائـر مـن خوفهـا. وفكـرت آنًـا فـي أن تحـط علـى الشـاطئ لكـي تخبـئ أعناقهـا الطويلـة ورؤوسـها البلهـاء المرتعبـة وأعرافهـا المنحنيـة تحـت الأشـجار القاتمـة، وآنًـا آخـر حاولـت متـرددة أن تعلـو فـي شـكل حلزونـي متكئـة علـى أجنحتهـا العريضـة فـي حملهـا إلـى أعلـى ممـا يسـتطيع عدوهـم مطاردتهـا، وارتجفـت كالقصـب مـن الرعـب المسـتولي علـى قلوبهـا.

ولكـن الصقـر التقـط منـذ البدايـة واحـدًا مـن أقواهـا، واحـدًا مـن أولئـك الذيـن حلقـوا عاليًـا لأول وهلـة. أحـب الصقـر أن يجـرب قوتـه وأن يشـعر بالهـواء الخفيـف القريـر تحـت جناحيـه،

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ورفع نفسه بسرعة غير متلجلج وكأنه يحوم حول شعاع من الشمس. وللحال غدا هو الأعلى. وبان للعيان أصغر من العصفور الدوري، ولكن شيئًا من هيئة جناحيه وفي قوة جسده المركزة أعطت فكرة عن إشعاع عينيه الوحشيتين ومخالبه الممتدة، وانقض بغتة ثقيلاً كالفولاذ، على عنق فريسته الأعزل المتجه نحو الأعلى، وسقط الاثنان كحجر تكاد أجنحتهما لا تتحرك. وهرول (رينود) يخوض البركة بسرعة قبل أن ينشل البلتون نفسه ويستعيد صوابه من هول الضربة، فيجمع قواه ويستعمل منقاره الصارم في وحشية يائسة، غير أن الصقر عاجله بالضربة المميتة بحدة وسرعة، والتفت بعينيه الواسعتين نحو سيده لأنه استنكف أن يلطخ ريشه بالدم، وانتظر كي يوهب له القلب وهو ما يزال حارًّا.

لم يطر الصقر ثانية في ذلك اليوم، وعندما أطلقه (رينود)، وطيره عاليًا وركض وراءه مناديًا محرّضًا، خبط جناحيه بضع مرات، ثم جثم على كتفه مرة أخرى ببرود وكبرياء إزاء وجهه الصبياني الضاحك، وظهر أنه يحتقر جميع التوافه، فأحجم (رينود) عن تكرار ذلك بينما اكتسبت نظراته ونظرات الصقر الجدية البعيدة المدى. وغدا مخلصًا له أكثر من أي شيء آخر امتلكه في حياته، وخيل إليه أن الصقر قد قدّ من روحه وحنينه بجناحيه العريضين ولمحته المنتصرة. ولكن كان هنالك ألم في حبه، وتشاؤم كئيب من بلية منتظرة. وفي أحايين أخرى يداهمه الخوف لئلا يفارقه طيره دون اكتراث، ويختفي مع رنين أجراسه السافر. إن الفراغ الّذي سيتركه سيكون بمثابة الموت له ولا ريب، أو خيل إليه أنّ الصقر كان شرفًا يتألق على صفحة الهواء اللازوردي يجثم الآن على كتفيه في انتظار سفرات جديدة.

وفي أوج فرحه شعر بالانقباض من تفاهة نفسه، وبالكاد جرؤ أن يلقي نظرة على الطير، وأحس بالألم في قلبه بأنه لن يستطيع أن يشاركه في أفراحه مطلقًا، وأن نظرته لن تلين أبدًا عند رؤية سيده. وركض إلى أرض الأحلام.

اضطجع على الأرض المنثورة بالأعشاب والخلنج الأحمر تحت رأسه، بينما انسابت الغيوم مجتازة كمصير بني البشر، خفيفة وثقيلة، مركزة في معالم ثابتة، أو مبعثرة في الهروب. يد الريح الخفيفة تخشخش، وراح (رينود) يقص الحكايات على صقره.

رجع الملك (آرثر) ثانية من بحر (برياتي)، وتسلم مرة أخرى سيفه (أكسكاليبر) الأرزق

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كسماء الليل في طقس بارد. ورفع فرسانه الاثني عشر رؤوسهم الثقيلة عن المائدة الحجرية ونفضوا السبات عن أنفسهم، وارتجت الأرض من تحت أقدامهم وكان (رينود) أيضًا هناك، نبيل المولد وجواده يتبختر تحته، والصقر الّذي كان نائمًا الآن منحني الرأس، جثم منتصبًا على يده يصبو إلى نظراته بعينين متألقتين بالفرح وبالشمس الذهبية في الأساطير البطولية.

ولكن الغيوم انسابت مجتازة كأقدار البشر المحتومة تطارد بعضها بعضًا قائمة الواحدة منها فوق الأخرى، وشكلت قوسًا هائلاً من الكتل، حيث نفذت أشعة الشمس وانسكبت من فجواتها صفراء حادة كالسهام، وحلم الصقر أحلامًا حزينة كئيبة عن الغضب العنّين العاجز واستيقظ وهو يزعق.

لمح الصبية المتجولون طير (السر انغوراند) على يد (رينود). فقبض رجال الفارس عليه وساقوه إلى القصر. وانتابته رعشة عندما أخذ الصقر منه لا يبدي حراكًا وكله كبرياء كعهده دائمًا دون أن يلفت عنقه المنحني ودون لمحة من عينيه الهادئتين الباردتين. أخذ الطير إلى سيده، ولكن السيد لم يبد أي عطف نحو محبوب فقده؛ وذلك لأنه سمح لنفسه بأن تلمسه أيد دونه شرفًا ومنزلة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الفلاحون في (باريس)

(ألفونسو دوديه) *

في (شامبروزاي) كان هؤلاء الناس سعيدين هانئين. كان يقع وصيد دواجنهم تحت نوافذي مباشرة، وكانت حياتهم تختلط بحياتي بعض الاختلاط ستة أشهر من السنة. فكنت قبل أن يطلع النهار بوقت طويل، أسمع الرجل يدخل الحظيرة فيربط الدابة إلى العربة، وينطلق إلى (كوربي) ليبيع خضرة هناك، ثم تنهض زوجته فتلبس الأولاد، وتدعو الدجاج، وتحلب البقرة، وما ساعات الصباح بعد ذلك إلّا وابل من خبط القباقيب الغليظة والصغيرة على السلم الخشبي... وبعد الظهر، كان يسكن كل شيء، فالأب في الحقل، والأبناء في المدرسة، والأم مشغولة صامته تنشر الغسيل في الفناء، أو تخيط أمام بابها وهي تلاحظ الولد الأصغر في الوقت نفسه، ويعبر الطريق عابر من حين إلى آخر، فيدير اللسان حديثًا بينما تشد الأنامل الإبرة..

وذات مرة -وكان هذا في أواخر شهر أغسطس- سمعت المرأة تقول لجارة لها:

ـ ماذا عن الـ(بروسيين)[1]؟ هل هم في فرنسا، فقط؟

فصحت بها من نافذتي:

ـ إنهم في (شالون)، يا أم (جان)....

فأضحكها ذلك كثيرًا... لقد كان الفلاحون في هذا الركن الصغير كافرين بغزوة الـ(بروسيين).

على أننا كل يوم كنا نرى عربات تمر محملة بالأمتعة. وكانت بيوت البورجوازيين تغلق أبوابها تباعًا. وفي هذا الشهر الجميل الّذي يطول فيه النهار، أتمت الحدائق أزهارها وهي مهجورة كالحة كئيبة وراء أسوارها الموصدة... وبدأ القلق يساور جيراني شيئًا فشيئًا. كلما نزح من الحي نازح أخذتهم غمة. لقد باتوا يشعرون شعور المهجورين المخذولين... ثم ذات صباح، إذا الطبول تقرع في جهات القرية الأربع! أمر من مكتب العمدة. ينبغي السفر إلى

1) البروسيين: الألمان، نسبة الأرض التي أتوا منها (أرض البلطيق)، وكانت تسمى (بروسيا).

* كاتب فرنسي (0481-7981).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

(باريس) لبيع البقرة، والأعلاف، وعدم الإبقاء على شيء للـ(بروسيين).

رحل الرجل إلى (باريس)، وكانت رحلة حزينة، فعلى الجزء الرصيف من الطريق الكبير، مضت مركبات المهاجرين الثقيلة بنتائج بعضها إثر بعض وقد اختلطت بقطعان من خراف كانت تتخبط بين العجلات، وثيران كانت تخور فوق العربات، بينما مشى إلى جانب الطريق بحذاء الخنادق مساكين راجلون وراء عربات صغيرة ذوات أذرع غاصة بأثاث من طراز العصر الماضي، أرائك ذابلة الوسائد، وموائد عتيقة، ومرايا محلاة برسوم شرقية، وإنك لتحس أي كرب هذا الّذي استطاع أن يدخل البيت فيزيح كل ذلك الغبار، وينقل كل تلك الآثار المقدسة، ويجرها أكوامًا لا حرمة لها في الطرقات العامة.

وعلى أبواب (باريس)، كادوا يختنقون. ولم يكن بد من الانتظار ساعتين، فظل الرجل المسكين طوال هذا الوقت، وقد ضغطه الحشد إلى بقرته، ينظر هلوعًا إلى الكوى الّتي تطل منها فوهات المدافع، وإلى الخنادق المترعة بالماء، وإلى الحصون القائمة مدى البصر، وإلى شجر الحور الإيطالي الباسق مخبوطًا ذاويًا على طرف الطريق... وفي المساء رجع من هناك مرتاعًا يروي لزوجته كل ما رأى، فجزعت الزوجة، وأرادت أن ترحل منذ الغد ولكن من غد إلى غد كان يحدث أن يرجئ السفر دائمًا... فاليوم حصاد ينبغي أن يتم، واليوم قطعة من الأرض مازالوا يرغبون في حرثها.

وذات ليلة يوقظهم انفجار عنيف. لقد نسف جسر (كوربي). وإذا رجال يطوفون بالحي يقرعون الأبواب من بيت إلى بيت: "الفرسان! الفرسان! لوذوا بالفرار."

فيهبون في هرع وعجلة، ويربطون الدابة إلى العربة، ويلبسون الأطفال وهم نصف ناعسين، ويفرون مع بعض الجيران متخذين مسلكًا ضيقًا قصيرًا.

وعندما تسنموا السفح، دقت الساعة الثالثة في البرج. هناك التفتوا مرة أخيرة. إن مشرب البهائم، والميدان، ودروبهم المعتادة، هذا الطريق الّذي يهبط نحو (السين)، وذلك الطريق الّذي ينساب بين الكروم، كل شيء بدا لهم غريبًا ولما ينأوا عنه! وفي ضباب السحر الأبيض كانت القرية الصغيرة المهجورة تضم بيوتًا بعضها إلى بعض كأنها ترتعد من هول وشيك.

إنهم الآن في (باريس). غرفتان بالطابق الرابع في شارع حزين... أما الرجل فمبتئس

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ولكنـه لاينـوء بشـقوته. لقـد وجـدوا لـه عمـلًا، ثـم إنـه مـن الحـرس الأهلـي، ولديـه المتاريـس، والتدريـب، وإنـه ليتلهـى مـا اسـتطاع إلـى اللّهـو سـبيلًا ليتسـنى مخزنـه الخـاوي ومروجـه الّتـي تنتظـر البـذار. وأمـا المـرأة فمستوحشـة مفجوعـة تضيـق بأمرهـا ولاتـدري مـا المصيـر. لقـد وضعـت بنتيهـا الكبيرتيـن فـي المدرسـة، والصبيتـان فـي تلـك المدرسـة الخارجيـة العاطلـة مـن حديقـة تختنقـان إذ تتذكـران بيتهمـا الريفـي الجميـل الصائـت المـرح كخليـة النحـل، والطريـق الّـذي كانتـا تقطعانـه إليـه كل صبـاح خـلال الغابـة. وتتألـم الأم إذ تراهمـا مكتئبتيـن واجمتيـن، ولكـن الصغيـر هـو الّـذي يقلقهـا فـوق كل شـيء.

هنـاك كان يذهـب ويجـيء، تابعًـا إياهـا إلـى كل مـكان، إلـى الفنـاء، وإلـى البيـت واثبًـا وراءهـا درجـة الأسـكفة كلمـا عبرتهـا هـي، غامسًـا فـي دلـو الغسـيل يديـه الصغيرتيـن المحمرتيـن، وجالسًـا قـرب البـاب حيـن تشـتغل بالإبـرة لتسـتريح. إن هنـا طوابـق أربعـة عليـك أن تصعدهـا، وسـلمًا مظلمًـا تتعثـر فيـه قدمـاك، وجـذوات صغيـرة فـي مدفـآت ضيقـة، وأفقًـا مـن الدخـان الرمـادي و(الأردواز) البليـل....

ومـن الحـق أن هنـا فنـاء فيـه يسـتطيع الصغيـر أن يلعـب، ولكـن البوابـة لا تريـد. هـو ذا اختـراع آخـر مـن اختراعـات المدينـة، هـؤلاء البوابـات! أمـا هنـاك فـي القريـة، فـكل امـرئ سـيد بيتـه، ولـكل امـرئ ركنـه الصغيـر الّـذي يحـرس نفسـه بنفسـه. طـول النهـار، يظـل البيـت مفتوحًـا وفـي المسـاء يدفـع المـرء متراسًـا غليظًـا مـن الخشـب فينغمـر البيـت كلـه بـلا خـوف فـي ليـل الريـف هـذا الأسـود الّـذي يجـد المـرء فيـه إغفـاء عميقًـا طيبًـا. وبيـن الحيـن والحيـن ينبـح الكلـب إلـى القمـر، ولكـن أحـدًا لا يضطـرب... الحـق إن (البوابـة) فـي بيـوت (باريـس) الفقيـرة هـي مالكـة البيـت. والصغيـر لا يجـرؤ علـى النـزول بمفـرده.

ولكـي تلهـي الطفـل الّـذي أصبـح ضائقًـا بحياتـه، لـم تعـد المـرأة المسـكينة تـدري مـاذا عسـاها أن تبتكـر، فمـا يـكاد ينتهـي الطعـام حتـى تدثـره كمـا لـو كانـا خارجيـن إلـى الحقـول، وتنزهـه مـن يـده فـي الشـوارع الصغيـرة والشـوارع الفسـيحة، والطفـل مقبـوض عليـه، مصطـدم، تائـه لا يـكاد ينظـر حولـه... هـو لا يعنيـه إلّا الجيـاد، فهـي الشـيء الوحيـد الّـذي يتعرفـه والشـيء الوحيـد الّـذي يضحكـه. والأم أيضًـا لا يروقهـا شـيء، فهـي تسـير بطيئـة شـاردة الذهـن تفكـر فـي أرضهـا وبيتهـا. وإذا رأيتهمـا يمـران معًـا، هـي بمظهرهـا الكريـم، وزيهـا النظيـف، وشـعرها المرسـل، والصغيـر بوجهـه المسـتدير و(مركوبـه) الغليـظ، فستحسـب أنهمـا مغتربـان، منفيـان وأنهمـا يفتقـدان فـي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حسـرة هـواء طرقـات القريـة اللافـح وعزلتهـا الضافيـة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بغلة القاضي

(ألفونسو دوديه) *

_1_

[1]في أثناء إقامتي في الجزائر، تعرفت إلى عربي بعيد الصوت، هو (سيدي بو علم)، وقد أحضرته منذ وقت قصير مركبة "بليدة".

وكان (سيدي بو علم) شخصية جديرة بالتقدير، إذ إنه يحمل لقب "الباش-آغا"، ورتبة القائم مقام، ووسام قائد الفرقة، ويملك أراض شاسعة في "الشليف" وكمية من (الدورو)[2] ممتازة، فهو خير مثل "للباش آغا" الكريم، ولم يكن أحد يبزه في ارتداء البرنس الأسود المنسوج من وبر الإبل، ولم يكن أحد يفوقه في جلال المشية أو اتئاد الحركة، وكان قليل الكلام، يجهل اللغة الفرنسية تمام الجهل. وكان (بو علم) يجهل كم عساه قد بلغ من العمر؛ فإذا جد في الاستقصاء خُيل إليه، هذا (الباش آغا)، إنه يوفي الستين، ولكن يلوح لي أنه كان يضيف إلى سنه خمستين من الأعوام أو ثلاثًا. ولقد أحرقت إهابه شمس الجنوب الحارة، وأتربة الجنوب الثافية، وريح الجنوب اللافحة؛ وكمنت عيناه السوداوان البراقتان تحت حاجبين رماديين كثيفين؛ وبرز فوه كأنه الخطم تحت لحية شرسة قصيرة؛ كان يبدو لي أنه متوحش، فالتوحش خلق يناسب شخصية (الباش آغا).

وكنت ألقى (بو علم) كل مساء، في ميدان الحكومة، ساعة الطراوة والموسيقا؛ فيقول لي، في جلال، بصوته الدفين: "بوجور، كيف حالك؟"، وكانت "بوجور، مارسي، جافي"[3] هي أقصى ما استطاع الرجل المسكين أن يحفظ، وكنت بدوري أبادره ب "سلام عليك" على طريقة فرنسية جدًا، ونمشي بخطى وئيدة فندور الميدان عدة دورات صامتة، ثم أتركه يعود وحده إلى المدينة العربية، ونفترق وكل منا مبتهج سعيد بصاحبه، وبعد نزهات ثمانية من هذا النوع، صعد (بو علم) في مركبة بليدة وأبلغني علي -علي الصغير، غلام السوق

---

1) هذه قصة، أو مجموعة لوحات، من ريف بلاد المغرب، لم تظهر في أثناء حياة دوديه في كتابه "رسائل من طاحونتي"، وقد نشرتها (باريس) للمرة الأولى سنة 0391 أي بعد وفاة الكاتب بثلاث وثلاثين سنة.

2) الدورو: عملة من النقود الإسبانية.

3) تحريف للكلمات الفرنسية: "طاب يومك، شكرًا، قهوة".

---

* كاتب فرنسي (0481-7981).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

المغربي- أنه سينتظرني الأيام المقبلة في قبيلته، قبيلة "جندل".

وفي الوقت نفسه تقريبًا، دُعيت لتناول شرائح ممتازة من اللحم على مائدة "إيمانويل " وهو مواطن من بلدة "مليانة" الصغيرة الوادعة. وكان (إيمانويل) يقوم بتجارة ضخمة للغلال مع العرب؛ وكان يتكلم لغتهم كلامًا لا بأس به، ويتمتع بمكانة شعبية عظيمة في أسواق جميع أقاليم الجزائر. ولما رويت له أمر صلتي بسيدي (بو علم) -أغنى عملائه الوطنيين- اقترح عليَّ أن يصاحبني إلى الجندل منذ الغد؛ فقد كان بو علم يقطن على بعد اثني عشر فرسخًا في السهل، وتلك المسافة خليقة بأن تستغرق سبع ساعات إذا قطعناها بجوادين قويين، وهنا قاطعت مضيفي، واعترفت له والحُمرة تصبغ وجهي أنني لا أركب الجياد.

دفعه هذا الاعتراف إلى الابتسام.

ـ كيف، أيها "الرومي"؟..تريد أن تجوب أفريقيا، وتجتس بعض الحياة العربية، وأنت لا تعرف أن تمسك نفسك فوق حصان!

ـ عفوًا، أنا لم أطمع يومًا في دراسة الأخلاق والحياة العربية؛ لقد علمتني كتب "أوجين فرومنتان"من ذلك ما كنت أريد أن أعلم، بل وعرضته في أجمل لغة في الدنيا إنما أتيت لأصطلي في شمسكم فحسب!

وتركني (إيمانويل) أقول.

فخطبت أسأل في حياء: والمركبات؟

ـ صحيح أن المركبات تصل بين بلدة وأخرى، شر وصل، ولكنها على ذلك لا تذهب من كوخ إلى كوخ.

ـ إذن فلأزهد في "كسكسي"سيدي (بو علم)!

ـ سنرى ذلك صباح غد؛ نم مبكرًا على كل حال، وانهض مع الفجر.

وفي الغد، عندما نزلت من مخدعي، وجدت (إيمانويل) في وسط الغرفة، مرتديًا ملابس ركوب الخيل، فاخرًا رائعًا.

ـ هيا إذن أيها الكسول!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فنظرت إليه مشدوهًا.

ـ بسرعة! الإفطار ثم نرحل!

ـ وأنا، كيف عساني أن أفعل؟

ـ لا تنبس بكلمة أخرى، لنفطر.

وحين غادرت المائدة، كان ينتظرني المشهد الآتي في الشارع.

_2_

كان جواد صغير أسود لامع، يصهل من الفرح، ويدير نحو (إيمانويل) رأسه الجميل المربدَّ. وكان عربيان واقفان في ناحية باحترام، لا ينتظران إلّا إشارة منا حتى يستنهضا مطيتيهما المربوطتين إلى سياج الحديقة. وفي وسط الشارع كان الفتى ميمون، في ثوبه القشيب المخطط خطوطٌ سوداء وبيضاء، يمسك في عنانها بغلة قوية الشكيمة، وقد أسرجت وازَّيَّنت كأنما أعدت لكي يتبوأها البابا. فعلى صهوة الدابة ارتفع سرج ضخم أصفر وأحمر أعلى من برج؛ وإلى كشحيها تدلى ركابان عربيان عريضان من هذه الركابات التي تتوارى فيها القدم، كانا يتراقصان ويوقعان صوتًا من جرس الحدائد.

وقال لي مضيفي وهو يصطحبني إليها:

ـ هي ذي مطيتك؛ إنها بغلة قاضي "مليانة" دابة فاخرة، لم يركبها صاحبها إلّا قليلًا، وديعة كالحمل، وإن القاضي يستخدمها في الذهاب إلى حديقته المغروسة عند أبواب المدينة أو في النزول إلى الضريح الصغير الّذي تلمحه هناك في السهل؛ فهي معك إذن تقوم برحلتها الأولى. إن السرج لوثير كمقعد من مقاعد الصفوف الأمامية في المسرح. لله درك حين تستوي عليه! هيا!، هوب! تسنم، ضع قدمك في الركاب؛ قدمك اليسرى لا هذه... أمسك يا ميمون البغلة... أوف!

وهأنذا إذن مرتبك بعض الشيء إذ أحس نفسي على هذا الارتفاع، فوق قمة هذا البيت الّذي يمشي. ويمتطي (إيمانويل)جوادًا، ويفعل العربيان مثله.

ويصيح بي ميمون:

ـ تماسك يا سيدي.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إننا الآن في الطريق، السماء رمادية، والجو ثقيل. نهار حار من أيام يناير الأفريقي.

وسأصف، في غير هذه النزهة، ما يلقى المرء من بلاد رائعة تطالعه إذا نزل من (مليانه): تلك الوديان الشاسعة وخضرتها الّتي تنهار انهيارًا، تلك الغابات من السرو والخروب والزيتون البري الّتي تنحط إلى أعماق فواحة، كل هذه الكسوة النباتية العاتية العجيبة ترويها في خرير ساحر مئات الينابيع الصغيرة. وأما اليوم، ومثلي مثل (سانشو): دابة وجبان، فلست أرى أبعد من أذني بغلتي. والحيوان الرهيب، في عناد يخيفني، يتبع بكل تدقيق شفا الأغوار والمستنقعات، مترسمًا أصغر عروق الأرض، دائرًا مع أقل ارتفاع أو انخفاض. وعبثًا أجاهد لإعادته إلى وسط الطريق ووضع حد لهذه الرياضة الخطرة، فما يفلح في ردعه شيء، لا الدعاء الهادئ، ولا الضرب. لابد إذن من الإذعان، لابد من التشبث بالسرج وإغماض العينين... وفجأة تنحرف بغلتي، وتندفع إلى يمين، وتتخذ منحدرًا شذيًّا، تحت مهد صغير من أزهار الغار، وتخطفني راكضة لا أدري إلى أين. وقسمًا، لو لم يدركنا أحد العربيين، ويأخذنا من مقودنا، ويردنا إلى سواء السبيل، لما زلنا نركض للآن. وأعود إلى (إيمانويل)، فإذا هذا الرجل الّذي لا قلب له يتلوى من الضحك فوق حصانه الصغير. وفي كلمتين شرح لي الأمر: إن هذا الّذي ظننته هروبًا لم يكن إلّا تحية من مطيتي الّتي كانت تريدني أن أجتس شيئًا من تين "الباربـاري" الممتاز ولذلك اقتادتني إلى بستان القاضي في أرشق خطو لها. بيد أنها، منذ أن سيرت على الطريق السوي، استأنفت في هدوء عملها ألا وهو تتبع الخطوط المشرفة على الوديان، حتى بلغنا السهل.

وهنا أيضًا كان علينا أن نعاني بعض المشقة في منعها من أن تميل نحو ضريح صغير بدت صورة جانبية لقبته على الأفق. وقد نالني جزائي من الرفس، ولكن البغلة بعد ذلك مشت مستقيمة أمامها، هائمة على وجهها، وديعة مستسلمة، خفيضة الأذن، يا للبهيمة المسكينة! لقد كانت تظن حتى ذلك اليوم أن البغال لا تمضي إلى أبعد مما طرقت من الأرض، وأن العالم ينتهي عند المحراب القائم هناك بجدرانه البيضاء.

_3_

لأول وهلة، ذكرني سهل الشليف الّذي دخلناه ببعض مناظر جنوب فرنسا. إلى اليسار، كانت بعض التلال الصلعاء؛ وإلى اليمين، كانت أراض شاسعة محترقة، ومن بعيد إلى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بعيد، خمائل ممتقعة من شجر الزيتون البري؛ وفي كل خطوة، أقزام من النخل ترتفع على أديم الأرض سعفها المدبب كأنها تقلد الحيوانات البرية الشائكة الظهور. وفوق هذا كله سماء رصاصية، رمادية في ذلك اليوم، ولكنها زرقاء في العادة.

وأحيانًا، عند أقدام التلال الممتدة إلى اليسار، يلمح الناظر جيادًا عجافًا مربوطة إلى أوتادها أمام خيمة سوداء صغيرة مصنوعة من وبر الإبل، وعلى بعد منها يرى ثورًا، أو حصانًا، أو بغلة، أو حمارًا، في بعض الربوع، مجهري الحجم، يجر محراثًا بدائيًا جدًا، تحدوه دعاءات حنجرية تند عن عربي في زي فلاح من فلاحي فرجيل. ومن حين إلى حين يمضي فرخ من طيور السلوى، وقد أثقله الحر، بين سيقان دوابنا... ولقد سارت قافلتنا الصغيرة في سكون مطبق، تنوء بما أبهظها به الجو من ثقل؛ ومضى (إيمانويل) يلعب بحصانه. وأما أنا، فكنت مزهوًّا وادعًا فوق بغلة القاضي، أدع عقبي ترقصان على بطنها انفراجًا وانضمامًا، وأنا أتسمع مئات الأصوات الغامضة الّتي تنساب في السهل، صوت الأرض تتشقق من الحر، صوت قطيع يثغو بعيدًا، أو أغنية راع عجيبة، فما أدري أية نشوى مجنونة أخذت تغشيني بضبابها شيئًا فشيئًا... يا للذة؛ لقد كنت أحس شعورًا لا يحويه تعبير من حب الأمانة والعدالة يولد في نفسي؛ وأضحيت فجأة وبي نفور من الشر لا أجد له وصفًا، وطاف أمام عيني موكب من هفوات الأمس ونقائضه، موكب خطاياي الّتي اقترفتها كل يوم، المصافحات اليسيرة، التحيات الهينة، بسمات المجاملة، ونافلة الخبث، والكبرياء الحمقاء، فحاسبت نفسي حسابًا عسيرًا وأدنتها، غير رحيم بها. تراني وقد استويت على السرج الأصفر الأحمر الّذي اعتاد أن يستوي عليه القاضي الطيب، ورثت من قداسته ومن حكمته، وكأني بلحية لي تنمو طويلة بيضاء، وكأني ببطني يستدير وأكاد أحس قربوس السرج يضايقه، آه! أيها الولد الشقي، كم من مرة جبنت في الخير وكم من مرة تجاسرت في الشر! لو دعاك محمد في هذه الساعة..

وإذا (إيمانويل) يهيب بي فجأة:

ـ ألا خذ حذرك، أيها المذهول!

ولقد أدركني في الوقت المناسب؛ فلوخطت بغلتي خطوة واحدة لتم دخولها الجليل الوقور قهوة مغربية قائمة وسط الطريق. ولا تثيرنّ كلمة القهوة في نفوسكم فكرة المرايا

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والزخارف الذهبية، والأرائك القرمزية، والغلمان في مآزرهم البيضاء، وقطع السكر الغليظة منصوبة فوق صينية نحاسية صغيرة... لا شيء من هذا قط! وإنما كوخ قذر من القش قد سوده الدخان؛ وفي ركن من الأركان- أمام تنوره- صانع القهوة، واقف نصف عار، ولونه كالبن؛ وعلى حصائر ممزقة، أربعة خمسة من العرب قد جلسوا القرفصاء يحتسون القهوة في سكون؛ وأمام الباب صبي يرتدي الأسمال يغسل الأقدام في ماء آسن؛ ونحو من عشرة نعال صفراء - وعند العرب يخلع المرء حذاءه تأدبًا، كما نخلع نحن القبعة - وبعض الجياد وبعض الحمير ترتع كيفما شاءت.

تلك هي الصورة الصادقة لقهوة مغربية في سهل الشليف. ويأمر لنا (إيمانويل) بالقهوة، أحسن قهوة شربتها في حياتي، ثم يلاحظ أنني جوعان، فيندهش لذلك -فإنهم لا يجوعون أبدًا في أفريقيا- ويطلب لي رغيفًا طريًّا صغيرًا، لم يخبز بخمير، محفوظًا منذ ثلاثة أشهر تحت القش ومعطرًا (باليانسون). وترد إليّ قواي هذه الوجبة الممتازة ثم نستأنف سيرنا.

_4_

الحر شديد دائمًا، والسماء مشحونة دائمًا. سحب ثقال على ارتفاع خفيض جدًا، تكاد تجري فوق رؤوسنا؛ والدواب تجأر من العطش... وأخيرًا ها نحن أولاء في أطراف الشليف، ولما كان منوطًا ببغلتي أن تستطلع الطريق، فقد فهمت خطر مهمتها، وإذا هي تذهب وتجيء، وتشتم النهر، وتتردد، وتدور دورتين، ثم (فليك! فلوك)! تخوض الماء بكل عظمة حتى يغمرها إلى منتصف كعبها. وهنا، لشدة فزعي، تتوقف، وتمد عنقها، وتهز جبينها في فتوة - وأود أنا أن أصيح مستغيثًا -وأخيرًا تأخذ في الشراب، وما أدراك ما الشراب... لنتحدث قليلًا عن الشليف. سينبئك الجغرافيون أنه أهم مجرى من الماء في أفريقيا الفرنسية، وأن منبعه في هذا المكان ومصبه في ذلك المكان؛ أما أنا، فحسبي أن أقول لك إنني لا أعرف شيئًا نزقًا مثل هذا النهر. شيء يسير جدًا خليق بأن يثيره، ولكنه يقر لشيء أيسر. لقد عرفت له أيامًا هادئة كان ينساب فيها على مهل بين ضفتيه، وغدوات من الغضب كان يقلب فيها بين عبابه أطرافًا من غابات وأجزاء من صخور، وينحر في غير رحمة المحاصيل المسكينة الّتي لا تؤذي أحدًا. أما اليوم فالسيدة هادئة الطبع، رضية الخلق، وإن بغلتي لتستطيع، وقد ارتوت -آخر الأمر- أن تعبر دون عائق إلى الضفة الأخرى.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

نحن نخترق في هذه اللحظة مرتفعًا عظيمًا، ينعقد عليه كل أسبوع سوق الجندل، تحت إشراف صديقي (بو علم)؛ ويقوم في أقصاه محط القوافل بجدرانه الطويلة. ومرة ثانية نعبر الشليف، وقد هبط النهار، إلّا أنه لا يصحبه من الشفق الوردي الرائع مثلما رأيت مرارًا في أفريقيا...

وإنما يحول لون السماء الرمادي إلى أسود؛ ويبرد الهواء، ويتلف المشهد في الضباب؛ يا له من نهار ضائع! وتسير جيادنا الهوينى في أراضٍ محروثة؛ فلقد مر المحراث بكل موضع، والطريق نفسها قد حرثت عفوًا...

ويدلف بالقرب منا في الظلام عرب عائدون من العمل يطاردون أمامهم الحمير والأحصنة، وكل زمرة إذ تمر تحيينا بعبارة جرارة لا تتغير، تنغمها نغمة واحدة لا تتغير. وسرعان ما نلقى أدغالًا كثيفة من الصبار شاهرة الخناجر؛ يسمو من ورائها عود دخان، ونباح كلاب، وصياح أطفال، وحديث نسوة. ها نحن أولاء في وسط القبيلة العربية. وأخيرًا، على بعد مائة خطوة منا، فوق الربوة إلى ارتفاع ما، ألمح عربة عظيمة لا نوافذ لها؛ إنه قصر سيدي (بو علم)، وتتقدم صوبنا مجموعة من البدو؛ ويكتنفنا القوم، وينزلني من أعلى بغلتي رجلان. ويقبل علي الصاحب (بو علم) وهو يبتسم في برنسه الأسود:

ـ (بونجرو)، كيف الحال؟

فأجيبه: سلام عليك، فيقنع بها ونتجه نحو الدار.

_5_

لم يكن الجناح الّذي أدخلني إليه الرئيس فاخرًا باذخًا كما وصفوه لي، وجدت قاعة طويلة قاتمة جدًا، وبدلًا من طنافس أزمير، وجدت حيطانًا ظنينة البياض؛ وبدلًا من الأرائك والنمارق المطرزة، وجدت حصائر من القش الغليظ. وجدت ضابطًا فرنسيًّا جاء للصيد ونزل عند (بو علم). وكان أتباع الضابط من الفرسان الجزائريين ينظفون أسلحته في ركن من الأركان، وفي ركن آخر، كانت كلابه تلعق حساءها في نهم، وكان سريره السفر منصوبًا في أقصى القاعة، وخرجه معلقًا إلى اليمين، وبندقياته إلى اليسار؛ وفي السقف، مسبحة لا نهاية لها من السلوى والحجلان، هي نتاج صيده في اليومين السابقين؛ لقد كان "نمور" كما يرى الناظر، يحتل في الدار مكانة بسعة وبحبوحة... أقطع من الأرض إذن اثني

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم - دولة الإمارات العربية المتحدة

عشـر فرسـخًا دون توقـف لكـي تـزور بيتًـا عربيًّـا! وشـهد (إيمانويـل) عجبـي الأليـم. فقـال لـي:

ـ اطمئـن. إننـا لـم نبلـغ بعـد محـلات (البـاش آغـا) الصغيـرة. وهـذه هـي دار الضيـوف. إن سـيدي (بـو علـم) يأسـف لاسـتقبالك هـذا الاسـتقبال البـارد؛ ولكنـه لـو أدخلنـا بيتـه هـذا المسـاء، لاضطـر إلـى أن يدخـل فـي الوقـت نفسـه مسـيو نمـرو بفرسـانه وكلابـه وصيـده. غـدًا صباحًـا، عقـب خـروج الضابـط للصيـد، سـنذهب لتنـاول الشـاي فـي السـراي.

يـا طالمـا لاحظـت فـي أثنـاء جولاتـي فـي أفريقيـا أن الخويـذة ذات الأشـرطة الذهبيـة تـروع أهـل البـلاد كثيـرًا، وتوقـر فـي نفـوس الجميـع احترامًـا يتخللـه شـيء مـن الرهبـة، ولكنـي قلمـا رأيـت ضباطنـا البواسـل ينزلـون بمنـزل الألفـة الحميمـة مـن قلـوب العـرب؛ ومـع ذلـك فمعظمهـم يظهـرون أنهـم قليلـو الحـرص علـى هـذه الخطـوة.

وريثمـا يتـم إعـداد العشـاء، قـدم القـوم إلينـا القهـوة تحـت سـقيفة أمـام دار الضيـوف، ومـن هنـاك رأيـت بيـن الضبـاب الشـفقي، نحـو عشـرة مـن العـرب قـد سـاروا صفًـا، يتقدمـون نحونـا، كموكـب مـن المذنبيـن فـي لباسـهم الرمـادي. كان المذنـب الأول يحمـل، علـى طـرف خشـبة طويلـة، خروفًـا مشـويًا؛ يمشـي وراءه مذنـب ثـان معـه خـروف ثـان علـى رأس خشـبة طويلـة ثانيـة؛ وأمـا الذيـن يتبعونهمـا فقـد كانـوا رافعيـن فـوق رؤوسـهم أطباقًـا عريضـة ينبعـث منهـا البخـار. وعلـى الرغـم منـي، تذكـرت الفحـل "بوالـو" وبـذخ مآدبـه الجامعيـة.

كان العشـاء غزيـرًا منوعًـا: خـروف مشـوي، خـروف بالحسـك، خـروف بالفـول، خـروف بالبـازلاء الغليظـة، خـروف بكـرات اللحـم، والـكل متبـل كنـار الشـيطان، وفـي الختـام جفنـة مـن الخـزف زاخـرة بالكسكسـي المحلـى بالسـكر. وهـذا اللـون الأخيـر، وقـد أشـرب لبنًـا ومرقًـا، ليـس بالغـذاء الممجـوج. وأمـا غيـاب الملاعـق والشـوك، فأعتـرف أنـه أمـر لـم أشـفق منـه إلّا قليـلًا، وأن الأكل بالإبهـام والسـبابة بـدا لـي أيسـر شـيء فـي الوجـود. وقـد أداروا علينـا بـدل الشـراب، قبـل الطعـام وبعـده، إبريقًـا كبيـرًا مـن لبـن البقـر. وبينمـا كنـا نـأكل كان الأغـا (بـو علـم) -وشـرائع الضيافـة العربيـة تحـرم عليـه أن يقعـي إلـى مائدتنـا- يتكـرّم أحيانًـا بـأن يغـرف لنـا هـو نفسـه بأصابعـه العظيمـة السـمراء. ولقـد كانـت المأدبـة، بـلا مـراء، مأدبـة حزينـة؛ فمـا كاد الضابـط الفرنسـي يتكلـم؛ وكان (إيمانويـل) وبـو علـم يتحادثـان بالعربيـة؛ والفرسـان الجزائريـون يغطـون فـي طـرف القاعـة الآخـر؛ وكنـت أنـا، وقـد أسـكرني التعـب، أعشـو إلـى الكسكسـي المحلـى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والخراف المحوطة بالفول، وكأني أرى بوارج في البحر وسط نوء غليظ.

_6_

ونحو الساعة الثامنة، نهض (الباش آغا) على قدميه، وقادنا خلال حدائق شاسعة مليئة بكلاب يبدو الشر على وجوهها، إلى (كشك) صغير من طراز فرنسي-عربي، حيث كان علينا أن نقضي الليل. غرفة فسيحة مربعة، عالية السقف، وجدران عارية مبيضة حديثًا، تنفتح فيها خمس أو ست كوى، وأربع أرائك، كل أريكة منها في خدر؛ وسراج صغير من النحاس الأحمر، موقد على الأرض يتوسط القاعة، تلك كانت غرفة نومنا.

وبعد أن شرب من القهوة قدحًا أخيرًا، تمنى لنا (بو علم) ليلة طيبة، واستعاد نعليه عند الباب ومضى يتعشى. وأما نحن، وقد انطوينا في أغطية حمراء كبيرة، فقد حاولنا، ولكن دون جدوى، أن نغمض أعيننا، كانت الرحلة والتوابل والقهوة المغربية قد ألهبت دمنا، وما انفكت تطرده بهياج في عروقنا، وسرعان ما اجتاحتنا حكة عاتية أخذتنا من شعر الرأس إلى أخمص القدمين.. وفي الخارج كانت بنات آوى تعوي كأنها الكلاب الصغار، وكانت الضباع تجعر. وباتت "السلوقي" (كلاب عربية) تجيبها في ثورة؛ ومن حين إلى حين، لست أدري أي جعر عجيب، غامض، أجل صوتًا، وأشد كظمًا، بات يسود هذه اللحون من جوقة الشياطين؛ ولسوف أذكر دائمًا تلك الليلة الليلاء، ليلة من الحمى والأرق لا آخر لها.

_7_

وفي الفجر -وقد عجزنا عن الصمود إلى أبعد من ذلك الأمد- أردنا أن نلوذ بالمقهى المغربي، ولكن لم يكن صاحب القهوة قد استيقظ إذ ذاك، فلم يكن بد من أن نؤم -على مسيرة نصف فرسخ من هناك- بيت سيدي بغدادي، شقيق سيدي (بو علم)، لعل صناع القهوة به أن يكونوا أقل كسلًا منهم لدى (الآغا)، وقد لقينا، في الحدائق، في الأفنية، وتحت السقائف وتحت الأروقة، الحشم العرب نائمين في الهواء الطلق متدثرين ببرانسهم الصوفية. وسرعان ما أسفر الصبح، ومع الصبح الطالع هبت نسائم صغيرة طردت كالقش ما كان بنا من حمى الليل الخبيثة، ومن أقصى بستان البرتقال الّذي يملكه بغدادي، بينما كان القوم يصبون لنا قهوة عربية ممتازة لذيذة، كنا نشاهد في مقة جنيّة الفجر "أورور" تضحك وتلعب أمامنا. وكان الأفق أخضر تصبغه خضرة باهرة يحوطها الشفق الوردي، وكنا نرى في

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هـذا اللـون الأخضـر الحلـو أشـجار البرتقـال ذوات الثمـار العقيقيـة، وبيـوت (الآغـا) البيضـاء، تسـبح مختلطـة غيـر جليـة، علـى حيـن كان العـرب فـي ملابسـهم الخضـراء يتسـللون فـي صمـت بحـذاء الجـدران. وبالقـرب منـا، كانـت ترقـص فـي ريـح الفجـر البـاردة شـجرة زيتـون عريقـة، تشـبه أشـجار "نويـل" عندنـا، هـازّة أغصانهـا المحملـة بصفائـح براقـة مزركشـة، وبأذيـال برانـس، وركابـات عريضـة، وأسـورة حديديـة، وداليـات مـن المرجـان، وغيرهـا مـن معلقـات النـذور الّتـي تشـهد بالـورع العربـي.

وحيـن رجعنـا متيممين دار الضيـوف، كانـت الـدار متألقـة نابضـة الحيـاة. كان سـيدي (بـو علـم) جالسًـا علـى أسـكفة البـاب يحسـو قهوتـه الثامنـة. وكان الخـدم يقبلـون مـن كل فـج يـؤدون لـه تحيـة الصبـاح، فيأخـذ الواحـد منهـم بعـد الآخـر فـي كفيـه العريضتيـن رأس (الآغـا) ويحـط قبلـة طويلـة علـى تاجـه المجـدول مـن حـل الإبـل. وكان (الآغـا) الطيـب يتلقـى هـذه التحيـات بعـدم اكتـراث هـو آيـة فـي الأدب.

وفـي أثنـاء مراسـم هـذا الاحتفـال بتقبيـل الـرأس، اصطحبنـي (إيمانويـل) لزيـارة السـجون، ولـم تطـل زيارتنـا. لا بوابيـن، ولا حـراس، بـل مـا كان البـاب موصـدًا... ولمحـت وجـارًا رهيبًـا مظلمًـا عفنًـا، حظيـرة حيوانـات أكثـر منـه سـجنًا، وفـي هـذا الوجـار قائمًـا إزاء الحائـط، بدويًّـا ترك نفسـه فـي فلسـفة للهـوام تقرضـه.

سأل (إيمانويل) بالعربية:

ـ لماذا أنت هنا؟

ـ لست أدري... إنه سيدي (بو علم) الّذي قال بذلك.

ـ فأي ذنب جنيت؟

ـ لست أدري.. لقد رددت (للباش آغا) حصانه وبندقيته لأني رغبت عن الخدمة.

ـ ولماذا ترغب عن خدمة(بو علم)؟

ـ لست أدري.

ـ أنت تفضل إذن أن تعفن حياتك كلها هنا، في قعر هذا المكان؟

ـ اللّه وحده يعلم...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لست أدري، اللّه وحده يعلم؛ لم نستطع أن نستخلص منه شيئًا أكثر من ذلك.

قال لي(إيمانويل):

ـ لندعه هادئًا، إن هو إلّا قاعد كسول سيرد الظلام والصوم إليه رشده عما قليل.

وسألت وأنا أبتسم:

ـ وهل يظل هذا الباب مفتوحًا دائمًا؟

ـ دائمًا على وجه التقريب، ولكن هذا الصعلوك الغريب الأطوار يحذر كل الحذر من استغلاله، فإن فارسين من فرسان الآغا قمينان بأن يلحقاه، إذا هو حاول الفرار، قبل أن يقطع نصف فرسخ في السهل، وإنه لهروب خليق بأن يكلفه ثمنًا فادحًا.

وفي هذه اللحظة، مر أمامنا الضابط بفرسانه وتوارى، وهو يصفر لكلابه، وراء خميلة من شجر التين. وما أدار عقبيه حتى نهض (بو علم)، ونفض غليونه، وأشار لنا أن نتبعه.

عبرنا في عجلة وإهراع سلسلة من الأفنية الصامتة، ولكني لسرعة سعينا، لم أستطع أن ألقى إلى يمين وإلى يسار إلّا نظرة خاطفة. جدرانًا بيضاء صفيقة جدًا، وأبوابًا سرية صدئة جدًا، وكوى يدججها الحديد، أقسم لك يا صديقي الممتاز (بو علم) أني ما رأيت شيئًا سواها. لا شيء، بل ولا ذراعًا صغيرة عارية في لون العنبر الأصفر قد اتكأت غير عامدة على طرف النافذة العتيقة، بل ولا ظفرًا أحمر قد صبغته الحناء، ولا هدبًا.

وفي نهاية هذه الأفنية، أدى بنا سلم عجيب مؤلف في غير انتظام من درجات ضخمة وأخرى صغيرة إلى باب مكسو من أسفله إلى أعلاه بأزرار غليظة بيضاء ووردية. وكان ينبغي لكي ينفتح الباب، مس أحدها، مس زرّ واحد من بين جميع هذه الأزرار.

قال (بو علم) (لإيمانويل): ابحث!

فجرب هذا أربعة منها أو خمسًا؛ بيد أنه رفض أن يواصل التجربة، فقد كان من سدادات الأباريق تلك ستون على الأقل.

ورفع (بو علم) كتفيه قائلًا:

ـ ومع ذلك، فالأمر بسيط جدًا، انظر!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ولمس في تؤده، مزهوًا بأن يصحح للفرنسيين أخطاءهم، الزر السري، المعروف لديه منذ تاريخ طويل. وكان هذا الباب العجيب ينفتح على نحو اثني عشر غرفة استقبال منمنمة، خفيضة جدًا، ضيقة جدًا، مظلمة جدًا معطرة عنيفة العطور. وبدرت جدران وسقوف علب الحلوى هذه الشرقية، وقد قسمت معينات شتيتة الألوان، كأنها رقع شطرنج عريضة لونت ألوانًا زاهية. وكانت مبسوطة على الأرض طنافس أزمير وتونس، مروجًا حريرية ترصعها نمارق حمراء موشاة بالذهب؛ وكنت ترى في كل ناحية أواني الطيب ذوات الأعناق الفضية تلتمع، ومباخر الأعواد تتوهج، والنرجيلات الطوال تتلوى في الظلمة كالحيات.

وقد خلع (بو علم) على "صالونه" الثاني عشر، وهو أصغرها وأفخرها، فوق هذا كلّه، ساعة حائط ومدفأة.

ـ مدفأة، أيها الإله العادل! وفيم المدفأة؟

وهذا المخدع الأخير هو الّذي كان ينتظرنا فيه شاي باذخ، قد صبته جنيّة خفية في أقداح من بلور (سيفر) الممتاز.

وفي الخارج، من المنفذ الّذي يقوم مقام الشرفة، بدا السهل يترقرق ندى ونورًا؛ وكان الشنيف يتلألأ من الرخاء في الشمس؛ وكانت نسائم الصباح، عاطرة أثقلتها العطور، تصعد إلينا كأنما لتهزأ بكل مترس مغلق وكل سياج مضروب. وفوق طنفستي الأزميرية، بين ملعقتين من ألوان المربى الّتي يشعشعها المسك، عاودت شفتي أغنية (فيكتور هوجو) العتيقة:

"لو لم أكن أسيرة لأحببت هذا البلد...."

وفي تلك اللحظة تجلت الزنجية، وقد لفّت على رأسها عمامة صفراء وارتدت أسمالًا لامعة. دخلت فوضعت أمام سيدها قنينتين كبيرتين من روح الورد وانسحبت في غموض دون أن تفرج شفتيها الغليظتين. وصب (بو علم) في راحتي يدينا قطرتين من الطيب؛ وعلى إثر ذلك نزلنا نتأهب للرحيل.

وفي أسفل السلم، كانت الزنجية المروعة تنتظرنا، مقعية على عقبيها، فقبلت حذاءينا الكبيرين والتأثر بادٍ عليها، حتى إذا أصبحنا في الخارج، أعادت إغلاق الباب محدثة بالقفل صريرًا رهيبًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

_8_

كانت دوابنا قد قضت الليل في الهواء الطلق، معقولات القدمين الخلفيتين كما هي العادة. لقد وجدناها مبتهجة بمعسكرها، مادة مناخرها للريح، رضية الطباع، تشاطرها بغلة القاضي هذا كله.

وبينما كان القوم يرفعونني فوق سرجي، كان (الآغا) قد استقدم فرسًا رمادية فخمة، أصبحت الجياد تصهل حولها من الوله والحب. وامتطى حفيد (بو علم)، وهو صبي في الثامنة، رزين وسيم، فرسًا مثلها. وكان (إيمانويل) يركض على بعد قليل منا فوق شيطانه الأسود الطيب. واصطف وراءنا نحو ثلاثين من العرب، وقد تلببوا كأنما ينبرون للوغى. وفي هذا اليوم بعينه، كان السوق منعقدًا في الجندل، فانتهز سيدي (بو علم)، الّذي كانت واجباته تستدعيه أن يكون في ساحة السوق، هذه الفرصة لكي يخفرنا برجاله.

وقد تركوني في أول الأمر، تأدبًا، أتخذ رأس الرهط، الأمر الّذي استحييت منه بعض الحياء، ولكني بعد خمسين خطوة، توصلت إلى أن أندمج في المؤخرة، ومن هناك، استطعت أن أتذوق المشهد الرائع الّذي غدا أمامي تحت الأشعة المائلة الّتي كانت ترسلها الشمس المشرقة، مضى هؤلاء العرب البهيون، الجليلون المهيبون، يتوارون الواحد بعد الآخر، خلف الصبار كبير الجذوع، ومضت الخيل، حازمة كسادتها، مشرئبة الرؤوس تهز أعرافها. وفجأة، وقد بلغنا الريف الأجرد، تناثر الموكب الطويل، فقد اشتدت حماسة الفرسان، وانطلقت الجياد المنتشية بشعير الصباح تثب كالأعنز، وطارت "الفانطازية" طيرانًا. انقذف سيدي (بو علم) أول الركب يعدو في السهل بلا وعي، واختطف حفيده فرسه من أقدامها الأربع وتوارى في سحابة من النقع؛ وشق العرب الهواء، رافدين فوق مطاياهم، وهم يرسلون صيحات وحشية... ومن بعيد، كان الفلاحون المعتمدون على أيدي محاريثهم يقطعون عملهم ليشاهدوا موكبنا ويبعثون، في أصوات مدوية، تحياتهم لسيدي (بو علم).

ونحو الساعة العاشرة، لمحنا هضبة الجندل؛ وفوق الهضبة، كانت زحمة عجيبة من البغال والمعزى والثيران والخراف والأتن والجمال والقبائل واليهود والبدو، خليط من البرانس والقلانس الحمراء؛ نيران توقد، وخيام تضرب، ورائحة جلد عاتية، وغبار، وصياح، بالإيجاز دولاب السوق العربي المعتاد. وكنت على أحر من الجمر أتوق لزيارة هذا كله

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم - دولة الإمارات العربية المتحدة

بالتفصيل؛ ولكن(إيمانويل)، الّذي كانت مصالحه تستدعيه إلى مليانة في اليوم نفسه، قد وعدني أن يريني قبل انقضاء قليل من الوقت لوحات أخرى من النوع نفسه. تركنا (بو علم) إذن لأعبائه ينهض بها، أعباء (الباش آغا)، وواصلنا طريقنا ظافرين بمصافحة قلبية وبعض الحكم والأمثال العربية عن الصداقة.

_9_

ومشينا النهار كله، مشية واحدة منتظمة وئيدة، تتخللها فترات الراحة على أبواب المقاهي المغربية؛ وفي منتصف الطريق، أصر المطر على الهطول في عناد ما بقي من النهار.

وكنت قابعًا في معطف فضفاض، مدليًا قبعتي، مرهقًا من ليلة بلا نعاس ومن إسراف في استخدام البغلة، فمضيت على هوى دابتي في حال كاملة من حالات داء المشي في النوم. ومن حين إلى حين، كنت أفتح عيني نصف فتحة: كانت سيول من الماء تخطط الأفق مدى البصر، وكانت التلال غرقى؛ وكان السهل قد اختفى. وعلى الطريق الموحل، وقد انصرفت عنه المياه، كان عرب عراة السيقان يبلغون السوق مستبسلين، سائقين أمامهم بغالًا عليها خيام وحميرًا محملة بالسلال.

وكان البدو الصغار يخاطبون بغالهم قائلين لها في صوت ملق: "أرحي! أرحا!" وكنت أهيب ببغلتي: "هو! هيا! هو!". وكان هذا كله، وقد اختلط بعضه ببعض، يخب في الطين وتحت الزوبعة. وفي الحقول الممتدة على جانب الطريق، كان الفلاحون يقلبون الأرض وهم يرتلون، كما يفعلون في أيام الشمس، وكان رعاة شيوخ، وقد ركعوا نحو الشرق، يصكون صدورهم في تقوى مقبلين بجباههم أقزام النخل الّتي تهطل مطرًا.

وكنا نسعى هكذا منذ عدة ساعات، وكانت عيناي قد غمضتا، حين وقفت البغلة فجأة. فتطلعت حولي. كنت وحدي وسط سهل شاسع، بعيدًا، بعيدًا جدًا، بعيدًا عن (إيمانويل)، بعيدًا من العرب، بعيدًا من كل شيء... وفي أرق خلق لها، كانت بغلة القاضي تقضم حسكًا غليظًا أمام بناء صغير كروي السقف أبيض الجدران، رقد أمام بابه نعلان قديمان في مشكاة،...هذا السكون، وهذا السهل، وهذا الأثر الغامض، وهذان النعلان الأصفران، ينسدل عليها جميعًا ستار كبير من المطر والضباب، كان كل هذا من قبيل الأحلام. ولكني

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سرعان ما أدركت، وقد تذكرت نزوات بغلتي، أنني كنت قائمًا أمام البناء المذكور الّذي يؤمه القاضي الطيب ليحكم بين الناس بالعدل ثلاث مرات في الأسبوع. وباستعانة الذاكرة، أفلحت في أن أتجه في الطريق السوي، وبعد نحو من مائة خطوة، لمحت أخيرًا مليانة البيضاء هناك عالية، هناك عالية، عند موطئ جبل "زكار"، يغلفها ضباب مضروب حولها... وعندما دخلت المدينة كان الليل حالكًا جدًّا. والمطر ينهمر مدرارًا وخلال الشوارع المقفرة كان يدوي قرع طبول بليلة إيذانًا بالرواح.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حلم عصفور المطر

د. ليلى الصقر *

نامت الطِّفْلَة ذات ليلة شتوية ممطرة، وحلمت أن العاصفة سرقت ساقيها وأعطتها بدلًا منها جناحين... سقطت الطِّفْلَة، وبدأت تنتحب؛ لأنّها لم تعرف كيف تتحرّك، فقد اعتادت السّير على الأرض.. فجأة جاء الرّبيع.. تضمخ المكان بالعبير... جاء عصفور، وفرد جناحيه بنشوة الفرح وهو ينفض عنه بقايا المطر وحزن الشّتاء.. مسحت الطِّفْلَة دموعها المالحة.. فردت جناحيها كالعصفور... حلّق العصفور، وحلّقت معه الطِّفْلَة إلى السّماء.. ولم تعد إلى الأرض...!

تأتي... يفْغَر جُرْحي فمه على مصراعيه... تقترب مني... تحملني من على السرير... أحس برعشتك... تهرب مني، .. تسقط دمعة لا تراها... تضعني على كرسي متحرك... كالعادة عيناك تلوذان بالفرار منّي... أغص بشوكة مُرّة في حلقي... تسألني وعيناك مغروزتان في الجدار... والجدار الإسمنتي بيننا يكبر ويكبر:

ـ كيف حالك؟

أرد وأنا أحاول أن أخبّئ دموعي عنك: "بخير..."

تسقط بيننا الكلمات وتتهشم...

تأتي والشّوق يتدفق محمومًا في عينيك...

كنت لا تطيق لحظة تفرق بيننا... لهفتك تفضحك... وارتباكك يفضحك... لقد كان ما جمعنا أكبر بكثير، شيئًا مفاجئًا ومربكًا وجميلًا كمطر الصيف... كثلج الرّبيع كالدّهشة في مآقي طفل.... كنت تستعمر ضفافي بنظرة... كنت أقرؤك من سكنات أجفان، ورعشة يديك... أكنت قدري؟ كنت أراك الرجل الوحيد في حياتي مع كل برعمة تتفتّح فيَّ... أتذكر؟ عندما كنا أطفالًا كنت تحميني من الأطفال المشاغبين... وتضربهم حتى ترضيني... وتتحمل كل العلقات الساخنة من أجلي... وعندما كبرنا وصرنا لا نلتقي سوى في الاجتماعات العائلية، ونجلس متباعدين، كان وجودك يهبني دفئًا وأمانًا غير اعتياديين... خطبتني رغم الخلافات

---

* أستاذ مساعد بجامعة البحرين.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الّتي بدأت بين أبي وعمي وانفصالهما في العمل ظللت متشبثًا بي رغم كلّ شيء...

هل كان من الممكن أن نفترق بعد كل ما جمعنا؟ التقينا لأن قدري أن أكون لك وتكون لي... رضخ أبي وأبوك لارتباطنا على مضض...

وفي ليلة زفافنا عرفت معنى أن تلد عصفورة داخل الروح... وترفرف بجناحيها بفرح...

في عينيك وجدت سمائي وأنت تنظر إليَّ بحب العالم كله: كيف حالك؟

أجيب هامسة بخفر: "بخير..."

بخير؟؟؟؟ كلمة عابرة نقولها في اليوم عشرات المرات... ولكن ما أبعد اليوم عن الأمس! شتّان بين "بخير" الّتي قلتها تلك اللّيلة، و"بخير" الّتي أقولها لك الآن مرارًا وتكرارًا..

وعيناك... أهما العينان اللّتان كنت أجد وطني فيهما؟ لماذا ضاعتا منّي الآن؟ لماذا لم يعد قلبي يرفرف فيهما؟ لماذا صرت تخاف أن تنظر إليَّ؟ أعرف أنّني قد أضحيت الألم الكبير في حياتك الّذي لا تريد مواجهته، كنت دائمًا ضعيفًا أمام ألمي... عندما كنّا أطفالًا.. دخلت شوكة كبيرة داخل قدمي ذات يوم ونحن نلعب، وقفت مرعوبًا تحدّق فِيَّ وأنا أصرخ، حاولت أن تخرجها فازداد صراخي ونحيبي، فخفت وابتعدّت... كان ألمي يجرحك ويخيفك، فكنت تلوذ بالفرار.... واليوم أعرف جيّدًا أنّك لم تعد تتحمّل تلك الشّوكة الّتي تغوص في قلبي وقلبك، كالعادة تقف عاجزًا، مرتبكًا، بينما لم يبق من حبك لي سوى ذلك السّيخ الحامي من العذاب، أو تلك الشفقة الّتي تهرب منّي حتّى أراها في عينيك...

منذ أن هاجمني مرض السكر بعد إجهاضي لطفلنا الأول، وأنت معي كما كنت تحاول نزع الشّوكة عندما كنّا صغارًا، وعندما اسْتَعَرَ الألم وزاد الصراخ، واتَّفق الأطباء أن (الغرغرينا) قد انتشرت في كلتا ساقيّ انتشارًا سريعًا، ولم يبق إلّا البتر حلًّا أخيرًا، ولم تستطع المواجهة، هربت، وابتعدت عن هذا كّله... حتى عملية البتر رفضت أن توقّع بالموافقة عليها... ومنذ ذلك اليوم ضاعت منّي عيناك، وضاع الوطن... كانت أقسى لحظة في حياتي، كان البتر يتربص بحياتي كلّها...

إنهم لن يبتروا ساقيّ فقط، بل سيبترون حياتي كامرأة، سيبترون روحي وشبابي، وقبل

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كل شيء سيترون علاقتنا إلى الأبد... تمنيت أن أجدك قربي في تلك اللحظات المريعة، تضغط على يدي، تقبل رأسي، تربت عليّ وتواسيني، تذكّرني بأنّني حتى لو بتروا كلّ أعضائي، سأبقى الإنسانة الّتي تحبها وستتمسك بي إلى الأبد... الأبد؟؟؟ آه يا لها من كلمة مطّاطيّة، هزلية، كنت تجيد ترديدها، رغم أنّك كنت معي في الغرفة نفسها، ولكن عينيك المكسورتين كانتا تهربان مني... كم كنت أحتاج أن أتلحف بدفئهما في تلك اللّحظة، ولكنّك كنت تخاف أن تنهار أمامي إن نظرت إليَّ، ظللت متخشِّبًا جامدًا كتمثال من الشّمع... لقد حكمت على قلبي بالبتر قبل أن يحكم الأطباء على ساقيّ بالبتر، وكان حكمك قاسيًا كحكمهم دون أي فرصة للنّقض أو الاستئناف...

أخرجوني من غرفة العمليات بلا ساقين...

وبلا روح!

البتر إحساس غريب...

فجأة تحس أنّك لست أنت.. إنهم بتروك...

كلهم ينظرون إليّ بإشفاق كأنّني انتهيت، كلهم يواسونني.. لماذا يعزّونني في نفسي؟ لماذا يدفنوني قبل أن أموت؟

ـ وأنت لماذا تقف لتتقبّل التعازي فيَّ بصمتك المعهود؟

وجع مجنون ينهشني رغم كل الحقن المخدرة، أبحث عن ساقيّ، أتحسس الموضع الخالي على السرير... أحسّ أنّني في كابوس وأنتظر أن يوقظوني منه، أحسّ أنني بترت من الدّاخل، وأنت لا تنظر إليَّ، أراك بين زوّار كثيرين، الزوار الذين جاؤوا بشفقتهم وورودهم ونظراتهم الحزينة، وأسمع في همساتهم شفقتهم عليّ: مسكين عبد اللّه، اللّه يعينه، ماذا سيفعل في هذه المصيبة؟! فجأة أصبحت مصيبة في حياتك، وعبئًا ثقيلًا يشفقون عليك جميعهم من تحمّله!

منذ شهور عندما كان عليك أن تجري عملية خطيرة في القلب، كنت أجري وراءك في المستشفيات، وأسهر كل ليلة قربك، وأبتسم لك رغم تعبي وألمي؛ لأنّني كنت في الشهور الأولى من الحمل... بعد شهرين نجحت عمليتك، بينما أجهضت جنيني الأوّل بسبب

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

التّعب المتواصل، لم يشفق عليَّ أحد، كانت العيون كلّها تقول: هذا واجبك كزوجة، يجب أن تضحّي بكل شيء من أجل زوجك! التّضحية؟ شيء غريب لأول مرّة أكتشف أنّ كلمة التّضحية مؤنثة.

المرأة يجب أن تضحّي وتتحمّل وتصبر في مجتمعنا، وفي المقابل الرّجل دائمًا هو الضّحية... المسكين! أنت حتّى لم تتعطّف عليّ بنظرة مواسية أو ابتسامة تلثم بها آلامي، وبدأت رحلة العذاب...

منذ أن انتقلت إلى البيت كسيحة على كرسي متحرك ونحن لم نعد نتكلّم، أحضرت خادمة للعناية بي، وانتقلت للنّوم في غرفة أخرى.

كان عذابي الأكبر ليس في عاهتي ولا في عجزي وحياتي الّتي تحطّمت بين عشيّة وضحاها، بل في عينيك اللّتين حكمتا عليّ بالإعدام...

كنت أبكي وأبكي، والدّموع جمرات من العذاب لا تنتهي أو تجف...

وشقائي بك يتجدد كلّ يوم وأنا أراك تدخل الغرفة لتعطي الخادمة بعض التّوجيهات وتذهب دون أن تنظر إليّ أو تسأل عنّي، ألمي فوق أيّ احتمال، فجأة صارت حياتي مرهونة بهذه الخادمة الأجنبية الّتي تنقلني بين سريري وكرسيّي المتحرك والحمام....

ولم ينته عذابي! بدأت الحرب الكبرى في عائلتك، وفي عيون النّاس. كانوا جميعًا ينظرون إليك نظرة الفدائيّ المسكين الّذي عليه أن يتحمل زوجته الكسيحة، وكانوا يلحّون عليك بالزّواج، خاصّة عمّي الّذي بدأ يعيّرك أن هذه نتيجة زواجك منّي رغم معارضته.... ما الّذي يجبرك وأنت الشاب الجامعي الوسيم ذو المركز المرموق أن تقضي حياتك مع بقايا امرأة كسيحة معطوبة؟

كنت لا تملك إلّا الرّفض الحزين، روحك المقاتلة انكسرت ولم يبق فيك سوى الحزن، ولم أتحمّل هذا كلّه... كانت عيون أهلك تلومني طيلة الوقت:

(أنتِ عالة على ابننا! لماذا تفعلين هذا بابننا؟ إننا نشفق عليك، ولكن ما ذنب ابننا؟)

كان الوجع يعضّني بشراسة، لم أعد أتحمّل... بعد ليلة لم تذق فيها أجفاني النّوم، قررت أن أكلمك، وأنهي هذا كله.... طلبت من الخادمة أن تضعني على كرسيي المتحرك، ذهبت

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إلى غرفتك، ارتبكت عندما رأيتني.. وسرت رعشة واضحة في ملامحك، قلت وأنت تحاول أن تتحاشاني كعادتك:

ـ خير؟ هل حدث شيء؟

رددت بألم: "وهل يجب أن يحدث شيء حتّى أتحدّث مع زوجي؟"

رأيت في عينيك دمعة خرساء، ولم ترد..

فقلت وأنا أحاول التَّمسّك بشجاعتي: "لقد جئت أطلب إليك طلبًا واحدًا أتمنّى أن تنفّذه لي إن كانت لي بقايا معزة عندك".

نكست رأسك، ومسحت دمعة سقطت من عينيّك، لم تعد تستطيع إخفاءها أكثر.

لم أعد أتحمل ضعفك.. واصلت كلامي كأنّني ألفظ أنفاسي الأخيرة: "يجب أن تتزوّج يا عبد اللّه.."

رفعت رأسك نحوي لأوّل مرّة بألم مذهول: "ماذا؟"

قلت وأنا أحسّ أنّني أعضّ على لساني وأن الدّم المالح يملأ فمي ويتدفّق على صدري: "تزوّج!"

قلت كأنّك تبكي: "لا أصدق ما تقولين؟ هل جننت؟"

ـ بل الجنون بأن تستمرّ حياتنا هكذا،فأنا لم أعد المرأة الّتي تستطيع إسعادك.

نظرت إليّ والكلمات تتعثّر على شفتيك: "أنت تعرفين أنّني..." وأحسست أنك ستقول لي أنّك ستعود إلى عشّك الّذي بنيته في قلبي منذ دهور.

لكنك لم تلبث أن تمتمت بحزن: "تعرفين أنّه من المستحيل أن أتزّوج!" رددت بصوت نطق بكل عذاباتي: "وأنا مستحيل أن أبقى في هذا البيت إذا لم تتزوّج".

لم ترد... وجررت كرسيي خارج غرفتك قبل أن أضعف.. كنت أعرف أنّك لم تستطع أن تقول لي كم تحبني وكم تتعذّب من كل ما حصل، أنت لا تستطيع مواجهة هذا كلّه، لم تُرِدْني أن أرى دموعك كنت أدرك عذابك، لذلك لقد استجمعت شجاعتي وواصلت مهمّتي.. رفعت السمّاعة وحادثت والدتك.. أخبرتها أنك يجب أن تتزوّج لكي تكون سعيدًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وعلى الرّغم من ذهول والدتك وشفقتها الواضحة في صوتها، فإنّها لم تحاول إخفاء حماسها للفكرة، ووعدت بالبحث عن زوجة ثانية تكون طيّبة ومسالمة، وتقوم بخدمتك وخدمتي! وفي أقل من أسبوع وجدت أمك الفتاة المناسبة! آه يا عبد اللّه الأثير، لقد أحببتك دهرًا كاملًا، وها هم في أقل من أسبوع يختارون امرأة جديدة تسرق تاريخي كله معك! وتحول تضاريس الفرح في عمري معك إلى الجحيم من الشّقاء.

وبدأت الضّغوط تقوى من عائلتك، خاصّة بعد تصريحي بموافقتي على زواجك، ولم تملك وسط هذا كلّه سوى أن تستجيب لرغبة أهلك استسلام... (مازلت أجيد استعمال علامات التعجّب في محاولة يائسة لاستعادة إنسانيتي).

لا أدري لماذا لا تكف دموعي عن الهذيان والصراخ المجنون... على الرّغم من قيامي بهذه المبادرة ورغبتي في رؤيتك سعيدًا، كنت أتمنّى حتّى آخر لحظة أن تتمسّك برفضك.

لماذا يتحدّثون عن الضّحية والحب الأبدي؟

مازلت متمسّكة بهذه المثالية الغبيّة بعد كل ما حصل!

الجحيم يفترسني بلا هوادة، تنتابني نوبة ألم مسعورة في ليلتها الأولى في البيت، أبحث عن ساقيّ فلا أجدهما، الحمّى... هل هذه حمّى الألم أم ألم الحمّى... سكاكين تنغرز في كل ذرة من جسدي، وتقطعني إربًا.

يا لي من حمقاء غبية! ترى هل أحببتني يومًا؟ هل مازلت أؤمن بهذه الكلمة الخرقاء؟ هل الحب كلمة أو موقف؟ لقد قلت كثيرًا من القصائد، ولكن ها أنت تتخلى عنّي عند أول موقف حقيقيّ، تَنْقَضُّ عليّ الأشباح المرعبة، تجلدني بسياط ذاكرة الوجع الّتي لا تنام، تعضّني الهواجس، أتمنى ألّا يطلع عليّ الصّباح... لماذا أحيا يومًا جديدًا؟ وماذا بقي لي لأعيش من أجله؟

أراها في صبيحة اليوم التالي متورّدة، جميلة، سعيدة، مفعمة بالعطر والحياة ... تسير بدلال، أين ساقيّ؟ تطرق زوجتك باب غرفتي. لا بدّ أنّك قد أرسلتها إليّ لأنك لا تقوى على مواجهتي كالعادة... تسأل عن صحّتي، أردّ كما اعتدت أن أردّ من بين جدران تابوتي، وعلى شفتي طعم الموت: بخير (آه يا لكذب الكلمات!)

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

آه يـا عبـد اللّـه العزيـز، كـم هـي جميلـة وطيّبـة زوجتـك الجديـدة، كـم أنـت محظـوظ! لا بـدّ أنهـا قـد نفثـت فيـك الحيـاة مـن جديـد... الحيـاة! كلمـة لا يعـرف معناهـا إلّا إنسـانة مثلـي، تعلّمـت أن تُدفـن وهـي حيـة، وأن يتبـادل النّـاس التّعـازي فيهـا، ويشـيّعون جنازتهـا أمامهـا، ويأتـون بامـرأة أخـرى تحـلّ مكانهـا في حيـاة زوجهـا... آه مـا أكبـر الفـرق بيـن زوجتـك الجديـدة الّتـي تبـدأ حياتهـا، وبينـي أنـا الّتـي أبـدأ التّعـود علـى موتـي... تخـرج مـن الغرفـة، ترتبـك عندمـا تراهـا واقفـة معـي، تتحاشـاني كعادتـك.. تناديهـا، فتسـتأذنني وتذهـب إليـك..

أنهار، أتمنّى الموت في هذه اللّحظة.. لقد قتلتني يا عبد اللّه.

أسـقط مـن علـى الكرسـيّ.. أفاعـي هلاميـة تخـرج مـن تحـت جلـدي، ومـن بيـن مسـاماتي، وتلـدغ الموضـع الأيسـر مـن قلبـي.. هنـا تمامًـا حيـث تسـكن دهاليـز الـرّوح... أغـرق فـي عجـزي أنزفـك دموعًـا ضاريـة، أذوب فـي لجـة مفترسـة مـن النّحيـب والشّـهيق... تحـاول الخادمـة حملـي مـن علـى الأرض.... أدفعهـا عنـي وأنـا أصـرخ بهسـتيرية... تخـرج مـن غرفتـك، تنظـر إلـيّ بألـم.. لأول مـرّة منـذ أسـابيع تقتـرب منـيّ وتحـاول حملـي وتهدئتـي... أصـرخ: اتركونـي الآن.. أريـد أن أبقـى وحـدي...

عينـاك موجوعتـان، نادمتـان، يفقـس حزنـي ذلًّا... أصـرخ: تعبـت مـن شـفقتكم... أنـادي الخادمـة، أتركهـا هـذه المـرة تضعنـي علـى السّـرير، وأطلـب إليهـا أن تغلـق البـاب.. تخـرج أنـت وزوجتـك، وأنـت عاجـز كعادتـك عـن التّصـرف.

كم ردّدت على مسامعي أنك ستجلب لي القمر والنّجوم...

أضحـك وأبكـي بمـرارة علـى هـذه النكتـة، أحـس بغصّـة تخنقنـي، تتآمـر عليّ كل ذكرياتـي معـك، أشـقى بفـرح كان لـي يومًـا، أنظـر إلـى حبّـات الـدّواء بالقـرب منّـي... كـم قرصًـا فيهـا؟ أكثـر مـن عشـرين... أمسـك العلبـة بأصابـع مرتجفـة، تتسـاقط عبراتـي العاجـزة وأنـا أبحـث عـن الخـلاص.. أفتـح العلبـة، تسـترخي عضلاتـي، أسـتعدّ للرّاحـة... فجـأة أسـمع صـوت الأذان... رعشـة تتملـك الـروح الثكلـى..

اللّه أكبر... أكبر من دموعي وعذاباتي...

اللّه أكبر.... أكبر من عجزي وقنوطي..

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

اللّه أكبر... أكبر من زنزانة الألم الّتي حبست نفسي فيها..

أرمي أقراص الدّواء، أستغفر اللّه على لحظة ضعفي، ويسقط عذابي دموعًا.. أصلي الفجر.. أبكي بدموع تغسل قلبي المكلوم..

أسمع طرقات المطر على نافذتي، أفتح الشّباك، أرى عصفورًا صغيرًا يتحدى المطر والريح ويفرد جناحيه ويحلق عاليًا، أرى نفسي قد تحررت من كرسيي وعجزي وطرت معه... أمل غامض يتسرّب إلى نفسي... أتذكر رحمة اللّه، وأبكي لأنني استسلمت للموت...

أريد أن أحيا أكثر من أي وقت مضى...

أنام لأول مرة منذ أن بُترت ساقاي وأنا في انتظار الصّباح.

أصحو... أراك واقفًا عند سريري تنظر إليّ بألم، أنت لا تستطيع، وأنا لا أستطيع أن أتحمل أكثر... تسألني عيناك عن أحوالي.. فأقول لك: "أنت تعرف يا عبد اللّه مكانتك عندي".

تجيب بحزن: "وأنت تعرفين أيضًامكانتك عندي".

لا أدري لماذا بدت لي جملتك هزلية في هذه اللحظة، وأحسست بالرّغبة بالضّحك.

أرد كأنّني لم أسمع: "لقد تركت سنتي الأخيرة في المدرسة لأتزوّجك، كنت أرى طموحي في عينيك، كان طموحي الوحيد حينذاك أن أتزوّجك وأسعدك، وأعيش معك الحياة الّتي طالما كنت أتمنّاها، ولكنني لم أجد معك غير الموت. إنّني أريد العودة إلى الدّراسة".

ترد بذهول متلعثم: "ولكن أنت لا تستطيعين! أنت.....!"

أواصل: "أعرف أنّني قد فقدت ساقيّ، ولكنني لم أمت بعد... أعرف أنك تعتبرني قد مت، وأنّك قد أصبحت تتعامل معي على هذا الأساس.... مجرد جثّة مشوّهة تقرف من رؤيتها".

تقول وأنت تخفض عينيك حتى لا أرى دموعك: "لماذا تقولين هذا الكلام؟ إنك تعذّبينني".

أخاطبك: "إنك حتّى لا تستطيع النّظر إليّ وأنت تكلمني... انظر إليّ.. انظر إلى آثار

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

البتر في جسدي، إنك لا تستطيع... وحتى لو استطعت فإن الشيء الوحيد الّذي تستطيع أن تعطيني إياه هو دموعك وشفقتك.. لقد بتر الأطباء ساقيّ، لكنّك بترت إنسانيّتي، بترت علاقتنا... بترت كل شيء جميل جمعنا في يوم من الأيّام".

تسقط دموعك هذه المرة، وتنظر إليّ بعينين كسيرتين: "لكن ما حصل كان أكبر منّي... ماذا بيدي أن أفعل بعد كل ماحصل؟"

أرد: "إن كنت عاجزًا، فأنا رغم أنّني مبتورة السّاقين فإنني لست عاجزة، رغم أن موتي قد يكون فيه راحة لك، لكنّي قرّرت العودة إلى الحياة، سأعود إلى الدّراسة بالانتساب، سأدرس التّجويد؛ لأحقق حلمي في إعطاء دروس التّجويد".

تتلعثم: "ولكن....".

أقول بقوة لا أدري من أين جاءتني: "إذا كانت عودتي إلى الحياة لا تعجبك فطلّقني، فلم يعد يربطنا سوى الجراح، لقد تعبت من شفقتك ناحيتي... متى كانت آخر مرة بتّ عندي أو حتّى تكلّمت معي؟ أنا الألم الوحيد في حياتك، فلماذا لا تطلقني وتصبح رجلًا سعيدًا تنعم بحياتك مع زوجتك الجديدة دون زوجة معاقة كئيبة".

تهرب كالعادة من المواجهة: "لن أطلقك أنت حرة إن كانت عودتك إلى الدّراسة ستريحك فافعلي ما تريدين".

أحسّ بطاقة غريبة تتملّكني... أتّصل بأمّي وأخبرها برغبتي في العودة إلى الدّراسة... تثور "هل جننت؟ إن من بمثل حالتك لا...".

أنهي الحوار، أحسّ أنهم قد بتروا ساقيّ مرة أخرى، لا أستسلم لعجزي.. أتذكر صديقتي القديمة الّتي لم أكلمها منذ تزوّجت، أتّصل بها، أخبرها برغبتي... تتحمّس وتعدني أنها ستساعدني في الدّراسة... تقوم بالإجراءات، تشتري لي الكتب، تأخذني معها لدروس التّجويد والشّريعة...

لأول مرة أحسّ بالحياة وأنا أقرأ.. كل كتاب يأخذني إلى عالم جديد من البعث والحياة، أقدم الامتحانات، أنجح في الشّهادة الثّانوية، أتفوّق في دروس الشّريعة... أبدأ بإعطاء دروس الشّريعة في بيتي... أسجّل للجامعة...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

صرت أرى نظرات الإعجاب في عيون من حولي بدل الشّفقة...

لأول مرة أحس بذاتي، لم أشعر بهذه السّعادة حتّى قبل أن يبتروا ساقيّ، كنت أسير مثل كل النّاس في مدينتي، ولكنني اليوم أحلق عاليًا..

أفتح الشّباك، المطر النّازل يغسل المدينة، ويكركر في المزاريب، أرى العصفور الصّغير مازال يتحدّى المطر والعاصفة... يفرد جناحيه ويطير... أحس بساقيّ تعودان لي، أجري، أركض، أقفز... ينبت لي جناحان... لم أعد محتاجة إلى ساقيّ، أرميهما أفرد جناحي وأحلق في الفضاء الفسيح.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

سر المعلم كورني

(فرانسيه ماماي) عازف مزمار عجوز، يقبل إليّ بين حين وآخر ليقضي السهرة عندي. وقد قص عليّ ذات مساء، حادثًا من أحداث القرى قد شهدته طاحونتي منذ نحو من عشرين سنة. ولقد أشجتني قصة هذا الرجل الطيب، وسأحاول أن أرويها لكم كما سمعتها.

تخيلوا لحظة، أيها القراء الأعزاء، أنكم جالسون، وأن المتحدث إليكم زمّار عجوز.

إن بلدنا، يا سيدي القاضي، لم يكن دائمًا كما هو اليوم بلدًا ميّتًا لا يرجح الألحان. لقد كان في الزمن الماضي سوقًا رائجًا للطحن، يحضّر إليه أهل العزب المترامية حولنا قمحَهم ليطحنوه... وكانت الطواحين الهوائية تكسو جميع هذه التلال المحيطة بالقرية، فإذا سرحت بصرك إلى يمين أو إلى يسار لم تكن ترى إلّا أجنحة دائرة مع ريح (المسترال) فوق أشجار الصنوبر، وأسرابًا من الحمير الصغيرة محملة بالأكياس تنساب في الطريق صاعدة هابطة، وكان يلذ لك أن تسمع طوال الأسبوع، فوق الربوة، فرقعة السياق وتمزيق الكتان وصياح أعوان الطحانين.. حتى إذا حل يوم الأحد، ذهبنا إلى الطواحين زرافات.

غير أنه خطر لبعض الفرنسيين من أهل (باريس) أن ينشؤوا مطحنًا بخاريًا على طريق (تاراسكون). وكان مطحنًا جميلًا طريفًا. فأخذ الناس يرسلون إليه غلالهم، وتعطلت طواحين الهواء المسكينة. حاولت أن تجاهد بعض الوقت، ولكن البخار كان الأقوى، فاضطرت -واحسرتاه- إلى أن تقفل أبوابها واحدة بعد واحدة... إذ ذاك لم نعد نرى الحمير الصغيرة... وباعت الطحانات حليهنّ الذهبية... وراحت تهب ريح (المسترال)، ولكن أجنحة الطواحين ظلت ساكنة... ثم جاء يوم هدم فيه "المجلس المحلي"هذه الأطلال ودكها، وبذرت القرية مكانها كرمًا وزيتونًا.

إلا أن طاحونة ظلت قائمة في وسط هذا الانقلاب، وظلت تدور في استبسال فوق الأكمة، على الرغم من لحي أصحاب المطحن البخاري. كانت تلك طاحونة المعلم (كورني)، وهي هذه الّتي نحن آخذون الآن في قضاء سهرتنا بها.

كان المعلم (كورني) طحانًا عجوزًا، يعيش منذ ستين سنة في الدقيق متحمسًا لمهنته.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أجنـه قيـام طواحيـن البخـار. فرأينـاه أيامًـا ثمانيـة يعـدو خـلال القريـة، يجمـع القـوم مـن حولـه، ويصيـح فيهـم بأعلى صوتـه أنهـم يريـدون أن يسـموا (البروفانس) بدقيـق مطحنهـم البخـاري. كان يقـول:

لا تذهبـوا هنـاك، فـإن هـؤلاء اللصـوص، لصناعـة الخبـز، يسـتخدمون البخـار، الّـذي هـو رجـس مـن عمـل الشـيطان، بينمـا أنـا أشـتغل (بالمسـترال) وريـح الشـمال، اللذيـن همـا نسـمة اللّـه الكريـم...

وكان يجـد كثيـرًا مـن هـذا الـكلام الجميـل فـي مـدح طواحيـن الهـواء، ولكـن أحـدًا لـم يسـتمع إليه.

هنـاك غضـب الشـيخ غضبـة رجـل، فحبـس نفسـه فـي طاحونتـه، وعـاش وحيـدًا كالوحـش الضـاري. لـم يـرض حتـى بـأن يبقـى إلـى جـواره حفيدتـه (فيفـت)، وتلـك طفلـة فـي الخامسـة عشـرة لـم يكـن لهـا منـذ مـوت أبويهـا إلّا جدهـا هـذا. فاضطـرت المسـكينة إلـى أن تكسـب عيشـها أجيـرة فـي العـزب هنـا وهنـاك، تعمـل تـارة فـي الحصـاد، وتـارة فـي تربيـة دودة القـز، وتـارة فـي عصـر الزيتـون. ومـع ذلـك فقـط كان يبـدو علـى جـد هـذه الصغيـرة أنـه يحبهـا حبًـا جمًـا. فكثيـرًا مـا كان يقطـع المسـافات الطـوال، علـى قدميـه تحـت الشـمس المحرقـة، لكـي يزورهـا فـي العزبـة الّتـي تشـتغل فيهـا، حتـى إذا صـار إلـى جنبهـا أنفـق سـاعات كاملـة ينظـر إليهـا ويبكـي...

وظـن أهـل البلـد أن الطحـان الشـيخ، حينمـا سـرح (فيفـت)، إنمـا فعـل ذلـك عـن بخـل؛ ومـا كان بالـذي يشـرفه أن تجـوب حفيدتـه العـزب، متعرضـة لغلظـة الخولييـن، متعرضـة لبـؤس فتـاة علـى مثـل حالهـا. وكان أهـل البلـد يـرون بعيـن السـخط أيضًـا أن يمضـي رجـل لـه صيـت المعلـم (كورنـي)، وعـاش محترمًـا نفسـه إلـى تلـك السـن، فيمشـي الآن فـي الطرقـات كأنـه متشـرد حقيقـي، وحافـي القدميـن، مخـرق القلنسـوة، ممـزق الثـوب... والحـق أننـا كنـا نخجـل منـه، نحـن الشـيوخ الآخريـن ، وكان (كورنـي) يشـعر بذلـك فلـم يجـرؤ منـذ أن بـدأ مسـلكه هـذا الشـائن علـى أن يتقـدم إلـى مقعدنـا، وإنمـا كان يجلـس مـع المسـاكين.

لقـد كان فـي حيـاة المعلـم (كورنـي) شـيء غامـض... لـم يكـن أحـد فـي القريـة يحمـل إليـه قمحًـا منـذ أمـد بعيـد، ومـع ذلـك فقـط ظلـت أجنحـة طاحونتـه تـدور بـلا توقـف كمـا كانـت

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تـدور مـن قبـل.. وفـي المسـاء كان القـوم يلقـون الطحـان الشـيخ فـي الطرقـات سـائقًا أمامـه حمـاره المحمـل بجوالـق الدقيـق الضخمـة، فيهتـف بـه الفلاحـون:

ـ مساء الخير يا معلم (كورني)! أو يسير الطحن سيرًا حسنًا؟

فيجيبهم في جذل:

ـ دائما يا أولادي. الحمد لله، ليس العمل هو الّذي يعوزنا.

فـإذا سـألوه مـن أي فـج عسـى أن يأتيـه كل هـذا الشـغل، وضـع إصبعًـا علـى شـفتيه وأجـاب فـي جـد:

ـ لا تقولوا لأحد! إني أعمل للتصدير...

وما كان امرؤ يظفر منه بأكثر من ذلك.

ومـا كان ينبغـي أن تحـاول يومًـا أن تـزج بأنفـك فـي طاحونتـه. فلـم تكـن لتدخلهـا حتـى الصغيـرة (فيفـت)... .

وكنـت إذا مـررت بالطاحونـة، رأيـت البـاب مغلقًـا دائمًـا، والأجنحـة الغليظـة دائـرة والحمـار العجـوز يقضـم عشـب الفنـاء، وقطًّـا مهـزولًا يصطلـي فـي الشـمس علـى طـرف النافـذة وينظـر إليـك نظـرة شـر... وإنـك لتحـس فـي ذلـك كلـه سـرًّا مـن الأسـرار.

و أطلـق سـر المعلـم (كورنـي) ألسـنة النـاس بالـكلام والحديـث. فـراح كل امـرئ يفسـره علـى طريقتـه، ولكـن الّـذي شـاع بيـن أهـل القريـة هـو أنـه لـم يـزل فـي تلـك الطاحونـة مـن أكيـاس النقـود مـا يربـو علـى أكيـاس الدقيـق.

و على مر الأيام ظهر كل شيء؛ وإليك كيف كان ذلك:

ذهبت ذات مرة إلى الشيخ، ليوافق على تزويج ابني من "فيفت".

لـم يتـح لـي الشـيخ أن أتـم كلامـي، وإنمـا صـاح بـي فـي غيـر مراعـاة للـود أن أعـود إلـى مزمـاري، وأن أذهـب إذا كنـت عجـلاً إلـى تزويـج ابنـي فابحـث عـن البنـات فـي المطحـن البخـاري... انظـر! لقـد صعـد بـي دمـي مـن سـماع هـذا الـكلام الفـارغ، غيـر أنـي كنـت مـن العقـل بحيـن كظمـت نفسـي، فتركـت هـذا الشـيخ المجنـون لرحـاه، ورجعـت أعلـن للأولاد عـدم

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

موافقتي... لـم يسـتطع الحمـلان المسـكينان أن يصدقـا: واسـتعطفاني سـائلين أن آذن لهمـا بـأن يصعـدا معـا إلـى الطاحونـة ليكلمـا الجـد... فـإذا بـي لا أقـوى علـى أن أرفـض سـؤالهما، وهاهمـا حبيبـاي ذان قـد انطلقـا خفيفيـن!

وحينمـا بلغـا الربـوة كان المعلـم (كورنـي) قـد خـرج منـذ لحظـة. وكان البـاب مغلقـا بدورتـي المفتـاح. غيـر أن الشـيخ الطيـب القلـب كان قـد نسـي فـي ذهابـه سـلمه خـارج الطاحونـة، فسـرعان مـا خطـر للولديـن أن يدخـلا مـن النافـذة، ليسـتطلعا بعـض الشـيء مـا كان فـي تلـك الطاحونـة العجيبـة...

شـيء غريـب! كانـت حجـرة الرحـى خاويـة... ولا أثـر لجولـق ولا لحبـة مـن القمـح، ولا أدنـى أثـر للدقيـق علـى الجـدران أو علـى أنسـجة العنكبـوت... ولـم تكـن تبلـغ شـمَّكَ تلـك الرائحـة الطيبـة الحـارة، رائحـة القمـح المسـحوق الّتـي تتضـوع فـي أرجـاء الطواحيـن... وكان مجثـم الطيـر يكسـوه الغبـار، والقـط الأعجـف راقـدًا فوقـه.

وكان علـى الغرفـة السـفلى المظهـر نفسـه، مظهـر الشـيء البائـس المهجـور: سـرير رديء، وبعـض الخـرق وقطعـة مـن الخبـز علـى إحـدى درجـات السـلم، ثـم فـي ركـن مـن الأركان ثلاثـة أو أربعـة جوالـق مشـقوقة تنحـدر منهـا قطـع الجـص وينسـاب منهـا تـراب أبيـض.

هنـا كان سـر المعلـم (كورنـي)! فإنـه هـو هـذا الجـص الّـذي كان يـدور بـه فـي الطرقـات عنـد المسـاء، لكـي ينقـذ شـرف الطاحونـة ويوحـي إلـى القـوم بأنهـا مـا زالـت تصنـع الدقيـق... لـك اللّـه مـن طاحونـة مسـكينة! ولـك اللّـه يـا (كورنـي) المسـكين! فمنـذ أمـد بعيـد قـد انتـزع أصحـاب المطحـن منهـا آخـر عملائهـا. ومضـت الأجنحـة تـدور دائمـا، وأمـا الرحـى فكانـت تـدور علـى الفـارغ.

عـاد الولـدان دامعيـن يقصـان علـيَّ مـا شـهدا فتمـزق قلبـي وأنـا أسـمعهما... ومـن غيـر أن أضيـع دقيقـة، هرعـت إلـى الجيـران وأخبرتهـم بالأمـر فـي كلمتيـن، فاتفقنـا علـى أنـه ينبغـي فـي الحـال، أن نحمـل إلـى طاحونـة (كورنـي) كل مـا فـي البيـوت مـن قمـح... ومـا كان ينتهـي كلامنـا حتـى أخذنـا فـي تنفيـذه، وهـا هـي ذي القريـة كلهـا تسـير فـي الطريـق، وهـا نحـن نبلـغ الربـوة فـي موكـب مـن الحميـر المحملـة بالقمـح ،قمـح حقيقـي فـي هـذه المـرة!

كانـت الطاحونـة مفتوحـة علـى مصراعيهـا... وأمـام البـاب، كان المعلم(كورنـي)، قابعًـا علـى

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كيس من أكياس الجص، يبكي، ورأسه في كفيه. فلقد لاحظ، حين عاد منذ قليل، أن امرأ نفذ إلى حرمه وهتك سره المحزن.

ـ يا لي من شقي! الآن لم يبق لي إلّا أن أموت.. لقد ثلب شرف الطاحونة.

وكان يشهق شهقات تمزق النفس، داعيًا طاحونته بشتى الأسماء، مناجيًا إياها كأنها شخص حقيقي.

وفي هذه اللحظة تبلغ الحمير الفناء، ونأخذ نحن في الصياح عاليًا كأننا في أيام عز الطحانين.

ـ هوي! طاحونة!... هوي! يا معلم (كورني)!

و ها هي الجوالق تتكدس أمام الباب، وهو هو الحب الأصهب الجميل ذاته ينسكب على الأرض من كل جانب...

فتح المعلم (كورني) عينين واسعتين. وأخذ من القمح في راحة يده البالية، وجعل يقول وهو يضحك ويبكي معًا:

ـ إنه قمح!... يارب يا مولاي!... قمح حقيقي!... دعوني أنظر إليه.

ثم يلتفت إلينا قائلًا:

ـ آه! لقد كنت واثقًا من أنكم سوف ترجعون إليَّ... فإن أصحاب المطحن البخاري كلهم لصوص.

و أردنا أن نحمله في مظاهرة إلى القرية:

ـ لا لا يا أولادي؛ ينبغي قبل كل شيء أن أعطي طاحونتي لتأكل... أما ترون! إنها لم تضع شيئا بين أسنانها منذ أمد بعيد!

و استدر الدمع في أعيننا جميعًا مشهد هذا الشيخ، يضطرب إلى اليمين وإلى اليسار، فيبقر الأكياس ويراقب الرحى، بينما ينسحق الحب ويتطاير قتام القمح الدقيق إلى السقف.

ومن الإنصاف لنا أن نعلم أننا منذ ذلك اليوم، لم ندع الطحان الشيخ ساعة بلا عمل. ثم ذات صباح، مات المعلم (كورني)، فتوقفت عن الدوران آخر طاحونة لنا، وتوقفت

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

هـذه المـرة إلـى الأبـد... لأنـه مـات (كورنـي)، لـم يخلفـه أحـد. مـاذا تريـد يـا سـيدي!... فـإن لـكل شـيء نهايـة فـي هـذه الدنيـا، وينبغـي أن نؤمـن بـأن عصـر طواحيـن الهـواء قـد انقضـى، كمـا انقضـى عصـر مراكـب المـاء علـى نهـر (الـرون)، وعصـر (البرلمانـات)، و(السـتر) ذوات (الأزهـار) العريضـة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

عنزة السيد (سيجان)

إلى الأستاذ (بيير جرنجوار)، الشاعر الغنائي بـ(باريس).

ستظل دائمًا كما أنت يا صديقي البائس.

عجبًا! أتعرض عليك وظيفة مخبر لإحدى صحف (باريس) السيارة وتأنف من أن تقبلها؟ انظر إذن إلى نفسك أيها الولد الشقي! انظر إلى هذا الرداء المخرّق، وهذين النعلين الباليين، وهذا الوجه المهزول الّذي يشكو الطوى. فإن ذلك هو المصير الّذي قادك إليه كَلَفُك بالقوافي الحسان! وإن ذلك ما أجدته عليك عشر سنين من الولاء والخدمة الصادقة في صفحات السيد (أبولو)... أو ما تخجل في آخر الأمر؟

اجعل من نفسك مخبرًا! اجعل من نفسك مخبرًا! فستكسب نقودًا جميلة، وتتناول طعامك على مائدة "بربيان"وتستطيع أن تظهر في المناسبات وفي قبعتك ريشة قشيبة... كلا؟ لا تريد؟ أتصر على أن تبقى حرًّا كما تشاء إلى النهاية؟ أعر بعض سمعك إذن لقصة "عنزة السيد (سيجان)" لترى ماذا يجنيه المرء من الرغبة في حياة الحرية.

لم يكن للسيد (سيجان) في حياته حظ مع معيزه.

كان يفقدهن دائمًا بالطريقة نفسها، ذات صباح عتيد، تقطع العنزة الحبل، وتنطلق إلى الجبل، وهناك يأكلها الذئب. فلا رقة السيد، ولا هول الذئب، ولا شيء مطلقا أفلح في الإبقاء عليهن. لقد كن كما يبدو، معيزات مستقلات، راغبات بأي ثمن في الهواء الطلق والحرية.

وارتاع السيد (سيجان) الطيب القلب الّذي لم يكن يفهم شيئًا من خلق عجماواته. فكان يقول:

ـ لقد قضي الأمر، إن المعيز ضيقة بعشرتي، ولن أستطيع اقتناء ولا واحدة.

ولكنه لم يستيئس، وبعد أن فقد ست عنزات بالأسلوب نفسه، اشترى عنزة سابعة؛ غير أنه حرص في هذه المرة على اصطفائها حديثة السن لكي تحسن الإقامة لديه ولكي

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

يربطها به ألفة أوثق.

آه! (جرنجوار)، ما كان أجملها عنزة السيد (سيجان) الصغيرة! ما كان أجملها بعينيها الحلوتين ولحيتها القصيرة، وحوافرها السود البراقة، وقرنيها الملفوفين، وشعرها الأبيض الطويل الّذي كان يتهدل على جسمها! لقد كادت تصيح في روقة جدي (أزميرالدا)، أتذكره يا (جرنجوار)؟ ثم كانت وديعة، ملقة، تدع للحالبين أن يحلبوها من غير أن تتحرك ومن غير أن تضع قدمها في الطَّسْتِ. فما كان أحبها إلى النفس...

وكان للسيد (سيجان) في ظاهر داره حظيرة يحوطها الشجر،و هناك وضع النازلة الجديدة، وربطها إلى وتد في أجمل بقعة من المرج مستوصيًا بأن يمد لها الحبل طويلًا. وراح يتفقدها بين حين وآخر ليرى إن كانت حالها على ما يرام. ولقد وجدت العنزة نفسها سعيدة راضية، ومضت تقضم العشب فرحة مغتبطة حتى خلب ذلك السيد (سيجان)، فقال في نفسه:

ـ أخيرًا ها هي ذي عنزة لن تسأم العيش عندي!

أخطأ (مسيو سيجان)، فقد سئمت العنزة.

ذات يوم حدثت نفسها، وهي تنظر إلى الجبل هذا الحديث:

لا بد أن يكون المقام هنيئًا هناك في عل! ما أجملها من حياة! ما ألذ الوثوب في الجحيم من غير هذا الرسن البغيض الّذي يسلخ الرقبة!... إنه لخليق بالحمار والعجل أن يسوما في حظيرة!... أما الأعنز فينبغي لهن المرعى العريض.

ومنذ هذه اللحظة بدا لها عشب الحظيرة عديم المذاق. واستولى عليها السأم فأنضاها، وكاد يغيض لبنها. ولوأنّك قد رأيتها وهي تجذب طيلة اليوم رسنها، ورأسها ميمم صوب الجبل، ومنخارها مفتوح قائلة "مي..." في حزن لرثيت لها، وأشفقت عليها.

ولاحظ السيد (سيجان) أن شيئًا قد أصاب عنزته، ولكنه لم يكن يعرف ما هذا الشيء... حتى إذا انتهى من حلبها ذات صباح، التفتت العنزة وقالت له في لهجتها العامية:

ـ اسمع يا (مسيو سيجان)، إن السأم ينضيني لديك، دعني أذهب إلى الجبل.

ـ آه ياربي!... وهي أيضًا؟

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كذلك صاح السيد (سيجان) مشدوهًا، ومن هول الصدمة سقط الإناء من بين يديه، ثم جلس الرجل في العشب إلى جانب عنزته يقول لها:

ـ كيف يا (بلانكيت)؟ أتريدين أن تهجريني؟

فأجابت (بلانكيت):

ـ نعم يا (مسيو سيجان)!

ـ أو ينقصك العشب هنا؟

ـ أوه كلا يا (مسيو سيجان).

ـ لعلك مشدودة إلى حبل قصير، أتريدين أن أمد لك الحبل؟

ـ وفر على نفسك هذا العناء يا (مسيو سيجان).

ـ إذن فما الّذي يلزمك؟ ماذا تريدين؟

ـ أريد أن أذهب إلى الجبل يا (مسيو سيجان).

ـ أفلا تعلمين أيتها الشقية أن الذئب هناك؟ فماذا أنت فاعلة إذا أتى؟

ـ أقرعه بقرني يا (مسيو سيجان).

إن الذئب ليسخر من قرنيك. لقد نهش من معزي ذوات قرون لا يدانيها قرناك. أتعرفين المسكينة (رينود) الّتي كانت هناك السنة الماضية؟ عنزة رائعة من سيدات الماعز، قوية الشكيمة، شريرة كالتيس. لقد باتت تقارع الذئب الليل كله، وفي الصباح أكلها الذئب.

واأسفاه على (رينود) المسكينة! اللّه يرحمها! غير أنه لا بأس عليّ يا (مسيو سيجان)، دعني أذهب إلى الجبل.

قال السيد (سيجان): "يا رحمة اللّه!.. فما هذا الّذي كتبه القدر على أعنزي؟ هي ذي عنز أخرى سيأكلها الذئب مني. لا.. لا.. لأنقذنك على الرغم منك أيتها المتمردة! وخشية أن تقطعي رسنك سأحبسك في مربط الماشية، ولسوف تقيمين فيه أبدًا".

وهنا زج السيد (سيجان) بالعنزة في مربط حالك الظلمة؛ أغلق عليها بابه بدورتي المفتاح. بيد أنه نسي النافذة، فما كاد يدير ظهره حتى أفلتت العنزة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أتضحك يا (جرنجوار)؟ أضحك! فإني موقن أنك من حزب المعيز ومن خصوم السيد (سيجان) الطيب. ولكنا سنرى إن كنت ستواصل الضحك عما قليل.

حينما بلغت العنزة البيضاء الجبل، طرب الجبل عن بكرة أبيه وانتشى. ما رأت شجرات الصنوبر العتيقة في حياتها شيئًا أرق من ذلك فاستقبلتها هناك استقبال ملكة صغيرة. وانحنت أشجار الكستناء حتى أديم الأرض لكي تربت عليها بذوائب أغصانها. وتفتحت أزهار الرتم في طريقها، وفاحت بالأريج جهدها؛ لقد احتفى بها الجبل كله.

وإنك لتقدر يا (جرنجوار) كم أضحت عنزتنا سعيدة! لا رسن، ولا وتد، ولا شيء يعوقها عن الوثب كما تهوى أو عن السوم كما تشاء... فهناك كان الكلأ حقًّا! كلأ يغطي القرنين يا عزيزي!... ويا له من كلأ لذيذ، مهفهف، شتيت الألوان.. فما أبعد ما كان الفرق بينه وبين عشب الحظيرة! وناهيك بالأزهار!... زرقاء عريضة، وحمراء قانية طويلة الكؤوس، بل قل غابة بأكملها من الزهر الطافح بأصناف الرحيق العاتية!...

ومضت العنزة البيضاء نصف سكرى تتمرغ في ذلك النبت، سيقانها في الهواء، محاذية تلك المنحدرات، مختلطة بالأوراق الساقطة والكستناء. ثم تنهض فجأة في قفزة واحدة فتقوم على أربع. انظر، ها هي ذي قد انطلقت ورأسها ممدود إلى الأمام خلال الأحراش والأدغال، تارة تتسنم ذروة، وتارة تهبط إلى قاع، فكنت تراها في عل وفي أسفل وفي كل مكان حتى ليخيل إليك أن في الجبل عشرات عنزات للسيد (سيجان).

ذلك أنها لم تكن خائفة من شيء، تلك (البلانكيت).

و جعلت تقفز سيولًا كانت تلطخها وهي تعبرها بالغبار البليل والزبد، ثم تروح تتمطط والماء يقطر منها على صخرة ملساء تجفف فوقها جسمها في الشمس... وبينما هي تتقدم على شفا نجد وبين أسنانها زهرة من أزهار القصاص، أبصرت تحتها في حضيض السهل بين السيد (سيجان) ومن خلفه الحظيرة فأضحكها ذلك حتى استدر الضحك من عينيها الدموع. قالت:

ـ ما أصغر هذا! كيف صبرت على المكث فيه؟

يا للصغيرة المسكينة! لقد ظنت وهي واقفة تشرف على الدنيا من حالق أنها كبيرة حجم الدنيا على الأقل...

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

جملة القول، لقد طاب يوم عنزة السيد (سيجان). ونحو منتصف النهار، إذ كانت تعدو ذات اليمين وذات اليسار، التقت بقطيع من الوعل كان يقضم كرمًا بريًّا ملء أسنانه. فأثارت عداءاتنا الصغيرة ذات الثوب الأبيض مشاعر القوم. ولقد أفسحوا جميعهم لها أجمل مكان من الكرم، وأظهر أولئك السادة أدبًا جمًّا... بل ويبدو -وهذا ينبغي أن يظلّ سرًّا بيننا يا (جرنجوار)- أن وعلاً شابًّا أسود الجلد أسعده الحظ بأن يقع من قلب (بلانكيت) موقعًا حسنًا، فهاما بين الغابة ساعة أو ساعتين، وإن أردت أن تعرف ماذا قال كل لصاحبه فاذهب وسل الينابيع اللاغية الّتي تنساب تحت الخضرة لا يلمحها أحد.

وفجأة برد الهواء، واكتسى الجبل لونًا بنفسجيًّا: لقد كان المساء... قالت العنزة الصغيرة:

ـ منذ الآن!

ووقفت مشدوهة.

وفي أسفل الجبل، أمست الحقول يغمرها الضباب. وتوارت حظيرة السيد (سيجان) في هذا الضباب ولم يعد يرى الناظر من الدار إلّا سقفها ينبعث منه شيء من الدخان. وأصاخت إلى أجراس قطيع كان الرعاة عائدين به، فاستولى الحزن على نفسها... ومسها بجناحيه طائر هابط إلى وكره فارتعشت... ثم انطلق عواء في الجبل:

ـ هووو !هووو!

فتذكرت الذئب ولم تكن الطائشة قد فكرت فيه من يومها كله... وفي تلك اللحظة هتف بوق هناك في الوادي بعيدًا. أنه (المسيو سيجان) لقد كان هذا الرجل الطيب يحاول محاولة أخيرة.

وعوى الذئب: هووو! هووو!

وصاح البوق: ارجعي! ارجعي! وودت (بلانكيت) أن ترجع، لكنها إذ تذكرت الوتد والرسن وسياج الحظيرة، رأت أنها الآن لن تستطيع أن تعيش ذلك العيش، وأن من الأفضل لها أن تمكث حيث هي.

وانقطع صوت البوق.

وسمعت العنزة وراءها حفيفًا من الأوراق، فالتفتت، وإذا هي ترى في الظلام أذنين

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

قصيرتيـن، مسـتقيمتين منتصبتيـن، ومقلتيـن براقتيـن... لقـد كان الذئـب جسـيمًا، ضخمًـا، سـاكنًا، كان مُقْعِيًّـا هنـاك ينظـر إلـى العنـزة الصغيـرة البيضـاء ويتذوقهـا فـي شـهية قبـل أن يفترسـها. لـم يتعجـل الذئـب، لأنـه كان واثقًـا مـن أنـه لابـد آكلهـا، وإنمـا -حيـن التفتـت- أخـذ يضحـك فـي شـر:

ـ ها..ها! يا عنزة السيد (سيجان) الصغيرة.

أحسـت (بلانكيـت) أنهـا هالكـة... وتذكـرت فـي لحظـة قصـة المرحومـة (رينـود) الّتـي قارعـت الذئـب طيلـة الليـل لكـي يلتهمهـا الذئـب فـي الصبـاح، ففضلـت الاستسـلام فـي الحـال، ثـم عدلـت عـن رأيهـا، ووقفـت موقـف الدفـاع، حانيـة رأسـها، شـاهرة قرنيهـا، كمـا يجـدر بعنـزة السـيد (سـيجان) أن تفعـل. لا ترجـو مـن ذلـك أن تقتـل الذئـب -فإن المعـزة لا تقتـل الذئـب- بـل لكـي تـرى هـل تسـتطيع أن تصمـد صمـود (رينـود)؟

إذ ذاك تقدم الوحش، وبدأ القرنان الصغيران يرقصان.

آه! يـا للعنيـزة الباسـلة، مـا كان أروع إقدامهـا علـى القتـال! لقـد اضطـرت الذئـب أكثـر مـن عشـر مـرات، ولا أكذبـك يـا (جرنجـوار)، إلـى التقهقـر حتـى يسـتعيد أنفاسـه. وفـي كل هدنـة كانـت الشـرهة تقتطـف فـي عجلـة عـودًا مـن عشـبها الحبيـب. ثـم تعـود إلـى القتـال مملـوءة الفـم... واتصـل ذلـك سـواد الليـل. وبيـن حيـن وآخـر كانـت عنـزة السـيد (سـيجان) تنظـر إلـى النجـوم ترقـص فـي السـماء الصافيـة فتقـول فـي نفسـها:

ـ أوه! لا بد أن أصمد حتى الفجر...

وراحـت تنطفـئ النجـوم... نجمًـا بعـد نجـم. فضاعفـت (بلانكيـت) مـن ضربـات قرنيهـا، وضاعـف الذئـب مـن ضربـات أسـنانه... وبـدا فـي الأفـق ضـوء شـاحب... وارتفـع مـن أحـد المـزارع صيـاح ديـك أبـح.

ـ أخيرًا!

قالتهـا العنـزة المسـكينة الّتـي لـم تكـن تنتظـر إلّا الفجـر لكـي تمـوت، وتمـددت علـى الأرض فـي فرائهـا الأبيـض الّـذي تلطـخ كلـه بالـدم.

هناك انقض الذئب على العنزة الصغيرة والتهمها.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ـ وداعًا يا (جرنجوار)!

ليست القصة الّتي سمعتها حكاية من إنشائي. فلو قد جئت يومًا إلى (البروفانس) لحدثك فلاحونا، أحيانًا كثيرة، في لغتهم الدارجة الجميلة، حديث عنزة السيد (سيجان) "التي قضت الليل كله تقرع الذئب ثم أكلها الذئب في الصباح".

أفاهم أنت عني يا (جرنجوار): "ثم أكلها الذئب في الصباح".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أسطورة الرجل ذي المخ الذهبي

(ألفونسو دوديه) *

إلى السيدة الّتي تطلب قصصًا مرحة.

كأنـي بضميـري قـد أنبنـي وأنـا أقـرأ رسـالتك يـا سـيدتي، لقـد لَحَيْـتُ نفسـي علـى لـون أقاصيصي هـذا الضـارب إلـى السـواد أكثـر ممـا ينبغـي، وقطعـت علـى نفسـي عهـدًا أن أقـدم لـك اليـوم شـيئًا بهيجًـا بجنـون.

و لمـاذا ينبغـي أن أحـزن بعـد هـذا كلـه؟ إنـي أقيـم بعيـدًا جـدًّا مـن ضبـاب (باريـس) وقتامتهـا، فـوق تلـة مشـرقة بالنـور.

و ليـس حـول بيتـي إلّا الشـمس والموسـيقا؛ فـإن عنـدي جوقـات مـن شـتى أنـواع الطيـر؛ عنـدي فـي الصبـح عصافيـر؛ وفـي الظهـر جنـادب؛ وبعـد ذلـك الرعـاة الذيـن يعزفـون علـى المزمـار، الحـق أن هـذا الربـع لا يلائـم الأفـكار السـوداء؛ والأحـرى بـي أن أبعـث للسـيدات بقصائـد ورديـة اللـون وسـلال مـلأى بالقصـص الأنيقـة.

بـل كلا! فمـا زلـت شـديد القـرب مـن (باريس). وإنهـا لترسـل إلـي كل يـوم، حتـى وأنـا بيـن شـجرات صنوبـري، رشاشًـا مـن حمـأة أحزانهـا، وهأنـذا وأنـا أكتـب الآن هـذه السـطور أقـف علـى الميتـة اليابسـة الّتـي أماتهـا (شـارل بابـارا) المسـكين؛ وإن طاحونتـي مـن هـذا النبـأ لفـي حـزن وحـداد، وداعًـا أيّتهـا العصافيـر والجنـادب! لـن يميـل قلبـي إلـى شـيء مـرح... ولذلـك يـا سـيدتي بـدلًا مـن القصـة الجميلـة العابثـة الّتـي عاهـدت نفسـي علـى أن أكتبهـا لـك، لـن تصيبـي اليـوم أيضًـا إلّا أسـطورة حزينـة.

كان فـي قديـم الزمـان رجـل لـه مـخ مـن الذهـب، نعـم يـا سـيدتي! مـخ كامـل مـن الذهـب! وحينمـا جـاء إلـى الدنيـا ظـن الأطبـاء أن هـذا الطفـل لـن يعيـش، لأنـه كان ثقيـل الـرأس ضخـم الجمجمـة. ولكنـه عـاش ونمـا فـي الشـمس، كمـا تترعـرع شـجرة جميلـة مـن شـجر الزيتـون، إلّا أن رأسـه الغليـظ كان يجـرره دائمًـا، فـكان يثيـر إشـفاق الناظـر إليـه أن يـراه يصطـدم وهـو يمشـي بقطـع الأثـاث جميعهـا... وكثيـرًا مـا كان يسـقط علـى الأرض. وذات يـوم تدحـرج مـن أعلـى درج،

* كاتب فرنسي (1840-1897).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ونطـح بجبهتـه إحـدى درجـات السـلم المرمريـة حيـث رنـت جمجمتـه كأنهـا سـبيكة، وظـن القـوم أنـه مـات؛ ولكنهـم إذ أنهضـوه لـم يجـدوا سـوى جـرح خفيـف، تصحبـه قطرتـان أو ثـلاث قطـرات صغيـرة مـن الذهـب خاثـرة فـي شـعره الأشـقر، وهكـذا عـرف الوالـدان أن للغـلام مخًّـا مـن الذهـب.

وظـل الخبـر طـي الكتمـان؛ ولـم يـدر الصغيـر المسـكين نفسـه مـن الأمـر شـيئًا ، وكان يسـأل مـن حيـن إلـى حيـن: لمـاذا لا يدعونـه يجـري أمـام البـاب مـع غلمـان الشـارع كمـا كان يفعـل مـن قبـل، فكانـت تجيبـه أمـه:

ـ لئلا يسرقوك، يا كنزي الجميل!

وهنـا كان الطفـل يخشـى أن يختطفـه أحـد؛ وكان يعـود فيسـتأنف اللعـب وحـده، دون أن يقـول شـيئًا، ويجـرر نفسـه فـي ثقـل مـن غرفـة إلـى أخـرى...

وعندمـا بلـغ الثامنـة عشـرة، كشـف لـه والـداه -إذ ذاك فقـط- سـرَّ الهبـة الجبـارة الّتـي خصـه بهـا القـدر، ولمـا كانـا قـد ربيـاه وكفـلاه حتـى ذلـك الوقـت، فقـد طالبـاه بشـيء مـن ذهبـه مقابـل هـذا، ولـم يتـردد الولـد، بـل انتـزع فـي الحـال مـن جمجمتـه -كيـف..؟ بـأي الوسـائل..؟ لـم تقـل الأسـطورة- كتلـة مـن الذهـب، قطعـة غليظـة فـي حجـم الجـوزة، ألقاهـا بفخـر علـى ركبتـي أمـه... ثـم وقـد بهرتـه مـوارد الثـراء الّتـي كان يحملهـا فـي رأسـه، هجـر بيـت أبيـه ومضـى يجـوب الدنيـا مبـذرًا كنـزه.

ومـن أسـلوبه المتـرف فـي الحيـاة، وإغراقـه فـي بـذخ الملـوك، ونثـره الذهـب بـلا حسـاب، كان يخيـل للنـاس جميعهـم أن مخّـه زخـر لا ينضـب... ولكنـه نضـب مـع ذلـك، وكان الناظـر إليـه يومًـا بعـد يـوم يسـتطيع أن يـرى عينيـه تنطفـآن ووجنيتـه تغـوران. وأخيـرًا، غـداةَ مجـونٍ مجنـونٍ، جلـس الفتـى البائـس وحـده بيـن فضـلات الوليمـة والثريـات الّتـى أخـذ نورهـا يشـحب، فأفزعـه النقـب الهائـل الّـذي قـد أحدثـه فـي سـبيكته، يجـب إذن أن يتوقـف فـي الحـال.

ومنـذ ذلـك الوقـت بـدأ حيـاة جديـدة،وراح ذو المـخ الذهبـي يعيـش فـي عزلـة، مـن عمـل يديـه، مرتابًـا هيابًـا كرجـل بخيـل، هاربًـا مـن كل إغـراء، محـاولًا أن ينسـى هـو هـذا الثـراء الّـذي لـم يعـد بعـد ذلـك يمسـه.... ولكنـه كان صديـق لـه قـد تبعـه إلـى معتزلـه، وكان هـذا الصديـق يعـرف سـره.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وذات ليلة، هبّ الرجل المسكين فزعًا وقد أيقظه ألم في رأسه، ألم هائل؛ فنهض موزع النفس، ورأى -في شعاعة من شعاع القمر- ذلك الصديق وقد لاذ بالفرار وهو يخفي شيئًا تحت منعطفه....

هو ذا جزء آخر من مخّه ينتزعونه منه!

و بعد أن نجا من هذا الحادث، أحبّ من أعماق نفسه امرأة صغيرة، شقراء، وأحبّته هي أيضًا، ولكنها كانت تؤثر القبعات المزينة، والريش الأبيض، والأهداب البنية القانية الرشيقة .

وبين يدي هذه المخلوقة اللطيفة -الّتي كان نصفها طائرًا، ونصفها دمية- انهالت قطع الذهب الصغيرة، ويا لها من لذة! كانت في تلك الغادة ألوان النزق جميعها، وكان هو لا يعرف مرة أن يقول لا، بل لقد كتم عنها حتى آخر الأمر -خشية أن يؤلمها- سر ثروته المحزن.

كانت تقول له: إننا إذن لغنيان؟

فكان الرجل المسكين يجيب: أوه! أجل... غنيان جدًّا!

وكان يبتسم في ثقة للطائر الأزرق الّذي أضحى يأكل.. يأكل منه الجمجمة في براءة. على أن الخوف كان يأخذه أحيانًا فيهيج به أن يبخل ويقتر؛ إلّا أن المرأة الصغيرة إذ ذاك كانت تقبل عليه قائلة:

- زوجي الّذي أنت غني كل هذا الغنى! اشتر لي شيئًا ثمينًا غاليًا...فكان يشتري شيئًا ثمينًا غاليًا .

واستمرّ ذلك مدى سنتين؛ ثم ذات صباح، ماتت المرأة الصغيرة، دون أن يدري أحد لماذا، كما يموت الطائر... وأوشك الكنز أن ينضب، وبالذي بقي له منه، شيع الأرمل عزيزته الراحلة أحسن تشييع. أجراس مع هبيب الريح، ومركبات ثقال مجللة بالسواد، وجياد مزدانة بالريش، ودموع من الفضة في المخمل... لم يبد له شيء من ذلك ممتازًا. وماذا يجديه ذهبه الآن؟ لقد أغدق منه على الناس جميعهم، دون مساومة... ولذا حين خرج من المدافن، لم يكد يبقى له شيء من ذلك المخ العجيب، اللّهم إلّا جزئيات عالقة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بعظام الجمجمة.

هناك رآه الناس يهيم في الشوارع شارد النفس، مادًّا يديه، مترنحًا، وفي المساء، حين تألقت الأسواق، وقف أمام واجهة متجر عريضة حافلة بخليط من الأقمشة والحلي يتلألأ بين الأنوار الموقدة، وظل هناك طويلًا يرنو إلى حذاء رقيق من الديباج الأزرق يعلو حافته إطار من زغب البجعة. لقد كان يقول لنفسه وهو يبتسم: إني أعرف امرأً يُدخل السرور عليه هذا الحذاء، وقد أمسى لا يذكر أن زوجته الصغيرة قد ماتت، ودخل ليشتري الحذاء.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وداعا يا كورديرا

(ليوبولدو آلاس) *

كانوا ثلاثة - دائمًا نفس الثلاثة: (روزا) و(بنيين) و(كورديرا).

كان مرج (سومونتي) رقعة مثلثة من الخضرة المخملية انتشرت كسجادة عند سفح التلة، امتد ضلعها السفلي بعيدًا حتى التقى بخط السكة الحديدية الآتي من (أفيرو) إلى (جيجون)، ووقف عمود (التلغراف) كسارية العلم في زاوية الحقل، يمثل بمنظره لـ(روزا) و(بنيين) العالم البعيد: وهوعالم مجهول غامض يجب أن يبقى مرهوبًا ومنسيًّا أبدًا.

فبعد أن قلب (بنيين) الأمر جديًا، وهو يرقب العمود الهادئ المسالم يومًا بعد يوم، توصل نهائيا إلى الاعتقاد بأنه ليس إلّا شجرة جافة، وأن الكؤوس الزجاجية المعلقة في أعلاه ما هي إلّا نوع من الفاكهة الغريبة. وبهذا اكتسب من الثقة ما يكفيه لكي يتسلق عليه حتى كاد يمس الأسلاك. إلّا أنه في تسلقه لم تدرك يده الكؤوس مطلقًا، لأنها ذكرته بشكلها ببعض الأواني، ولم يستطع أن ينفض عنه شعور الرهبة إلّا بعد أن كان ينزلق ويثبت رجليه ثانية على الأرض الخضراء بأمان.

غير أن (روزا)، وهي الأقل جرأة ولكنها أكثر عشقًا للمجهول، كانت تقنع بالجلوس تحت عمود (التلغراف) لساعات طويلة، تصغي إلى الريح وهي تجتذب من الأسلاك أغنية صافية ساحرة وتمزجها بتنهدات صادرة من قلب أشجار الصنوبر.

ففي بعض الأحيان كانت هذه الاهتزازات تسمع وكأنها موسيقا، وكانت لـ(روزا) أشبه بهمسات ترحل عبر الأسلاك من مجهول إلى مجهول، لم يكن لديها شيء من حب الاستطلاع لتعرف ماذا يقول الناس من طرفي الدنيا المتقابلين، الواحد منهم للآخر، لم يهمها ذلك بكثير أو قليل. إنما هي تصغي إلى الصوت لنغمته الجميلة وغموضه الغريب.

ولكن (كورديرا) وقد بلغت من العمر أنضجه، كانت واقعية أكثر من رفيقها. لقد انزوت عن العالم، وجعلت تتأمل عمود (التلغراف) من بعيد، وتفكر بأنه شيء عديم الحياة لا يصلح لشيء إلّا أن تحك نفسها به.

كانت (كورديرا) بقرة رأت من الدنيا كثيرًا، كانت تجثم في الحقل ساعات طويلة تقتل

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

وقتها بالتأمل، عوضًا من أن تقيت نفسها، وتتمتع بهدوء الحياة وزرقة السماء محاولة طيلة الوقت أن تحسن عقلها.

كانت دائمًا تشارك الوَلَدَيْنِ اللذين عهد إليهما بحراستهما في أثناء ألعابهما، ولو استطاعت لضحكت لتلك الفكرة! (روزا) و(بنيين) مكلفان بالاعتناء بها -هي (كورديرا)! لحفظها داخل المرعى ومنعها من القفز فوق السياج والشرود بمحاذاة الخط الحديدي كأنها جد ميالة للقفز والشرود، وما الّذي يحذو بها إلى التدخل بشؤون الخط الحديدي؟

لقد كان من دواعي غبطتها أن ترعى بهدوء وتنتقي بعناية أشهى القضمات دون أن ترفع رأسها لتنظر حولها باستطلاع عديم الفائدة، وبعد ذلك تضطجع إما للتأمل أو لتتذوق نعمة عدم المشقة. غير أن راحتها الفكرية تنغصت كثيرًا عندما دشن الخط الحديدي وكاد يصيبها بالجنون من الهلع عندما رأت القطار وهو يجتاز مجعجعًا لأول مرة؛ قفزت فوق الحائط الحجري إلى الحقل المجاور، واشتركت مع بقية الماشية بحركاتها الجنونية... ودام فزعها لعدة أيام متتالية، يتضاءل قليلًا ثم يعود عليها بشدة كلما خرجت الآلة المتحركة من فم النفق.

رويدًا رويدًا أخذت تتحقق أن القطار عديم الأذى: خطر يمر دائمًا بسلام، مصيبة تتوعد ولكنها لا تنزل، وبذلك أخذت تقلل من حيطتها، وما عادت تدفع برأسها إلى الأسفل في موقف الدفاع عن نفسها. ثم أخذت تنظر إلى القطار من دون أن تجشم نفسها حتى مشقة النهوض، وفي النهاية فقدت نفورها منه بالمرة ولم تعد تنظر إليه إطلاقًا.

ولكن جدة القطار أحدثت في نفسي (روزا) و(بنيين) تأثيرات أشد وأعمق. فقد أخذا في البدء ينفعلان بفرح ممزوج برهبة غريبة جعلتهما يرقصان بوحشية ويطلقان صرخات عالية. ثم تحول هذا الشيء إلى أشبه بملهاة هادئة تتكرر عدة مرات في اليوم كلما راقبوا الحية الحديدية الهائلة وهي تنساب بسرعة بحملها من الناس الغرباء.

ولكن عمود (التلغراف) والسكة الحديدية وما كان ينجم عنهما من أحداث إنما كانت قصيرة الأمد سرعان ما تتلاشى في بحر تلك الوحدة الّتي تحيط بمرج (سومونتي) فلا يرى أحد من الأحياء ولا يسمع صوت من العالم الخارجي.

وفي الصباح تلو الصباح كان الطفلان والبقرة يترقبون مجيء الظهيرة، تحت أشعة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الشمس المحرقة وبين طنين الحشرات المتقاطرة، يرجعون إلى البيت. وفي الأمسيات الطويلة الكئيبة ينتظرون مجيء الليل مرة أخرى.

طالت الظلال وهدأت العصافير وبزغ نجم هناك في القسم المعتم من السماء، وانعكست في روحي الطفلين وداعة الطبيعة المستكينة، وفي أثناء جلوسهما قرب (كورديرا) كانا يلوذان بأذيال صمت حالم، لا يشوبه إلّا رنين ناعم من جرس البقرة بين الحين والحين. كشقي ثمرة خضراء، هكذا كان الطفلان يلازم كلاهما الآخر ولا يفارقه. كانا متحدين بحنان قائم على معرفتهما الضئيلة عمّا كان غريزيًّا فيهما ، وعمّا جعلهما شخصين اثنين وامتد هذا الحنان إلى (كورديرا) البقرة الأم، وهي بدورها قابلت على قدر طاقتها حب الولدين اللذين كانا مكلفين بحراستها بحب مماثل على طريقتها التلقائية.

وكثيرًا ما كانت تعامل بخشونة كلما اشتركت معهما في ألعابهما الصبيانية، ولكنها في كل مرة تظهر صبرًا وتسامحًا عجيبين وعطفًا تبديه بكثير من التفكير والهدوء.

غير أن (أنطوان دي شينتا)، والد الطفلين لم يكن قد امتلك (سومونتي) إلّا منذ أمد قريب، فتمتعت (كورديرا) بامتياز هذا المرعى الخصيب بعد أن كانت تضطر إلى التجوال في الطرقات العامة للحصول على طعامها من الأعشاب الزهيدة الّتي تنبت على حواشيها.

ففي تلك الأيام العصيبة من الفقر والحرمان كانا (بنيين) و(روزا) يبحثان لها عن أحسن البقع الملائمة ويحميانها بوسائل شتى من سوء المعاملة الّتي تتعرض لها الحيوانات المضطرة إلى البحث عن قوتها في الأراضي العامة.

و في أيام الزريبة الهزيلة عندما كان العلف نادرًا واللفت مفقودًا، كانت البقرة مدينة للطفلين عن ألف لفتة صغيرة سهلت عليها الحياة وجعلتها أمرًا يطاق.

وفي تلك الفترة المليئة بالبطولة الواقعة بين بطولة عجولها وبين فطامها، عندما كان ينبعث ذلك السؤال الّذي لا مفر منه عن كمية الحليب الّذي يجب أن تحصل عليها عائلة (دي شينتا)، ومدى ضرورته بصغارها كنت تجد (بنيين) و(روزا) يقفان بجانب (كورديرا). كثيرًا ما كانا يطلقان سراح العجل الصغير لينطلق بفرح جنوني متعثرًا بكل ما يصادفه في طريقه، بحثًا عن الطعام والحماية تحت جسم والدته الرحب، بينما كانت هذه تلتفت برأسها نحو الطفلين بنظرة ملؤها حنان وامتنان.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

إن روابط كهذه لا يمكن أن تفصم وذكريات كهذه لا يمكن أن تمحى ولكن (أنطون دي شينتا) توصل إلى أنّ أحلامه الذهبية بتوسيع زريبته تدريجيًّا لن تتحقق. إنه باقتنائه تلك البقرة الوحيدة بألف اقتصاد وحرمان، لم يجد نفسه عاجزًا عن اقتناء بقرة أخرى فحسب، بل وجد نفسه في النهاية عاجزًا عن دفع الإيجار، لقد رأي في (كورديرا) ملكه الوحيد يعتمد عليه، ولكنه تحقق من أنها يجب أن تباع رغم اعتبارها إحدى أفراد العائلة، ورغم وصية زوجته وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة بأن (تلك البقرة عماد حياتهم في المستقبل)، فبينما كانت الأم مضطجعة على فراش الموت في غرفة فصلت عن الزريبة بحاجز حيك من سيقان السنابل الجافة، حولت أنظارها المجهدة نحو (كورديرا)، كأنها ترجوها بصمت أن تكون أمًّا ثانية للطفلين، وأن تمنحهما من الحنان الّذي لا يفهمه أبوهما، فقرر (أنطوان دي شينتا) كل ذلك ولم يقل للطفلين عن حاجته الملحة لبيع البقرة.

وفي صباح أحد الأيام، وكان يوم سبت، نهض باكرًا وانتهز فرصة نوم (روزا) و(بنيين)، وشرع بقلب مثقل يسوق (كورديرا) أمامه ميمّمًا وجهه شطر (جيجون).

ولما نهض الطفلان كانا في حيرة من أمر غياب والدهما المفاجئ، ولكنهما شعرا متيقنين بأن البقرة رافقته غير طائعة.

ولما أرجع والدهما الحيوان في المساء وهو مرهق مكسو بالغبار -ليعطيهما سببًا لغيابه- أحسا بوقوع الخطر.

لم تبع البقرة، إذ إنه بمنطق الحنان والمودة المصطنعين. كانا قد وضع السعر عاليًا لكي لا يستطيع أحد دفعه، فكان يتجهم لكل مشتر منتظرًا واثقًا من أنه سيصل المبلغ الّذي قرره بعناد، وكان يهدئ من اضطراب ضميره بقوله لنفسه إنه متأكد من رغبته في البيع، وإنما الذنب ذنب الآخرين الذين لا يدفعون الثمن الّذي تستحقه (كورديرا)، وهكذا قفل عائدًا إلى البيت يرافقه عدد من جيرانه المزارعين، الذين كانوا يسوقون مواشيهم أمامهم بمشقة تتوقف شدتها على قصر أو طول العشرة الّتي بين الحيوان وسيده.

أما (بنيين) و(روزا) فمن اليوم الّذي بدآ يشكان فيه بأن هناك أمرًا مؤلمًا ينتظرهما لم يرتح لهما فكر، وسرعان ما تحققت أسوأ مخاوفهما عند ما ظهر صاحب البيت وهو يتوعدهم بإخلاء المكان.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ولذلك يجب أن تباع (كورديرا) ولربما بيعت بثمن فطور فقط.

وفي يوم السبت التالي رافق (بنيين) والده إلى سوق بلد مجاور حيث نظر الولد إلى القصابين المسلحين بأسلحة الذبح بفزع بالغ، وبيع الحيوان إلى أحد هؤلاء، وبعد أن وسمت البقرة بالحديد والنار أرجعت إلى زريبتها وجرسها يجلجل طول الطريق بحزن.

كان (أنطون) صامتًا وكانت عينا الولد حمراوين منتفختين. وعند سماع (روزا) خبر البيع رمت ذراعيها حول عنق (كورديرا) وأجهشت بالبكاء.

الأيام التالية كانت أيامًا مملوءة بالحزن والأسى في مرج (سومونتي) بينما كانت (كورديرا) -وهي تجهل المصير الّذي ينتظرها- هادئة وديعة، كما حلا لها أن تبقى كذلك حتى اللحظة الّتي سيهوي عليها الساطور بضربته الوحشية.

ولكن (بنيين) و(روزا) لم يكن في وسعهما أن يفعلا شيئًا إلّا الاضطجاع على العشب في صمت متواصل، لا أمل لهما في أية تعزية في المستقبل، وكانا ينظران نظرة كراهية إلى أسلاك (التلغراف) والقطارات المارة الموصولة بذلك العالم البعيد كل البعد عن إدراكهما، العالم الّذي سوف يسلبهما رفيقتهما وصديقتهما الوحيدة.

وبعد بضعة أيام حصل الفراق، وأتى القصاب حاملًا النقود المتفق عليها. وسأله (أنطون) هل يرغب في شرب الشاي، وأرغمه على سماع فضائل البقرة الممتازة.

لم يستطع الأب أن يصدق أن (كورديرا) ستذهب إلى سيد آخر لن يعاملها معاملة حسنة، فأخذ يعدد ميزاتها البيتية ومقدرتها على در الحليب وصلابتها تحت النير، والآخر يبتسم وهو يفكر بالمصير الّذي ينتظرها.

وقف (بنيين) و(روزا) وأيديهما متشابكة ينظران إلى العدوّ من بعد، ويفكران بحزن بالماضي وذكرياته الملأى بـ(كورديرا). وقبل أن تساق نهائيًا بيد القصاب، ارتميا على عنقها وغطياه بالقبل. ثم تبعها الطفلان في الطريق الضيقة المنحدرة، وشكلا مع البقرة المتأففة وسائقها غير المبالي جماعة كئيبة وفي النهاية توقفا عن المسير وأخذا يرقبان البقرة وهي تختفي تدريجيًا في ظلال شجيرات العليق المتاخمة.

وهكذا اختفت (كورديرا) إلى الأبد.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

انفجرت (روزا) بالبكاء وهي تصرخ: "وداعًا يا (كورديرا)، وداعًا يا (كورديرا)".

وكـرر (بنييـن) وصوتـه يختنـق بالعاطفـة "وداعًـا" ثـم ضـاع ندبـه الحزيـن بيـن أصـوات الليـل الأخـرى.

وفـي صبـاح اليـوم التالـي الباكـر ذهـب (بنييـن) و(روزا) إلـى مـرج (سـومونتي) فلـم تكـن وحشـة فـي يـوم مـن الأيـام شـديدة الوطـأة عليهمـا كذلـك اليـوم، وبـدا لهمـا كأنـه صحـراء قاحلـة.

وفجـأة ظهـر دخـان عنـد فـم النفـق، ثـم أتـى القطـار، فشـاهدا قطيعًـا مـن الأبقـار وقـد حشـد حشـدًا مكتظًـا فـي عربـة تشـبه الصنـدوق اخترقـت جوانبـه نوافـذ ضيقـة.

فهـز الطفـلان قبضتهمـا نحـو القطـار وهمـا أكثـر يقينًـا مـن أي وقـت مضـى بنهـم العالـم وجشـعه "إنهـم يأخذونهـا إلـى الذبـح". "الـوداع يـا (كورديـرا)". "الـوداع يـا (كورديـرا)"

و ألقـى (بنييـن) و(روزا) نظـرة كراهيـة نحـو القطـار وعمـود (التلغـراف)، رمـزي العالـم القاسـي الّـذي سـلبهما رفيقـة سـنوات عـدة لمجـرد إشـباع شـهواته الشـرهة.

"وداعًا يا (كورديرا)".

"وداعًا يا (كورديرا)".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

كلمات

كان السَّـيّد (بلوشـال) جامعًـا للكلمـات. لقـد بـدأ بفعـل ذلـك حيـن كان فـي السّادسـة والخمسـين مـن عمـره، بعـد قراءتـه لمجموعـة مختـارات مـن القصائـد للمـرّة الأولـى. كان كتابًـا صغيـرًا ذا غـلاف ورقـيّ علـى غلافـه زهـرة بنفسـجيّة، رغـم أنّ الرّائحـة الّتـي تفـوح مـن الكتـاب كانـت تتنافـى مـع هـذه الصّـورَة، فقـد كان للكتـاب رائحـة كريهـة نَتِنَـة كالّتـي تتسـلّل إلـى الكتـب بعـد قضائهـا وقتًـا طويـلًا فـي قَبْـوِ الكتـب المسـتعملة.

كان مـن الممكـن ألّا يشـتري السَّـيّد (بلوشـال) المجموعـة الشّـعريّة. ورغـم أنّـه كان يتـردّد بانتظـام علـى متاجـر الكتـب إلّا أنّـه نـادرًا مـا اشـترى كتبًـا. وعندمـا يفعـل كانـت كتبًـا مـن نمـط مختلـف تمامًـا، لقـد كان يمتلـك مكتبـة صغيـرة فـي منزلـه، تتألّـف بشـكل أساسـيّ مـن الكتيّبـات حـول الاعتنـاء بالنّباتـات المنزليّـة مثـلًا، ولـم يكـن لديـه أيّ نبتـة، لكنّـه يعـدّ نفسـه مطّلعًـا كثيـرًا علـى الموضـوع، أو كتيّـب عـن القطـط، ولـم تكـن لديـه قطّـة؛ لأنّـه يعانـي حساسـيّة مـن فِرائهـا. ولكـنْ إنْ سـأله أحدهـم فسـيتمكّن مـن تقديـم نصائـح كثيـرة مفيـدة، كمـا كان لديـه كتيّـب عـن صيانـة المجمِّـدات وإصلاحهـا، وفـي الحقيقـة لـم يكـن بحاجـة إلـى مجمِّـدة، لكـن المعرفـة كانـت أمـرًا يسـتحقّ العَنـاء.

لقـد قـرّر شـراء المجموعـة الشّـعريّة مـن أجـل زهـرة الغـلاف، فقـد كان يعـرف باعتبـاره خبيـر نباتـات أنّ زهـرة كهـذه ليسـت موجـودة، وكان هـذا سـرّ إغوائهـا لـه. أخـذ الكتـاب إلـى المحاسـب بشـيء مـن الاضطـراب، فقـد بـدا مـن غيـر اللّائـق لرجـل فـي عمـره أن يظهـر اهتمامًـا بالشّـعر الرّومانسـيّ، ومـن حسـن حظّـه أنّ البائعـة لـم تنظـر إلـى الغـلاف، واكتفـت بالنّظـر إلـى السّـعر، وتناولـت النّقـود الّتـى أعطاهـا لهـا.

كان يعـرف القليـل عـن الحـبِّ بالطَّبـع، ولـم يكـن ذلـك مـن واقـع خبرتـه الشَّـخصيّة، لكـن هـل كان ذلـك ضروريًّـا؟ يولـد النّـاس غالبًـا بوعـي كهـذا، ولا يمكـن للمـرء أن يكـون بغيـر هـذا الشّـكل، حيـن بـدأ بقـراءة الكتـاب عـاوده الإحسـاس بالتّوتـر، رغـم أنّـه كان يقـرؤه وحيـدًا، حتّـى إنَّـه احمـرَّ خجـلًا، وشـعر بالرّاحـة عندمـا وجـد أنَّ المجموعـة الشِّـعريّة يمكـن اعتبارهـا كتيِّبًـا عـن الحـبِّ، وعندهـا أصبـح كلّ شـيء أكثـر سـهولة وبهجـة.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أصابتـه الدّهشـة عندمـا وجـد أنّ الكلمـات فـي الكتـاب قـد فَتَنَتْـهُ أكثـر مـن الأحاسـيس النّاعمـة السّـامية، ثُـمَّ أدرك فجـأة أمـرًا كان قـد فاتـه الانتبـاه إليـه قبـلًا. الكلمـات الجديـدة موجـودة، ولـم تكـن خاصّـة أو نـادرة بالضّـرورة، بـل كانـت كلمـات عاديّـة، يمكـن العثـور عليهـا في كتـب أخـرى أيضًـا، لكنّهـا لسـبب أو لآخـر لـم تَبْـدُ جميلـة فـي الكتيّبـات أو ربمـا لـم تلتقـط عينـاه جمالهـا.

كلما قرأ أكثر، كان الخوف يغمره أكثر من فقدان شيء ما.

كانـت الكلمـات الَّتـي يخلّفهـا وراءه عندمـا يقلّـب الصّفحـة تشـحب وتختفـي، وتظهـر أخـرى جديـدة لتحـلّ محلّهـا. لكـنّ هـذا لـم يكـن عـزاء كافيًـا لـه، كان عليـه الاحتفـاظ بالسّـابقة بطريقـة مـا، إذ ليـس مـن المعقـول أن يدعهـا تختفـي. كان بإمكانـه العـودة مـن أجلهـا طبعًـا، لكنّـه لـن يتمكّـن مـن إنهـاء الكتـاب أبـدًا. لا، عليـه أن يجـد حـلًّا أفضـل، فلمعـت فـي ذهنـه فكـرة ملهمـة.

اشـترى دفتـرًا ضخمًـا مسـطَّرًا ذا غـلاف جلـديّ، لا بـدّ أن يكـون دفتـرًا رائعًـا ليفـي بالغـرض، ويكـون مسـتودعًا للكلمـات الجميلـة، فكيـف يمكنـه كتابتهـا فـي دفتـر عـاديّ؟ سـيكون ذلـك تدنيسًـا لهـا.

عـاد إلـى أوّل المجموعـة وهـو يحمـل الدّفتـر مفتوحًـا أمامـه، وكلّمـا صـادف كلمـة جميلـة دوّنهـا سـريعًا بقلـم الحبـر خاصّتـه، لـم يكـن مصنوعًـا مـن الذّهـب حقًّـا، لكـن مـن الصّعـب بلـوغ الكمـال.

كان خطّـه أنيقًـا، ولـم يكـن مزخرفًـا بـل مدروسًـا وصارمًـا بعـض الشّـيء، كان جميـلًا بطريقته، وهـو مـا كان لازمًـا فحسـب لتدويـن الكلمـات الجميلـة، ليـس تظليلهـا بـل الانسـجام معهـا، كان يكتـب عـادة بخـطّ كبيـر، لكنّـه جعـل خطّـه أصغـر لهـذه المناسـبة احتياطًـا، فهـو لا يعـرف مقـدار الكلمـات الجميلـة الَّتـي سـيعثر عليهـا، لقـد كان الدّفتـر سـميكًا، لكـن عليـه أن يكـون حـذرًا.

لـم تُواتِـهِ الشّـجاعة لرؤيـة النّتيجـة حتّـى فـرغ مـن كتابـة كلّ الكلمـات الجميلـة فـي المجموعة، هـل سـتحتفظ بجمالهـا فـي دفتـره أم سـتفقده كمـا حـدث فـي الكتيّـب؟ تنفّـس الصّعـداء وهـو يحمـل الدّفتـر إلـى مسـافة قصيـرة، عندمـا تأمّـل عـن كثـب الصّفحـات الأربـع المملـوءة، لـم يكـن جمالهـا كاملًا فحسـب، بـل بـدا أنّـه تعاظـم أيضًـا، وكان هـذا غالبًـا بسـبب وجـود الكلمـات

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

الجميلة وحدها هناك، دونًا عن الأخرى الَّتي لم تكن قبيحة تمامًا، لكنّها ليست مميَّزة بأيّ شكل. كان الدّفتر جمالًا مركَّزًا. تساءل بعد أن أنهى المجموعة: ما الّذي سيفعله تاليًا؟ لم يكن الدَّفتر قريبًا من الامتلاء، بل بدا كأنَّه بالكاد لُمِسَ، فهل سيتركه هكذا؟ سيبدو الأمر كما لو أنَّه اقتطع جزءًا من الجمال فقط. لا، عليه المتابعة، فلابدّ أنّ هنالك كلمات جميلة، تستحقّ كلّها أن تكون في مكان واحد، لكن أين يتعيّن عليه البحث عنها؟

أولّ ما يتبادر إلى ذهنه طبعًا كان مجموعة أخرى من القصائد، لا يمكن أن يكون مخطئًا. لقد قال في نفسه: إنَّ الكلمات الجميلة تحظى بتعبيرات رائعة في القصائد، لكنّه إنْ واصل شراء هذا النّوع من الكتب، فسرعان ما سيفتضح أمره، يمكن لمجموعتين أو ثلاث أن تمرّ دون انتباه، لكن ثلاثمئة وخمسة وثلاثين -العدد الّذي رآه في فهرس المكتبة العامّة- سيثير السّخرية بلا شك. لا، عليه أنْ يفكّر بأمر آخر، ولمعت في ذهنه فكرة ملهمة ثانية.

من قال إن الكلمات الجميلة توجد في القصائد فقط؟ لا بدّ أنّها توجد في كتب أخرى، ولِمَ لا تكون في الكتيّبات أيضًا؟ لقد صار خبيرًا بما يكفي لإدراك حقيقة رائعة؛ إنّ الكلمات الجميلة في كلّ مكان، وليست البراعة في اختيار الكتب بل في اكتشاف الكلمات، عليك أنْ تتمتّع بعين ثاقبة تلتقطها.

كان قد ارتاب في امتلاكه للمهارة، وكانت هنالك طريقة سهلة للتحقّق من الأمر،و جذب أوّل كتيّب وقع في متناول يده وفتحه. في تلك اللّحظة كان قد أعماه وهج الكلمات الجميلة كما لو أنّ أحدهم ظلّلها بقلم مشعّ، ولم يستطع مقاومة الرّغبة في فتح دفتره والبدء بتدوينها. كان التّفكير هو ما أوقفه، شيء جعله يشعر بالفخر بحقّ، لا يمكن للمرء أن يكون عفويًّا جدًّا، فإلى أين سيأخذه ذلك؟ سرعان ما استولى عليه التّشويش، لا بدّ أن يكون حازمًا ومنهجيًّا، وبعد التّفكير في الظّروف، عثر على الحلّ الّذي هبط عليه مثل الوحي.

نازعته قليلًا فكرة تمزيق الصّفحات الأربع الأولى من الدّفتر حتّى يتمكّن من البدء من جديد، لكنّه تخلّى عنها. لا يمكنه بدء مشروع مهمّ كهذا في دفتر ممسوخ؛ لذا سيتعيّن عليه شراء دفتر جديد، سيكون هذا ملائمًا، اختار أكبر دفتر وجده، لقد كان يتمتّع بميزة رائعة، ذلك أنّه حوى شريطًا مُنْزَلِقًا يتيح له تعيين الصّفحة حيث توقّف عن القراءة أو

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم - دولة الإمارات العربية المتحدة

الكتابـة.

كان القاموس الضّخم يتألّف من ستة عشر مجلَّدًا، وعندما فتح الأوّل صافح عينيه سِرْبٌ من الكلمات الجميلة المتألّقة، ولم يفزع من حجم ما ينتظره مستقبلًا؛ فقد كان -على أيّة حال- متأهّبًا لذلك تمامًا، لم يَدُرْ بِخَلَدِهِ أنّه سيجد أيّ طريق مختصرة، فمهما كان الوقت الّذي سيحتاجه لكتابتها كلّها، فإنّه سيفعل ذلك على نحو متكافئ؛ لأنّ ما ينتظره مستقبلًا كان فرحًا وليس معاناة. حقًّا، ما الّذي سيكون أكثر بهجة من تدوين الجمال؟

عندما أنهى السَّيّد (بلوشال) عمله أخيرًا كان قد تجاوز السّادسة والخمسين بكثير، لكنّ ذلك لم يقلّل إحساسه بالرّضا والإنجاز.

في المقابل ما عدد الأشخاص الّذين يستطيعون القول إنّ حياتهم لم تكن عبثًا؛ لأنّهم التقطوا الجمال؟ ظلّ هنالك أمر واحد عليه القيام به، فقد كانت هناك مساحة متبقّية تكفي لكلمتين أخريين فقط في أسفل الصّفحة الأخيرة من الدّفتر الممتلئ عن آخره، فرقّق خطّه للمرّة الأولى منذ أن بدأ الكتابة، ما زال صارمًا لكنّه كان ناعمًا وسخيًّا أيضًا، كما يفترض بالتّوقيع أن يكون. دخل الدّفتر وسحب الغلاف الخلفيّ وراءه، كما لو أنّه كان يرخي جفنًا ثقيلًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

منزل للبيع

فوق الباب، باب خشبي واهي المفاصل، يدع رمل الحديقة الصغيرة يختلط بتربة الطريق على بسطة من الأرض. كانت لافتة معلقة منذ أمد بعيد، ساكنة في شمس الصيف، معذبة تمكو[1] في ريح الخريف، عليها: (منزل للبيع) ولعلها كانت تقول أيضًا: (منزل مهجور)، فقد كان الصمت يكتنف الدار.

ولكن امرأً كان يقيم هناك. فإن دخانًا خفيضًا مزرقًّا يصعد من آجر المدخنة الّذي يعلو الجدار قليلاً، كان ينمّ عن حياة خفية، متكتمة، حزينة كهذا الدخان الّذي ينبعث من نار الفقراء. ثم من خلال ألواح الباب المزعزعة، ما كنت تحس الإهمال والخواء، وهذا الجو الّذي يسبق ويعلن بيعًا أو رحيلًا، بل كنت ترى ممرات مستقيمة التخطيط وعُرُشًا مستديرة مشذّبة، ومساقي بجوار الحوض، وأدوات بستاني مسندة إلى البيت الصغير. لم يكن ذلك الربع سوى بيت من بيوت الفلاحين، يتوازن على هذه الأرض المنحدرة بسلم صغير قد نحى الطابق الأول جهة الظل والطابق الأرضي جهة الجنوب. ومن تلك الجهة كان يخيل إليك أنه معمل من معامل الإنبات، فقد رصت على درجات السلم نواقيس زجاجية، وأصص فارغة مقلوبة، منضودة على الرمل الأبيض الساخن، وأخرى قد نما فيها (الجيرانيوم) و(الفرفين)، بيد أن الحديقة كلها، فيما عدا شجرتين أو ثلاثا من شجر السرج الفارع، كانت تحت وهج الشمس. وكانت تمتد في النور الساطع مروحة من أشجار الفاكهة، قائمة على أسلاك حديدية، أو معروشة، وقد انتزعت بعض أوراقها، إعدادًا للثمرة ليس غير، كما اصطفت أيضًا أغراس من الشليك وأغراس من البازلاء تتسلق قضبانًا طويلة مثبتة في الأرض. وفي وسط هذا كله، وسط هذا النظام وهذا الهدوء، كان رجل عجوز ذو قبعة من الخوص يجوس خلال المسالك طول النهار، يروي في الساعات الرطيبة، ويقتطع، ويشذب الأغصان، ويسوي الأفاريز.

هذا الشيخ لم يكن يعرف أحدًا في البلد، ولم يكن يطرقه زائر قط -اللّهم إلّا عربة الخباز الّتي كانت تقف بكل باب في شارع القرية الوحيد- وأحيانًا كان يرى اللافتة عابر

---

1) تمكو: تصفر، تصدر صفيرًا.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

من الناس يلتمس قطعة من أراضي السفح هذه الغنية الخصبة الّتي تمنح بساتين جميلة، فيتوقف. يقرع أول الأمر، فإذا البيت أصم. ثم يقرع ثانيًا، فيدنو من أقصى الحديقة وقع (قبقاب) في بطء وتؤدة، ويوارب الشيخ بابه متجهم الوجه:

ـ ماذا تريد؟

ـ هل المنزل للبيع؟

فيجيب الرجل الطيب القلب في جهد:

ـ نعم... ولكنني أقول لك مقدمًا إنهم يطلبون عنه ثمنًا غاليًا جدًّا...

وكانت يده المتأهبة لإغلاق الباب تسده عليك. وكانت عيناه تطردانك، فما أشد ما كانتا تظهران من السخط، وكان يظل هناك قائمًا كالفارس على حراسة أحواضه وخضره وفنائه الصغير المفروش بالرمل. وإذ ذلك كان الناس يتابعون سبيلهم وهم يسائلون أنفسهم: من تراه يكون هذا المخبول الّذي عرضوا له؟ وأي جنون هذا الّذي يحمله على الإعلان عن بيع منزله بهذه الرغبة الملحة في الاحتفاظ به؟

وأخيرًا وضح لي هذا السر. ذات يوم، وأنا مار أمام البيت الصغير، سمعت أصواتًا ثائرة، صخبَ مناقشة حامية:

ـ يجب البيع يا أبتاه، يجب البيع... لقد وعدت بذلك...

ـ وصوت الشيخ متهدج مرتعش يقول:

ـ فإني يا أولادي لا أطلب أفضل من البيع... أما ترون؟ لقد وضعت اللافتة.

وهكذا علمت أن هؤلاء هم أبناؤه وكنائنه، تجار من صغار أصحاب الحوانيت في (باريس)، يحملونه على أن يتخلص من هذا الركن الحبيب لأي سبب! هذا ما كنت أجهله. أما المؤكد فهو أنهم بدؤوا يلمسون أن الأمر قد طال، وأن الشيخ يماطلهم، ومنذ ذلك الوقت، أقبلوا بانتظام، يوم الأحد حين تستريح الأرض ذاتها من كونها قد حرثت وبذرت طوال الأسبوع، كنت أسمع ذلك جليًّا، كان التجار الصغار يتحدثون، ويتجادلون فيما بينهم وهم يلعبون لعبة البرميل، وكانت كلمة النقود ترن رنينًا جافًا كهذه الأقراص الّتي يقذفونها. وفي المساء كانوا جميعهم يرحلون، وكان الرجل الطيب القلب، بعد أن يرافقهم في الطريق

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بضع خطوات يعود مسرعًا فيغلق من جديد بابه الغليظ سعيدًا مبتهجًا وقد ظفر بمهلة أمامه لمدة أسبوع. ويستعيد البيت سكونه، ويظل ساكنا ثمانية أيام، فما تسمع في الحديقة الصغيرة الّتي تلفحها الشمس إلّا صوت الرمل يسحقه وطءُ قدم ثقيلة أو تجرفه المجرفة.

على أنهم من أسبوع إلى أسبوع راحوا يضيقون الخناق على الشيخ. ولم يدخر التجار الصغار وسيلة من الوسائل، أحضروا الأحفاد لإغرائه: (أترى يا جدنا حين يباع البيت ستأتي لتسكن معنا. وكم سنكون سعيدين معًا!) ثم كانت أحاديثًا متفرقة يلقيها كل امرئ لنفسه في ركن من أركان البيت على حدة، ومشيًا خلال ممرات الحديقة لا يقف عند حد، ومسائل حسابية يجريها بصوت مرتفع. وذات مرة سمعت إحدى البنات تصيح:

ـ هذا الخص[1] لا يساوي مائة سو[2]... إنه خليق بأن يهدم.

وكان الشيخ يصغي دون أن يقول شيئًا. كانوا هم يتكلمون عنه كأنه قد مات، وعن داره كأنها قد هدمت بالفعل. فكان يتجنبهم ويمشي، أحدب الظهر، والدموع ملء عينيه، ملتمسًا كعادته غصنًا يشذّبه أو ثمرة يعنى بها في أثناء مروره، وإنك لتحس أن حياته قد تغلغلت جذورها في هذا الركن الصغير من الأرض تغلغلًا لن يبعث فيه القدرة على اجتثاث نفسه منه. والحق أنه كان- مهما تفننوا في إغرائه- يرجئ دائمًا لحظة الرحيل. في الصيف حين تنضج هذه الثمار الّتي يوحي إليك مذاقها الحمضي بعض الشيء بأن السنة ما زالت في نضرتها وريعانها، ثمار الكرز، والبرقوق، والمشمش، كان يقول:

ـ لننتظر المحصول... سأبيع بعده مباشرة.

وبعد المحصول، بعد انقضاء موسم الكرز، يأتي موسم الخوخ، ثم العنب، وبعد العنب تأتي ثمار (النيفل) السمراء الجميلة الّتي يكاد المرء يجنيها تحت الجليد. وحينئذ يصل الشتاء فيسود الريف، وتخلو الحديقة. الآن لا مارة، ولا شراة، بل ولا التجار الصغار يوم الأحد، وإنما ثلاثة أشهر عريضة من الراحة لإعداد البذار، وتقليم الفاكهة، بينما تتأرجح على الطريق اللافتة الباطلة، وقد قلبها المطر والريح.

وعلى مر الأيام، فرغ صبر الأبناء، واقتنعوا بأن الشيخ كان يبذل كل ما في وسعه

---

1) الخصّ: بيت من قصب أو من أغصان الأشجار.
2) سو: قطعة بازل.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لإقصاء المشترين، فاتخذوا قرارًا حاسمًا. قدمت إحدى الكنات واستقرت بجانبه، وتلك امرأة صغيرة من نساء الدكاكين حالية منذ الصباح، بارعة في إظهار الحفاوة وتكلف الرقة والتلطف في المجاملة براعة الذين اعتادوا التجارة. وكأن الطريق قد أصبح ملكها. فقد كانت تفتح الباب على مصراعيه، تتحدث وتلغو، وتبتسم للمارة كأنما تقول لهم:

ـ ادخلوا... انظروا... إن المنزل للبيع!

ولم تعد للشيخ المسكين مهلة بعد ذلك. أحيانًا كان يحاول أن ينسى أنها هناك، فينصرف إلى تقليب حياضه وبذرها من جديد، كهؤلاء الناس الذين يوشكون على الموت ويحبون القيام بمشروعات ليخدعوا مخاوفهم. ولكن البائعة كانت تتبعه طيلة الوقت وتنغص عليه.

ـ دع! ما انتفاعك بهذا؟.. أو من أجل سواك تجشم نفسك كل هذا التعب؟

فما كان يجيبها، وإنما كان ينكب على عمله في عناد غريب. إن ترك حديقته لعين الإهمال، معناه فقدانها بعض الفقدان منذ ذلك الوقت، وبدء انفصاله عنها. ولهذا ما كنت تجد في الممرات عودًا واحدًا من العشب، ولا في شجيرات الورد غصنًا طفيليًّا.

وظل البيت معروضًا للبيع، ولكن الشراة لم يتقدموا. ذلك أن الحرب قد نشبت. وعبثًا ثابرت المرأة على فتح بابها، وإرسال النظرات المعسولة إلى الطريق، فلم يكن يمر غير النازحين عن الأرض ولم يكن يدخل إلّا الغبار. واشتد غيظ السيدة من يوم إلى يوم، ولا سيما وقد كانت أعمالها في (باريس) تستدعيها: كنت أسمعها توسع حماها لومًا وتأنيبًا، وتقسو في الهجوم عليه، وتخبط الأبواب، وأما الشيخ فكان يحني ظهره دون أن يقول شيئًا، ويتعزى إذ يبصر بازلاه الصغيرة تنمو، واللافتة معلقة في مكانها دائمًا: (منزل للبيع).

وفي هذا العام،عندما وصلت إلى الريف وجدت المنزل، وعرفته ولكن واحسرتاه لم تكن اللافتة هناك! كانت إعلانات ممزقة بالية لم تبرح عالقة بأوجه الجدران. لقد قضي الأمر، وباعوه!.. ومكان البوابة الرمادية الكبيرة أصبح بابًا أخضر حديث الطلاء، تعلوه عتبة مستديرة، وتنفتح فيه نافذة ذات قضبان تلوح من ورائها الحديقة. ولم تعد الحديقة ذلك البستان الّذي كنت أعهده هناك قديمًا، بل غدت خليطًا بورجوازيًّا من السلال، والخضرة، ومساقط الماء وصورة لهذا كله تنعكس على كرة معدنية تتأرجح أمام الدرج. وفي هذه الكرة، بدت الممرات صفوفًا من الأزهار الزاهية، وامتد شكلان في كثير من المبالغة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

والتهويـل: رجـل سـمين أحمـر، غـارق فـي عـرق غزيـر، غائـص فـي كرسـي مـن كراسـي النزهـة الخاويـة، وسـيدة ضخمـة لاهثـة الأنفـاس، تصبـح وهـي تطـرح مسـقاة بيدهـا:

ـ لقد دفعت ثمنًا للبلسمين أربعة عشر؟

وكانـوا قـد شـيدوا طابقًـا، وجـددوا السـياج، وفـي هـذا الركـن الصغيـر المسـتطرف الّـذي مازالـت تفـوح منـه رائحـة الطـلاء، كان (بيانـو) يعـزف مـلء الريـح مقطوعـات صاخبـة شـائعة وألحانًـا جذلـى ممـا تـردده حلبـات الرقـص العامـة. وهـذه الأنغـام الراقصـة الّتـي كانـت تنطلـق إلـى الطريـق نابضـة حـارة مختلطـة بقتـام (يوليـة) الكثيـف، وعجيـج تلـك الأزهـار الضخمـة، والسـيدات الضخْمـات، هـذا المـرح الفيـاض الغامـر، هـذا المـرح السـوقي المبتـذل، كان يقبـض قلبـي.. كنـت أفكـر فـي الشـيخ المسـكين الّـذي كان يتمشـى هنـا راضيًـا وادعًـا سـعيدًا، ثـم أتمثلـه فـي (باريـس)، وقبعـة الخـوض علـى رأسـه، وحدبـة البسـتاني العجـوز فـي ظهـره، هائمًـا فـي أعمـاق دكان مـا، ضيقًـا بأمـره، حييًـا، مسـحونًا بالدمـوع، بينمـا تتبـوأ زوجـة ابنـه الظافـرة خزانـة جديـدة، تـرن فيهـا قطـع ذهبيـة هـي ثمـن البيـت الصغيـر.

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

ينبوع الشباب

(ناثانيل هوثورن) *

دعا رجل فريد في زمانه يدعى الدكتور (هايديغر) أربعة من أصدقائه المحترمين ليجتمعوا إليه في مكتبه؛ كان ثلاثة منهم رجالًا ذوي لحًى بيضاء، هم السيد (مدبورن)، والكولونيل (كيليغرو)، والسيد (غاسكون)، والرابعة سيدة مسنة ذاوية تدعى الأرملة (ويشرلي).

كانوا جميعهم مسنين ذوي مزاج سوداوي، تعساء في حياتهم، مصيبتهم الكبرى في الحياة أنهم لم يواروا في قبورهم منذ زمن طويل؛ كان السيد (مدبورن) إبان شبابه تاجرًا ناجِحًا، ولكنه أضاع كل ما يملكه في مضاربة جنونية حيث أصبح الآن لا يفضل المتسولين إلّا قليلًا. أما الكولونيل (كيليغرو) فقد أتلف أحسن سنيه وصحته وكل ما يعيش عليه في مطاردة الملذات ، حتى سببت له سلسلة من الآلام كداء النقرس، وما إليه من أوجاع تعذب الجسد والروح معًا. ولكن السيد (غاسكون) كان سياسيًا فاشلًا مقضيًّا عليه، ورجلًا ذا شهرة سيئة، أو على الأقل كان ذلك حتى طمره الزمان من معرفة الجيل الحاضر، وجعله مغمورًا إضافة إلى أنه سيء السمعة.

أما الأرملة (ويشرلي) فقد أثر عنها أنها كانت ذات جمال فتان في شبابها، ولكنها لزمن طويل مضى عاشت في عزلة ، مما جعل الطبقة النبيلة في البلدة تتحامل عليها. ومما هو جدير بالذكر أن كلًا من هؤلاء الثلاثة: (السيد مدبورن، والكولونيل كيليغرو، والسيد غاسكون) كان يتودد للأرملة (ويشرلي)، وأن كلًا منهم كان مرة على وشك أن يفتك بالآخر بسببها.

وقبل أن أتابع قصتي أود أن ألمح أن الدكتور (هايديغر) وضيوفه الأربعة قد قيل عنهم جميعًا إنّ عقولهم ليست على مستواها الطبيعي تمامًا، وهذا ليس نادرًا مع أناس مسنين مثقلين إما بمنغصات الحاضر أو بذكريات تعاسة ماضية.

قال الدكتور (هايديغر) وهو يشير إليهم بالجلوس: "إني أرغب يا أصدقائي القدامى أن

---

* كاتب أمريكي (4081-4681).

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

تساعدوني في تجربة من تلك التجارب الّتي امتع نفسي بها هنا في مكتبي".

إذا صدقت كل الروايات، فإن مكتب الدكتور (هايديغر) يجب أن يدعو إلى الاستغراب جدًّا. فهو غرفة معتمة على الطراز القديم، موشاة بأنسجة العنكبوت ومنثورة بأغبرة أثرية. وحول الجدران قامت عدة مكتبات من خشب البلوط، اكتظت رفوفها السفلى بصفوف من مجلدات ضخمة بأحرف سوداء. وفوق المكتبة الوسطى وقف تمثال نصفي من البرونز لأبي الطب أبقراط الذي -بموجب مصادر يوثق بها- كان من دأب الدكتور (هايديغر) أن يأخذ بمشورته في جميع القضايا الصعبة من تجاربه، وفي أظلم زاوية من الغرفة انتصبت خزانة عالية ضيقة من السنديان، بابها مفتوح نصف فتحة، يطل من خلالها هيكل عظمي، وبين المكتبتين علقت مرآة صفحتها الصقيلة مغبرة، وهي في إطار مذهب متسخ. ومن بين الحكايات العجيبة العديدة الّتي راجت حول هذه المرآة خرافة تقول: إن أرواح المرضى الذين ماتوا على يد الدكتور سكنت في نطاقها؛ لتحملق في جهة كلما ألقى نظرة عليها، وفي الجهة المقابلة من الغرفة انتصبت صورة مزخرفة في الحجم الطبيعي لفتاة في ريعان الشباب في حلة من الحرير والأطلس والقماش المشجر، ذهب بهاؤها كما ذهب بهاء محياها.

قبل أكثر من نصف قرن كان الدكتور (هايديغر) على وشك الزواج من هذه الفتاة الشابة، ولكنها ماتت عشية زفافها. والآن بقي هناك شيء واحد مما يثير أشد الاستغراب، مجلد ضخم ثقيل مغلف بجلد أسود مكسو بشبكة فضية ضخمة، لم تكن هناك أية كتابة على ظهره، ولا أحد استطاع أن يتكهن بعنوان الكتاب.

هكذا كان مكتب الدكتور (هايديغر). وفي عصر ذلك اليوم الصيفي من قصتنا هذه، انتصبت مائدة صغيرة مستديرة، سوداء كالأبنوس، في منتصف الغرفة، عليها إناء زجاج صخري بديع الشكل والصنع، ودخلت أشعة الشمس من الشباك من فرجة ستار من الدمقس حائل اللون مزركش الحواشي، ونفذت مباشرة خلال هذا الإناء، فانعكس منه بهاء لطيف على محيا الأشخاص الخمسة الرمادية الجالسين حوله. وكانت هناك أربع كؤوس خالية، وُضعت أيضًا على المائدة.

كرر الدكتور (هايديغر) قائلًا: "يا أصدقائي المسنين هل لي أن اعتمد على مساعدتكم

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

في إنجاز تجربة في غاية الغرابة؟"

كان الدكتور (هايديغر) متقدمًا في العمر غريب الأطوار جدًّا، حتى أصبح نواة لألف حكاية عجيبة، وبعض هذه الأساطير، أقصها وكلي خجل، ترجع إلى طبيعتي الصدوقة، وإذا كان في القصة الحالية ما يزعزع إيمان القارئ، فحسبي أن أوصم بأنني مروج خرافات!

عندما سمع ضيوف الدكتور الأربعة عن التجربة المرتقبة، لم يتوقعوا شيئًا عجيبًا أكثر من قتل فأر بمضخة هوائية، أو فحص نسيج عنكبوت بالمجهر، أو عبث مشابه كان دومًا معتادًا أن يقدمه إلى أصدقائه المقربين، ولكن دون أن ينتظر منهم جوابًا هرول الدكتور في مشيته المقلقة عبر الغرفة، ثم رجع بذلك المجلد الثقيل الضخم المغلف بجلد أسود، وبعد أن فك المشابك الفضية فتح المجلد، وأخذ من بين ثنايا صفحاته ذات الأحرف السوداء وردة، أو ما كان من قبل يدعى وردة، أخذت أوراقها الخضراء ووريقاتها القرمزية لونًا بنيًا، وبدت الوردة قديمة وكأنها تتفتت بين يدي الدكتور.

قال الدكتور (هايديغر) وهو يتنهد: "هذه الوردة هذه الوردة الذابلة المتداعية أينعت قبل خمس وخمسين سنة، كانت قد أهديت لي من (سلفيا) الّتي ترون صورتها معلقة هناك، وكنت قد نويت أن أزين بها صدري يوم زواجنا، ولقد احتفظت بها لخمس وخمسين سنة بين أوراق هذا المجلد العتيق، والآن، هل تعتقدون أن هذه الوردة، بعد مرور نصف قرن عليها، من الممكن أن تينع مرة أخرى؟"

فأجاب الدكتور (هايديغر): "انظروا!"

وكشف الإناء ورمى الوردة المتيبسة في الماء الّذي يحتويه، طفت الوردة من البداية على وجه السائل، وبدت كأنها تمتص شيئًا من رطوبته، ولكن لم تمض برهة حتى بدا عليها تغيير عجيب؛ لقد تحركت الوريقات الجافة المضغوطة، وبدأت تتخذ لونًا قرمزيًّا يغمق بالتدريج، كأنما الوردة تنتعش من سبات أشبه بالموت، الساق الرشيق وعروق الأوراق أصبحت خضراء. وهناك بدت وردة نصف القرن يانعة... ولكنها لم تكن في كمال التفتح.

فقال أصدقاء الدكتور بعدم اكتراث: حقًا، إن هذا لخداع لطيف جدًّا. "وذلك لأنهم سبق أن شاهدوا أعاجيب أعظم من هذه في حفلات الحواة، ولكنهم أردفوا قائلين: "ولكن بحقك أخبرنا كيف أنجزت هذا؟"

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فسألهم الدكتور (هايديغر): "ألم تسمعوا مطلقًا بينبوع الشباب الّذي بحث عنه (بونس دي ليون) المغامر الأسباني لقرنين أو ثلاثة قرون خلت؟"

فقالت الأرملة (ويشرلي): ولكن هل وجده (بونس دي ليون)؟

قال الدكتور: كلا؛ لأنه لم يبحث عنه مطلقًا في المكان الحقيقي، وإذا كنت على صواب فإني أعتقد أن ينبوع الشباب يقع في القسم الجنوبي من شبه جزيرة فلوريدا، ليس بعيدًا من بحيرة (ماكاكو)، تكتنف منبعه ظلال بضع أشجار هائلة من المنغوليا، وهذه الأشجار رغم أن عمرها قرون لا تحصى فإنها قد احتفظت بنضارة البنفسج؛ وذلك بما لهذا الماء العجيب من مزايا، والماء الّذي ترونه في الإناء أمامكم أرسله إلى أحد أصدقائي الذين يعلمون شغفي بأمور كهذه".

فقال الكولونيل (كيليغرو) الّذي لم يصدق كلمة واحدة من حكاية الدكتور: "إحم! ولكن ما هو تأثير هذا السائل على الجسم البشري؟"

فأجاب الدكتور: "ستحكمون على هذا بأنفسكم، وإني أرحب بجميعكم يا أصدقائي المبجلين لتنهلوا من هذا السائل قدرًا كافيًا يعيد إليكم ريعان الشباب، غير أنني، نظرًا لما تجشمته من مشاق عديدة حتى بلغت هذا العمر، لست على عجل في رجوعي إلى الشباب ثانية، ولذا أستميحكم عذرًا، فإنني سأرقب سير عملية التجربة فقط".

وبينما كان الدكتور (هايديغر) يتكلم كان يملأ الكؤوس الأربعة بماء ينبوع الشباب، ويبدو أن الماء كان مليئًا بغاز فوار، إذ كانت فقاقيع صغيرة تصعد باستمرار من أعماق الكؤوس، وتنفجر برشاش فضي على سطحه، ونتيجة للرائحة الطيبة الّتي فاحت لم يشك الأشخاص المسنون في أن له خواصَّ مريحة تنعش القلب، ورغم أنهم كانوا في منتهى الشك من ناحية قوته على إرجاع الشباب، فقد تشوقوا إلى عَبِّه مرة واحدة. ولكن الدكتور (هايديغر) رجاهم أن ينتظروا لحظة.

وقال: "يا أصدقائي المحترمين، إنه لمن المستحسن قبل أن تشربوا -ولكم خبرة حياة كاملة ترشدكم- أن تأخذوا ببضع قواعد عامة تقودكم في السير مرة ثانية عبر مخاطر الشباب؛ ففكروا في الخطيئة والعار اللذين سيلحقان بكم وقد حزتم على الامتيازات الفريدة الّتي ستكتسبونها، إذا لم تصبحوا نماذج للفضيلة والحكمة لشباب العصرجميعهم".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

لـم يَفُـهْ أصدقـاء الدكتـور الأربعـة بـأي جـواب- اللّهـم- سـوى ضحكـة مرتعشـة ضعيفـة، لقـد كانـت الفكـرة سـخيفة جـدًا، إنهـم سيشـطون مـرة أخـرى وهـم يعرفـون مـا أقـرب خطـوات النـدامـة إثـر خطـوات الزلـل.

قـال الدكتـور وهـو ينحنـي: "اشـربوا إذن، وكـم يسـرني أننـي وفِّقْـت بانتقـاء الأشـخاص لتجربتـي هـذه".

وبأيـد مشـلولة رفـع الأربعـة الكـؤوس إلـى شـفاههم، وإذا كان الشـراب يمتلـك تلـك المزايـا الّتـي أسـبغها الدكتـور (هايديغـر)، لـم تكـن هنـاك مخلوقـات أربعـة بحاجـة إليـه أكثـر منهـم، كان مظهرهـم يـدل كأنهـم لـم يعرفـوا الشـباب مطلقًـا، كأنهـم نتـاج مجتمـع خَـرِفٍ، أنـاس شـيّب أبـدًا، تعيسـون دائمًـا، عاجـزون، جفّـت عصـارة الحيـاة فـي عروقهـم، يجلسـون الآن منحنيـن حـول مائـدة الدكتـور دون حيـاة كافيـة فـي أرواحهـم أو أجسـامهم تنتعـش حتـى بفكـرة رجوعهـم إلـى الشـباب، كرعـوا المـاء، وأرجعـوا كؤوسـهم إلـى المائـدة.

لقـد بـانَ تَحسُّـنٌ فـوري لا شـكّ فيـه علـى سـيماء الجماعـة، مصحوبًـا بتوهـج فجائـي كالـذي تحدثـه أشـعة الشـمس؛ تألقـت وجوههـم مـرة واحـدة، وسـرى فـي وجناتهـم احمـرار الصحـة والعافيـة، عوضًـا عـن ذلـك اللـون الرمـادي الّـذي كان يظهرهـم كالأمـوات، ونظـر كل منهـم فـي وجـه صاحبـه، وتخيـل أن هنـاك قـوة سـحرية قـد بـدأت فعـلًا فـي صقـل الأخاديـد العميقـة الّتـي حفرهـا الزمـان مـن أمـد بعيـد علـى جباههـم، فأخـذت الأرملـة (ويشـرلي) فـي إعـادة وضـع قبعتهـا مـن جديـد؛ لأنهـا كادت تشـعر أنهـا امـرأة ثانيـة....

وأخـذوا يهتفـون بلهفـة: "زدنـا مـن هـذا المـاء العجيـب! نحـن أصغـر الآن، ولكننـا مازلنـا هَرِميـنَ! أسـرِعْ وزدنـا!"

فقـال الدكتـور (هايديغـر) وهـو جالـس يرقـب التجربـة ببـرود فلسـفي: "صبـرًا.. صبـرًا، لقـد طـال الزمـان بكـم حتـى هرمتـم، فمـن الإنصـاف أن تقنعـوا بـأن ترجعـوا إلـى الشـباب فـي نصـف سـاعة فقـط! ولكـن المـاء تحـت تصرفكـم".

فمـلأ كؤوسـهم مـرة أخـرى بشـراب الشـباب، وقـد بقـي منـه فـي الإنـاء مـا يكفـي لإرجـاع نصـف شـيبة المدينـة إلـى عمـر أحفادهـم، اختطـف ضيـوف الدكتـور الأربعـة كؤوسـهم مـن علـى المائـدة، وعبـوا محتوياتهـا عبـة واحـدة، والفقاقيـع تتـلألأ علـى حوافهـا، أكان ذلـك وهجًـا؟ لقـد

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

بـدا والغَبَّـة ماتـزال تجـري فـي حلوقهـم أنهـا فعلـت تغييـرًا فـي كامـل أبدانهـم؛ غـدت عيونهـم صافيـة براقـة، وأخـذ ظـل قاتـم فـي الاسـوداد بيـن خصـل شـعرهم الفضـي، وبـدا حـول المائـدة ثلاثـة رجـال فـي منتصـف العمـر، وسـيدة لـم تكـد تتجـاوز عنفـوان شـبابها.

وصـاح الكونوليـل (كيليغـرو): "يـا أرملتـي العزيـزة، لقـد غـدوت شـابة!" وبينمـا كانـت عينـاه مثبتتيـن علـى وجههـا، كانـت ظـلال الشـيخوخة تهـرب منـه كمـا تهـرب الظلمـة مـن احمـرار الفجـر.

وكانـت الأرملـة الجميلـة تعـرف مـن قديـم أن إطـراء الكولونيـل لـم يكـن دائمًـا يقـاس بالحقيقـة؛ ولهـذا نهضـت وركضـت إلـى المـرآة وهـي لا تـزال ترتعـب لئـلا يلتقـي نظرهـا بوجـه دميـم، وفـي هـذه الأثنـاء تصـرف الرجـال الثلاثـة تصرفًـا برهـن علـى أن مـاء ينبـوع الشـباب فيـه بعـض الخـواص العجيبـة، ومـا خـلا الابتهـاج الّـذي مـلأ نفوسـهم هنـاك دوار بسـيط سـببه زوال وقـر السـنين الفجائـي. وبـدا السـيد (غاسـكون) أن عقلـه انصـرف إلـى موضوعـات سياسـية، لكـن أبالماضـي كانـت تتعلـق أم بالحاضـر، أم بالمسـتقبل؟ لـم يسـتطع أن يعـرف بسـهولة؛ لأن الأفـكار والعبـارات هـي نفسـها دائمًـا خـلال هـذه السـنين الخمسـين، فأخـذ يجمجـم بمـلء فيـه جمـلًا عـن البطولـة، والمجـد الوطنـي، وآخـر راح يتفـوَّه بأشـياء خطيـرة بهمـس ماكـر ملـؤه الشـك والحـذر، حتـى كاد ضميـره لا يسـتطيع معرفـة مـا فـي سـره، ثـم انقلـب ليتكلـم بنبـرات موزونـة ونغمـة مليئـة بالاحتـرام، كأنمـا كانـت هنـاك أذن ملكيـة تصغـي إلـى تقلبـات أحوالـه الحسـنة، وفـي هـذه الأثنـاء كان الكونوليـل (كيليغـرو) يثرثـر، مغنيًـا بمـرح. وفـي الناحيـة الأخـرى مـن المائـدة كان السـيد (مدبـورن) منهمـكًا فـي حسـاب الـدولارات والسـنتات، وخلـط فيهـا خلطًـا غريبًـا مشـروعًا لتزويـد جزائـر الهنـد الشـرقية بالثلـج، وذلـك بسـرج عـدد مـن الحيتـان إلـى كتـل الجليـد القطبيـة...

أمـا الأرملـة (ويشـرلي) فإنهـا وقفـت أمـام المـرآة منحنيـة تتكلـف الابتسـام لصورتهـا، وتحييهـا كصديقـة أحبتهـا أكثـر مـن أي شـخص آخـر فـي الدنيـا، واقتربـت بوجههـا مـن صفحـة المـرآة؛ لتـرى مـا إذا كانـت الأخاديـد وغضـون مـا حـول عينيهـا قـد تلاشـت بالفعـل. وتفحصـت إذا كان الثلـج قـد ذاب كلـه عـن شـعرها كـي تسـتطيع أن تلقـي بقبعتهـا المحترمـة جانبًـا. وأخيـرًا التفتـت برشـاقة، وراحـت تمشـي نحـو المائـدة وهتفـت: "بحقـك يـا عزيـزي الدكتـور، مُـنَّ علـيَّ بـكأس أخـرى".

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

فأجاب الدكتور المضياف: "بكل تأكيد يا سيدتي العزيزة، بكل تأكيد! انظري لقد ملأت الكؤوس سلفًا".

وايم الحق لقد انتصبت هناك الكؤوس الأربعة مترعة من هذا الماء العجيب، ورشاشه الّذي كان يتطاير عند فورانه يشبه بريق الماس. وكان قد اقترب غروب الشمس، وأمست الغرفة معتمة أكثر من أي وقت مضى، ولكن بهاءً رقيقًا أشبه بضوء القمر شع من داخل الإناء، واستقر على الضيوف الأربعة، وعلى قوام الدكتور المحترم، وقد جلس على كرسي عالي الظهر متقن الصنع والحفر، جليل الهيئة أشيب الرأس، يليق شكله بالرجل الّذي لم يستطع أحد أن يناقش سطوته سوى هذه الجماعة المحظوظة. وبينما هم يكرعون ثالث جرعة من ماء ينبوع الشباب كاد يرهبهم تعبير محياه الغامض، ولكن في اللحظة التالية انبثقت في عروقهم طفرة لذيذة من الحياة الجديدة، لقد أصبحوا الآن في أوج شبابهم السعيد، أما الشيخوخة، وبطانتها التعسة من هموم وأحزان وأمراض، فقد تذكروها كحلم مزعج، استيقظوا منه بفرح، وأضفى بريق الروح المشع الّذي فقدوه باكرًا، والذي من دونه تغدو مشاهدة الحياة المتتابعة مجرد معرض صور باهتة، أضفى بسحره على مشاريعهم المقبلة جميعها، لقد شعروا وكأنهم خلقوا من جديد في عالم جديد.

وراحوا يهتفون بنشوة: "نحن شباب! نحن شباب!"

والشباب كالشيخوخة يمحو خصائص الكهولة المنطبعةجميعها بقوة، ويستوعبها بتفاهم مشترك مع الشيخوخة، لقد أضحوا الآن حلقة من الشباب اليافعين المرحين، وكادوا يجنون بخصب سنيهم النشطة، ولكن أكثر ما أحدثه مرحهم من تأثير فريد هو أنهم أخذوا يهزؤون من عجزهم وعاهاتهم الّتي كانوا ضحاياها لأمد قريب؛ ضجوا من الضحك على لباسهم ذي الطراز القديم، وعلى معاطفهم الواسعة الجوانب وصداريهم المهدلة، وعلى قبعة الفتاة وفستانها، وراح أحدهم يعرج ماشيًا في الغرفة كجد هرم مصاب بالنقرس، ووضع آخر نظارات على أنفه، وتظاهر بإمعان النظر في الأحرف السوداء على صفحات الكتاب، وجلس ثالث على كرسي ذي مساند وحاول جاهدًا تقليد الدكتور (هايديغر) بجلسته المبجلة، ثم راحوا يزعقون بحبور، ويقفزون حول الغرفة. ومشت الأرملة - هذا إذا صح لنا تسمية فتاة غضة كهذه أرملة- بخفة ورشاقة إلى كرسي الدكتور ووجهها الوردي ينم عن مرح .

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

دخل الثلاثة في عراك شديد، وفيما هم يتأرجحون في صراعهم انقلبت المائدة، وسقط الإناء، وتحطم إلى ألف شظية، وانساب ماء الشباب الثمين يترقرق على أرض الغرفة، وقد أصاب جناحي فراشة طعنت في السن في أواخر الصيف، وكانت قد حطت هناك لكي تموت، فطارت الحشرة ترفرف بخفة في أجواء الغرفة واستقرت على رأس الدكتور (هايديغر) الأشيب.

وهتف الدكتور: يا سادة، يا سادة! وأنت يا سيدتي! يجب أن أحتج، وايم الحق على هذا الشغب، فتوقفوا دون حراك وهم يرتعدون، وَخُيِّل إليهم أن الزمان الأشيب كان يناديهم ليرجعوا من شبابهم المشرق إلى وادي السنين السحيق القرير المظلم، ورمقوا الدكتور الجالس على كرسيه المنقوش، وهو ممسك بالوردة ذات الخمسين من العمر الّتي أنقذها من بين شظايا الإناء المحطم، وبإشارة من يده أخذ المشاغبون كل منهم مقعده باستعداد زائد؛ لأن جهدهم العنيف أنهكهم رغمًا عن فتوتهم الّتي كانوا عليها.

وصاح الدكتور (هايديغر) وهو ممسك بالوردة على ضوء شمس الغروب الّتي حجبتها الغيوم: يا لوردة (سلفيا) المسكينة! يظهر أنها أخذت تذبل ثانية.

وهكذا كان، أخذت الوردة تذوي وتتقلص وهم يرمقونها إلى أن جفت وغدت قابلة للتفتيت مثلما كانت عندما ألقى بها الدكتور في الإناء. ثم نفض عنها القطرات القليلة من الندى الّتي تعلقت بوريقاتها وأردف: "إني أعشقها هكذا، كأنها نضرة غضة".

وضغط بالوردة الذابلة على شفتيه الذابلتين، وبينما هو يتكلم رفرفت الفراشة على رأس الدكتور الأشيب وسقطت على الأرض.

ارتجف الضيوف ثانية، وسرت فيهم شيئًا فشيئًا قشعريرة غريبة لم يعرفوا كنهها، أَمِنَ الروح أم الجسد؟ ورمق كل منهم الآخر، وتخيل أن كل لحظة هاربة اختطفت منهم فتنة، وتركت موضعها أخدودًا عميقًا لم يكن له وجود من قبل. أكان هذا وهمًا؟ أم أن تغيرات حياة برمتها ازدحمت في فسحة وجيزة كهذه، وأنهم الآن أربعة أشخاص مسنين جالسين مع صديقهم القديم الدكتور (هايديغر)؟

هتفوا بنغمة حزينة: "هل شِخْنا ثانية بسرعة كهذه؟"

حقًّا لقد غدوا هكذا، أجل لقد شاخوا ثانية، أمّا الأرملة، بدافع مشحون بالقشعريرة

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

أظهرها أنها مازالت امرأة، فغطت وجهها بيديها المعروقتين، وتمنت لو أن غطاء التابوت فوقه؛ لأنه لن يعود جميلًا أبدًا.

قال الدكتور (هايديغر): نعم يا أصدقائي، إنكم شيوخ مرة ثانية، وها هو ماء الشباب مهروق بسخاء على الأرض، ولن أحزن عليه، وحتى لو انبجس ينبوعه أمام عتبة بيتي، فإنني لن أنحني لأغمس شفتي فيه، لا، حتى ولو دام هذيانه المحموم سنوات بدلًا من لحظات. هذا هو الدرس الّذي علمتموني إياه!

ولكن أصدقاء الدكتور الأربعة لم يعلموا أنفسهم درسًا كهذا، وصمموا على أن يذهبوا في القريب العاجل إلى فلوريدا صباحًا، وظهرًا، ومساءً، لعلهم يشربون من ماء ينبوع الشباب!!!

حقوق الطبع © محفوظة لوزارة التربية والتعليم – دولة الإمارات العربية المتحدة

دلائـــل رمـــوز الغلاف

لون الحلقة الثالثة

يدل الرمز على نوع الكتاب
(**مثال كتاب طالب**)

الرقم 3 المضلل يرمز الى رقم المجلد **من كتاب الطالب**

الرقم 9 يرمز الى الصف

يرمز المسار التعليمي

- كتاب الطالب
- كتاب النشاط (التمارين)
- كتاب القراءة (اللغة العربية، الدراسات الاجتماعية)
- دليل الطالب التفاعلي (الرياضيات)
- دليل الأنشطة المختبرية (العلوم)
- دليل المعلم

مركز اتصال وزارة التربية والتعليم

اقتراح - استفسار - شكوى

80051115

www.moe.gov.ae

Info@moe.gov.ae